



6

المرحلة السادسة بناء الجسور بين الأفكار



ما الذي تعنيه هذه المرحلة

عندما تبلغ طفلتك العام الثالث أو الرابع من عمرها تتجاوز مرحلة الطفولة ذات السلوك المحبب وتزداد قدرتها على مشاركتك الأفكار وكأنها إنسانة ناضجة. سوف تجدين أنك تدخلين في حوارات مع طفلتك وفجأة ستدركين أنها «دافعت عن رأيها بقوة». ولن يطول الوقت قبل أن تسمعي من طفلتك «لماذا؟» و«كيف» و«بسبب». إنها تدعم رغباتها وأمنياتها بدليل حقيقي وتتوقع منك نفس الشيء. فمثلاً عندما تضعين أمامها صحناً من السبانخ قد ترفع أنفها باشمئزاز وتقول «لا أحب هذه السبانخ الغبية لأنها تبدو لزجة وتشعرنني بالغيثان».

ما بين الشهر الثلاثين والشهر الثامن والأربعين من عمرها سوف تُظهر لك طفلتك بالتدرج قدرتها على الربط بين فكرة وأخرى بطريقة منطقية

وذات معنى. في السنوات القادمة ستمكّنها هذه المهارة الأساسية من تحليل الأمور والدراسة وفي النهاية ستمكّنها من العمل في مجتمع معقّد.

عندما تقول طفلتكِ «أريد الخروج من المنزل» وتجيبيها «لماذا؟» فأنت تعطينها الفرصة للربط بين أفكارها بشكلٍ منطقي وستجيبُ قائلةً «لأنني أريد اللعب مع صديقتي». قبل عامٍ حينما كانت تنظر إليك وتردّد «أريد الخروج» وتساألينها «لماذا؟» فإنّها كانت تكرّر ببساطة «أريد الخروج، أريد الخروج». ولم تكن قادرة بعد على نقل أفكارها لك. للوهلة الأولى قد تبدو هذه القدرة على الربط بين الأفكار أمراً بسيطاً لكنّ تداعياتها تجعلها منعطفاً أساسياً باتجاه التفكير المنطقي الناضج.

إنّ طفلتكِ لا تتعلّم فقط كيف تكون منطقية حينما تطلب منك الخروج من المنزل أو الحصول على عصير. لكنّها تتعلّم أيضاً كيف تبني جسوراً بين أفكارها باستخدام مفهوم الوقت، فالماضي والحاضر والمستقبل تصبح مفهومة أكثر بالنسبة إليها. عندما تطلب منك طفلتكِ الخروج فتقولين لها «ليس الآن يا عزيزتي» قد تسألكِ «متى؟» وعندما تجيبيها «أعطني خمس عشرة دقيقة ثمّ نذهب عندما تسمعين جرس الغسالة» من المحتمل أن تصيح: «لا، لا، لا أريد أن أنتظر». إنّ هذه القدرة على الربط ما بين أفكارها وأفكاركِ باستخدام الأفعال الماضية أو المستقبلية لا تتطوّر بين عشية وضحاها وستصبح أكثر وضوحاً في السنة القادمة.

كذلك ستزداد قدرة طفلتكِ على الربط بين أفكارها وأفكاركِ باستخدام مفاهيم المكان أو القرب والبعد. عندما تسألكِ طفلتكِ «إلى أين أنتِ ذاهبة» فتقولين «إلى المتجر» ستهزّ رأسها بصمتٍ ورضى لأنّها تشعر أنّكِ ستعودين قريباً لأنّها ذهبت إلى المتجر عدة مرّات وتعرف أنه قريبٌ من المنزل، وتعرف الفرق بين الذهاب إلى المتجر والذهاب إلى منزل جدّها. ولو أنّكِ قلتِ لها إنّكِ ذاهبة إلى منزل جدّها غالباً ما ستعترض وتقول: «لا، لا، لا تذهبي» أو «خذيني معكِ!».

ستتعلم ابنتك أيضاً كيف تربط بين الأفكار التي تنقل المشاعر. فقد تسألك «لماذا أنت حزينة» إذا وجدتِك مُطْرِقَةً كما أنها تستطيع أن تخبركِ بسبب غضبها من أخيها «لقد أخذ ديمتي وأريد استرجاعها!».

تبدأ الطفلة خلال هذه الفترة بفهم الأحداث من عدّة زوايا في نفس الوقت. حتى النشاطات لا تعود تراها من منظورٍ واحدٍ بسيط كما كان الأمر في الماضي. عندما تواجه الطفلة البالغة سنتين من العمر أشياء جديدة إمّا أن تحبها أو تكرهها. فالحلوى في الماضي كانت إمّا لذيذة أو كريهة الطعم. أمّا الآن فعلاقتها مع الحلوى أكثر تعقيداً وهي قادرة على أن تسأل نفسها «كم قطعة من الحلوى أستطيع أن آخذ من والدي الآن ومتى أستطيع أن أحصل منه على المزيد». وتستطيع طفلتكِ أن تربط فكرتين أو ثلاث أفكار مع بعضها «أنا أحبُّ الحلوى وهي تشعرني بالسعادة» أو «الدكان قريب ويسهل الحصول منه على الحلوى». حتى الأشياء التي تبدو ذات بُعدٍ واحد كالحلوى تستطيع الطفلة أن تفهمها الآن من عدّة زوايا.

مثل الرجال العميان الذين يحاول كلُّ واحدٍ منهم أن يصف الفيل بعد تحسُّس جزءٍ منه فإنَّ الطفلة الصغيرة تكون قادرة على استيعاب جزءٍ واحدٍ من الحيوان فقط. على كلِّ حال عندما تكبر تتمكّن من رؤية كلِّ الفيل لأنّها تصبح قادرةً على التحرك حوله وملاحظة كيف تتصل أجزاءه مع بعضها. إنها تحتاج إلى رؤية مبدعة فقط لتتذكّر أين تقع أذناه أو عيناه أو رجلاه. عندما يتمكّن الطفل من الربط بين الأفكار فحتى أدق الصفات يمكن أن تثير عنده إدراكاً أكثر تعقيداً للعالم المحيط به. إنّ قدرة الطفل على الربط بين الأشياء تشكّل الأساس الذي يقوم عليه ما يُسمّى عند الكبار الذكاء الأكاديمي ومكوّناته المختلفة كفهم القراءة والتعليل العلمي والمهارات التحليلية والقدرة على التعبير عن الذات.

إنَّ خبرات طفلتكِ الجديدة وقدراتها العقلية مرتبطة بخبراتها وقدراتها القديمة. إنّها مشغولة بتعلّم الخبرات من خلال كل ما تذوّقه وتسمعه وتشمّه

وتراه من خلال ما تحسُّ به وتفعله. عندما تمتصُّ أجزاءً جديدة من المعلومات في كلِّ ثانية من كلِّ يوم تضمُّ هذه المعلومات إلى ما تشعر به، وإلى الأحداث التي حدثت لتوها وتلك التي مرَّ عليها ستة أشهر وما قد يحدث غداً. إنها لا تستطيع أن تربط كل خبراتها عبر الزمان والمكان - من خلال جميع مشاعرها وجوانبها وحسب، وإنما تستطيع أيضاً أن تعيد ربط هذه الأفكار بطرقٍ لا حصر لها. إنَّ فهم طفلتك للعالم يتضاعف بسرعةٍ مذهلة.

هناك تشبيه آخر يمثِّل التواصل الرائع بين كلِّ الأفكار الذي يحدث في عقل طفلتك. فهو يشبه مدناً جديدة تحتاج إلى وسائل للنقل والاتصال وإلى الطاقة والكثير من الأنظمة المترابطة لتعمل كوحدة متكاملة، بنفس الطريقة يحتاج عقل طفلتك إلى الكثير من الجسور العقلية لاكتشاف الأفكار والربط فيما بينها. عندما تساعدنيها على الربط بين أفكارها ومشاعرها المختلفة بالتفاعل معها في حواراتٍ تطول أكثر فأكثر فإنها ستبني الطرق السريعة والجانبية الخاصة بها. إنَّ هذه البنية التحتية العقلية سوف تشكل الأساس لفهم العالم المحيط بها وربما لتغييره.

ربما أصبح واضحاً الآن أن دورك خلال هذه المرحلة من تطوُّر طفلتك هو دورٌ مهمٌّ جداً. يجب أن تصبحي شريكاً محاوراً وطالبةً للنصح ومساعدة لابنتك في اكتشاف العالم. قد يبدو ذلك متعباً وربما تقولين لنفسك «انتظري لحظة، إن رأسي لا يستطيع وضع عدة قبعات في آنٍ واحد، يكفي صعوبة أن أكون مربية وأن أقرأ تعابير وجه طفلي وأن أستجيب لها بطريقة معبِّرة، وما إن انقضت فترة ألعاب التمثيل حتى ظننتُ أنه لا حاجة لها بعد الآن، واليوم يُطلب مني أن أكون محاوراً ومفاوضة ومهندسة إنشاءات، إن هذه لم تكن صفات الأمومة التي طُلبت مني». الأخبار الجيدة هي أن معظم الآباء والأمهات والمعلمين والذين يقدمون الرعاية للأطفال وغيرهم ممن يتعاملون معهم يومياً سوف يدركون أنَّهم يقومون بكثيرٍ من الأمور التي نصفها دون أن

يعلموا بذلك وأنهم يتمتعون بما يقومون به أيضاً.

يجد بعض الآباء والأمهات أن هذه الفترة هي في الحقيقة فترتهم المفضلة لأنهم يتمكنون من إجراء محادثات طويلة ومُرضية مع أطفالهم أما أولئك الذين لا يحبون الكلام كثيراً فقد يجدون صعوبة في هذه الفترة. وكنتيجة أخيرة هناك مبدأ واحد وبسيط يجب أن يبقيه الآباء والأمهات في أذهانهم وهم يساعدون أبناءهم على تنمية هذه المهارة الجديدة: حاولي أن تقيمي حوارات أطول فأطول مع طفلكِ حول أي شيء يهّمها وحاولي أن تساعدتها على ابتكار حوارات ذات معنى.

على سبيل المثال: إذا كانت طفلكِ منهمكة في الدفاع عن رغبتها في أن تظلّ مستيقظة لفترة أطول، حاولي أن تنصتي إلى كل أسبابها، إذا كان نقاشها غير مقنع قومي بتحديثها واطلبي منها سبباً آخر. حاولي أن تشجّعها بأن تطلبي رأيها حول مختلف الأمور بدلاً من مجرد اختبار معرفتها ببعض الحقائق. فمثلاً إذا أردت أن تبدي إعجابك بعلبة الألوان الجديدة الخاصة بها لا تقيدي ملاحظاتك بسؤالها أن تشير إلى اللون الأزرق أو الأحمر. بدلاً من ذلك اسألها عن اللون الذي تحبه ولماذا. بهذه الطريقة ستتدرّب على بناء جسور بين أفكارها أو على التفكير. إذا ركّزت زيادة عن اللزوم على سؤالها عن معلومات بعينها فإنها ستتذكّر كلمات قليلة معزولة بدل أن تتعلّم كيف تضع فكرتين معاً.

إنّ قدرة طفلكِ على تبادل الأفكار معك فيما يتعلّق بأرائها والأمور التي تهّمها ستصبح طريقة جديدة تُشعرين بها طفلكِ بالدفع والقرب والرعاية، إضافة إلى العناق والقُبَل التي كانت جزءاً من علاقتكما منذ ولادتها. وهذا النوع الجديد من الحميمية بينك وبين طفلكِ سيُشعركِ بالسعادة أيضاً. إنّ البهجة المستمرة التي تبديها طفلكِ حول ما تراه وتسمعه وتلمسه وتشمّه ستنتقل عداها إليك. إنّ انفتاحها على الخبرات الجديدة سوف يوقظ فيك الانتباه إلى ما هو جميل وغريب في هذا العالم.

اختبار الحقيقة

خلال السنوات الثلاث الماضية تفاعل كلٌ منكما بطرقٍ لا حصر لها. إنَّ نظراتك وإيماءاتك ونقاشاتك ومفاوضاتك وألعاب التمثيل التي شاركتِ طفلتك بها قد علّمتها بالتدرّج كيف تربط بين أفكارها وأفكارك. لقد كانت مندفعة إلى ذلك لأنها كانت تشعر برضى كبير في التعبير عن نفسها وفي جعلك تفهمينها. حتى وأنتما تمثّلان دوراً خيالياً أو مضحكاً أثناء ألعاب التمثيل فإنَّ الحوارات المنطقية المتبادلة بينكما ستدفع طفلتك إلى الأخذ بعين الاعتبار أفكارك ورغباتك ومشاعرك وهي تستجيب لك.

إنَّ تبادل الأفكار العاطفية مع طفلتك خلال المحادثات اليومية وألعاب التمثيل مع المحافظة على الأسلوب المنطقي في الحوارات سيساعد طفلتك على التفرّيق بين ما هو حقيقي وما ليس كذلك. هذه القدرة التي تسمّيها اختبار الحقيقة سوف تمهّد الطريق أمام كلِّ مهاراتها الفكرية العالية. ستعتمد على اختبار الحقيقة في كلِّ مرّة تحتاج فيها إلى تصحيح امتحان الرياضيات الخاص بها أو اكتشاف المعنى الذي تعبّر عنه قصة معيّنة.

إنَّ قدرتها على ربط النتائج بالأسباب تنبع من هذه السنوات التي تمارس فيها الموازنة بين أفكارها العاطفية وما هو منفصلٌ عن ذاتها أي أنت. إنَّ قدرتها على ربط فكرة «لي» مع فكرة «لك» كقولها «لماذا تقولين لا؟ - أريد أن أبقى مستيقظة» هي الجسر بين ما هو شخصي في داخلها وما هو موضوعي خارجاً عنها. لذلك فإنَّ قدرة طفلتك على تنظيم تجاربها في الحياة على شكل «أنا» و«أنت» أو «لستُ أنا» ستمكّنها من الربط ما بين عالمها الداخلي من التجارب والخبرات والمشاعر والعالم الخارجي الموضوعي الذي تقدّمينه لها.

التفكير العاطفي

حتى إلى هذه النقطة من تطورها فإنَّ طفلتك تشبه بالونات صغيرة

منفصلة. فهي قادرة على رؤية الصور ذات الإحساسات المختلفة أو الأفكار وعلى التعبير عنها من خلال ألعاب التمثيل أو الكلمات. ومع ذلك ما تزال أفكارها قطعاً مجزأة.

إنَّ سنواتٍ من تبادل الإيماءات المنطقية والملاحظات بينك وبين طفلك ستساعد على تثبيتها إلى الواقع وستحوّل أفكارها المتفرّقة إلى أفكار متسلسلة. ستدرُك طفلك من خلال ألعاب التمثيل والمحادثات المستندة إلى الواقع بينكما أنّ البالونات (الأفكار) الخاصة بكِ وتلك الخاصة بها مرتبطة ببعضها. إحدى الطرق التي ستساعد على الربط بين أجزاء الدراما التمثيلية هي أن تأخذ دوراً في هذه الدراما وأن تطرحي أسئلة تساعد على الربط بين بالونات الاختبار المختلفة التي أطلقتها طفلكِ.

في بعض الأحيان قد تربط طفلكِ بين أفكارها وأفكاركِ إذا جعلتِ الشخصية التي تمثّلين دورها تبوح بعباراتٍ سخيفة. فإذا كنتما تعدّان أغراض الدمى للقيام برحلةٍ تخيليةٍ إلى الشاطئ وأعلنت دميّكِ قائلةً: «لا تنسي أن تحضري سماعات جهاز التسجيل معكِ فكل الناس يرتدون السماعات على الشاطئ». ستنتبه ابنتكِ إلى سخف هذا الاقتراح وستجيبكِ على لسانِ دميّتها قائلةً: «أنتِ سخيفة جداً، لا أحد يرتدي السماعات على الشاطئ، إنهم يرتدون ملابس السباحة» أو أنها قد تعتبر ذلك مزحةً وتضحك. بعبارةٍ أخرى، إنّ الاختلافات الودّية وكذلك تبادل العبارات السخيفة يمكن أن تكون أساساً جيّداً لمناقشاتكما معاً. ليس من الضروري أن تحاصري طفلكِ بحبلٍ من الأسئلة لكي تعودّيها على التفكير وربط الأسباب بالنتائج.

عندما تبتكر طفلكِ المزيد والمزيد من الروابط المنطقية والمتسلسلة مع أفكاركِ فإنَّ ألعاب التمثيل والحوارات الحقيقية بينكما سوف تصبح أكثر تحرراً. طالما أنها تحاول أن تربط أفكارها مع أفكاركِ بطرقٍ معقولة (حتى لو كانت أفكارها خيالية في معظم الأحيان) فذلك يعني أنها في طريقها إلى

أن تصبح مفكرة منطقية. سوف تبدأ بالتفاوض معك بطريقة تعتمد على الواقع وسوف تطلب مساعدتك لحل المشاكل العملية وستسألك «هل يمكنني أن أفعل هذا» أو «هل ستغضيبني إذا ركلت الكرة داخل المنزل».

تذكّري أيضاً، أنّ طفلتك عندما تتعامل مع المناظر والأصوات واللمسات والجوانب المادية من الأشياء فإنها تسجّل في نفس الوقت ارتكاسها العاطفي لكل ذلك. كما ذكرنا مطوّلاً في الفصل السابق فإن عواطف ابتكك تتم أفكارها إلى مواضيع وتصنيفات. إن الحوارات العاطفية بينكما - سواء كان الحديث عن وقت النوم أو لعبة تخيلية تتضمن ركوب البساط السحري - سوف تشكّل الأساس لمهارات التفكير المرن عندها.

إدراك المجردات

إنّ طفلتك وهي تصبح أكثر قدرة على التفكير العاطفي ستبدأ بفهم الرابط بين كثير من الخبرات والمشاعر بحيث تجد تعريفاً أو معنى للكلمات المجردة. سيمكّنها ذلك في النهاية من فهم المعاني المجردة كالحب والغضب والحزن والإثارة. على سبيل المثال إنّ طفلتك التي تبلغ ثلاث سنوات ونصف من عمرها تستطيع أن تفهم المعنى المجرد لكلمة «إثارة» لأنها شعرت بالإثارة مئات المرات في مئات الظروف وقد ذكرت كلمة «إثارة» أثناء مشاركتك لها في تلك الظروف. إنّ الإثارة التي شعرت بها وأنت تقدّمين لها هدية عيد الميلاد والأدريّنالين الذي اندفع في دمها وهي تُسابقك، والإثارة التي شعرت بها عندما استولت دميّتها على قلعتك أثناء اللعب، كل هذه أمثلة على الخبرات التي شاركت طفلتك بها والتي تكوّن من خلالها مفهوم الإثارة عندها.

التأمل الذاتي

إنّ طفلتك لن تبدأ بفهم المزيد من الأفكار المجردة خلال هذه الأشهر

وحسب وإنما ستصبح أكثر قدرةً على اختيار مواضيع للمناقشة ولألعاب التمثيل. في كلِّ مرّةٍ تتجنيين فيها الإجابة السريعة على سؤال طفلكِ بنعم أو لا فإنّكِ تدفعينها إلى ممارسة التأمل الذاتي. على سبيل المثال إذا شدّت طفلكِ على يدكِ وقالت «أريد الخروج، ماما» فإن جوابك «إنها فكرة رائعة، ما الذي تريدن فعله هناك» سيدفعها إلى التفكير، هل ستركض أم ستلعب بالأرجوحة أم بالزلاّقة؟ عندما تفكّر بالجواب فإنّها تعدّ الأفعال التي ستقوم بها قبل القيام بها فعلاً. وبهذه الطريقة ستتعلم كيف تسيطر على دوافعها بدل أن تتصرّف مباشرةً بمقتضى هذه الدوافع، إنها بذلك لن تتعلم كيف تخطّط لأفعالها وحسب وإنما ستتعلم أيضاً إيجاد البدائل. وكما أنّ حدة الرمل تؤدّي إلى تشكّل اللؤلؤة حولها، فإنّ هذه التوقفات البسيطة لعدة ثوانٍ سوف تتطوّر عبر السنوات لتشكّل الأساس الذي تُبنى عليه عادة التفكير التأملي.

العلاقات الثلاثية

إضافة إلى مهارات طفلكِ التفكيرية الجديدة - التحكم بدوافعها، التفريق بين ما هو حقيقي وما ليس حقيقي، فهم الأفكار والمشاعر المجرّدة، التأمل الذاتي - فإنّها سرعان ما ستدرك أنّ علاقاتها مع الأشخاص المختلفين مرتبطة ببعضها. على سبيل المثال، عندما تتعلم الموازنة بين علاقاتها مع كلِّ من والديها ستبدأ بإدراك المكائد والمنافسات وباستخدام ذلك الإدراك لمصلحتها. قد يسمّى البعض تلك المقدرة الجديدة تلاعباً أو خداعاً. إنها تدلُّ على ما هو أهم من ذلك وهو قدرة طفلكِ على التفكير بطريقة مركّبة - بالنظر إلى أكثر من علاقة واحدة في نفس الوقت.

إذا تجاهلتِ طفلكِ في هذا السن فهي قد لا تشدُّ كمكٍ وتقول لكِ «تعالى العبي معي الآن» كما كانت تفعل في الماضي، بل إنها قد تذهب إلى زوجك لتشعرك بالغيرة لكي تلعب معها. هذا النوع من التكتيك أكثر تعقيداً من مجرد الانقضااض عليكِ أو تجاهلك. ستتعلم طفلكِ بسرعة أنّ بعض

أنواع السلوك غير المباشر توّدي إلى نتائج مرضية أكثر من الهجوم المباشر. حتى الآن قد تستخدم روابطها المزدوجة معك ومع والدها للحصول على ما تريده فهي قد تنظر إليك نظرة واسعة بريئة وتقول «ماما إنَّ والدي يسمح لي دائماً بأكل قطعتين من الحلوى». لا شك أننا نحن الكبار قد استخدمنا التلاعب بعلاقتنا مع الآخرين للحصول على ما نريده. إنَّ الأطفال في سنِّ الرابعة قادرون على فهم هذا النوع من المكائد واستخدامه لمصلحتهم. قريباً ما ستلاحظين أنَّ طفلتك ستبدي من حين إلى آخر تفضيلاً لك أو لوالدها، فقد ترفض في بعض الأحيان إشارات الودِّ التي تبدينها لها وذلك قد يُشعرك بالأسى أو الغيرة حتى لو طمأنتك والدتك أو طيبب الأطفال أو أصدقائك إلى أنَّ هذا الميل إلى أحد الوالدين سيتغيَّر في الأشهر القادمة. قد تُبقي طفلتك مسافة عاطفية بينك وبينها لأنها تخاف أن يُعرِّض القرب منك علاقتها مع زوجك إلى الخطر. إذا حدث ذلك يجب أن تبقي في متناول طفلتك فهي تكتشف طرقاً جديدة في التواصل لكنَّها لا تريد أن تفقد أيَّ شعورٍ بالقرب والأمان. دعيها تتمتع برفضها لك وهي تعلم أنَّك ما تزالين هناك إذا احتجت إليها.

إنَّ طفلتك تقوم بمهمّة كبيرة، فهي تتدرَّب كيف توازن بين ثلاثة أشخاص أو أكثر ضمن منظومة متفاعلة. في الحقيقة هذا النوع من التفكير يبدأ في هذه المرحلة ثمَّ يُقلع في مرحلة دخول المدرسة. إنَّ تقوية الشدِّ والدفع الذي تسببه هذه التفاعلات المركّبة سوف تزوّد طفلتك بنظام للتوازن في علاقاتها. فهي ستتعلم أنَّ باستطاعتها أن تتحمّل كونها غاضبة من أحد والديها إذا كانت لا تزال مرتبطة بقوة مع الوالد الآخر.

هذه العلاقات الثلاثية هي محاولات طفلتك الأولى لثبيت مكانها في المجتمع المحيط بها. إنَّ عالمها العاطفي قد تجاوز الآن نطاق ذراعيك اللتين كنت تطوّقانهما بهما ليشمل أفراداً آخرين من العائلة وأصدقاء وأطفال في مثل سنِّها. ستلاحظين الدليل على أنَّ طفلتك بدأت تفكّر بشكلٍ ثلاثي

عندما تراقبينها وهي تلعب مع صديقتين في نفس الوقت خلال أوقات اللعب الجماعي أو في دار الحضانة إذ ستبدأ بالتمتع بالتفاعل مع مجموعة من الأطفال. إنَّ الأطفال الذين في سنِّ الثالثة والرابعة قد يغيب بعضهم بعضاً وقد يتخاصمون حول الألعاب، لكنهم سيدركون أيضاً وبالتدرّج أنّ عليهم أن يؤخّروا إرضاء بعض رغباتهم وأمنياتهم إذا أرادوا أن يظلُّوا جزءاً من المجموعة.

يبدو التفكير الثلاثي أثناء ألعاب التمثيل التي تمارسها طفلتك أيضاً. فإذا راقبتها وهي تلعب بالدمى ستلاحظين أنّها تعطي الدمى أدواراً معقّدة تشبه العلاقات التي تراها في الواقع. على سبيل المثال قد تلاحظين دميّتين من دمى طفلتك تنسج خدعةً للدمية الثالثة. وقد تتكر طفلتك نظاماً ثلاثياً أكثر تحرراً عندما تُحرِّك اثنتين دماها خلف القلعة التي بنتها لتوهّمك بأنها تريد الهجوم من الخلف في حين تجعل الدمى الأخرى تفاجئك بالهجوم من الجانب!

إنَّ طريقتها الجديدة في التفكير قد تمكّنها من معرفة واقع الآخرين في القصص التي تقرأينها لها لأنها أصبحت أكثر إدراكاً للطريقة التي يشعر بها الآخرون. فعندما تُخدع شخصيةً طيبةً في القصة من قِبَل شخصيةٍ أخرى ستشعر طفلتك بالتعاطف معها، وكأنها تقول «إذا شعرت بالغضب فلا شكَّ أنها (الشخصية) تستشعر بالغضب أيضاً. إنَّ هذا يمثّل مستوىً جديداً من الذكاء سيساعدها في المستقبل أن تتعلّم كيف تفسّر قصةً من عدة وجهات نظر وكيف تفكّر بعمقٍ في وجهة نظر كاتب القصة.

كيف تميّزين التفكير العاطفي والتفكير الوجداني

الربط بين الأفكار

إنَّ الحوارات بينك وبين طفلتك ستصبح أكثر غنىً ومنطقيةً من قبل،

حتى أنك قد تُصدمين عندما تُدركين أن طفلتكِ قد كُبرت بسرعة هائلة. على كلِّ حالٍ إنَّ قدرتها الجديدة على تليفق قصصٍ رائعة ومشاركتكِ أفكاراً مذهلة ستسرُّكِ حتماً. سوف تربط بين أفكاركِ وأفكارها باستخدام كثيرٍ من الأساليب التخيلية وحتى المزاح العادي سيصبح ذا معنى.

قد تستلقين بجانب طفلتكِ ذات يوم وتنظران إلى السماء فتشير طفلتكِ إليها وتصبح «انظري إلى هذه الغيمة، إنها تبدو مثل الزرافة انظري إلى رقبتها». قد تردِّين قائلة «نعم» وتشيرين إلى غيمة أخرى وتقولين «ما رأيكِ بتلك الغيمة المجاورة، ألا تبدو مثل الفطر». وهنا قد تخترع طفلتكِ قصةً عن الزرافة التي تأكل الفطر. إنَّ ملاحظاتها سوف تُبنى على ملاحظاتكِ، وحتى النقاشات أثناء الطعام سوف تتحوَّل إلى قصصٍ ذات طابع منطقي «حسناً لنرى ما الذي يوجد في الخزانة، ما رأيكِ بزبدة الفستق في ساندويشة الجيلي يا عزيزتي» وقد تردُّ طفلتكِ «لا، أنا أكره زبدة الفستق والجيلي، أريد لبناً» فتقولين لها «حسناً، لكني لا أتذكَّر أيَّ نوع من اللبن تحبِّينه» وهنا قد تفاجئك بنظرة العارف وتقول «أيتها السخيفة!! تعلمين أني أحبُّ اللبن زهري اللون».

إنَّ هذه الملاحظات البسيطة التي تطلقها طفلتكِ أثناء حواركِ معها أو أثناء أوقات التمثيل معكِ ستُعَلِّمكِ أنَّ طفلتكِ تفكِّر. في البداية ستكوِّن هذه الملاحظات من عبارات بسيطة ومباشرة وسيتضمَّن القليل من الأمثلة أو الأفكار المركِّبة ولكن سريعاً ما ستصبح طفلتكِ جاهزةً لإبداء تطوُّرٍ في الوصل بين أفكارها وأفكاركِ.

مَن، لماذا، متى، أين، لماذا وكيف؟

إحدى الطرق التي تساعدن فيها طفلتكِ على مدِّ جسورٍ منطقية بين أفكارها هي أن تطرحي عليها أسئلة تدفعها إلى أخذ أفكاركِ بعين الاعتبار. لكن الإجابة على أسئلة مَن، ماذا، أين، متى، كيف ولماذا؟ تحتاج إلى

مهاراتٍ معقّدة يصعب على طفلتك الصغيرة إتقانها. حتى هذه النقطة من تطوُّرها لا تتمكّن طفلتك من وضع أفكارها بشكلٍ متسلسل وبسرعة لذلك عندما تطرحين سؤالاً غالباً ما تتجاهلك وتتابع عملها. لكنها الآن تستطيع أن توجد المزيد من الروابط المعقّدة بين أفكارها وأفكارك. فعندما تسألينها «ماذا فعلت في منزل جدّتك اليوم» ستكون قادرة على رؤية نفسها في مكانٍ ووقتٍ آخر وستُجيب «لقد لعبت في الحديقة وأكلت الفشار». كما أنّك ستسمعين الكثير من الأسئلة وستطلب منك الاستجابة لها. فعندما تسألكِ «هل يجب عليّ ارتداء الجوارب اليوم؟» ستعرفين أنها أصبحت قادرة على التلاعب بالأفكار الموجودة في عقلها وتحويلها إلى ملخّصات منطقية عن سلوكها الماضي أو خططها المستقبلية.

كيف تقوم طفلتك بذلك؟ لقد اعتمدت طوال الفترة الماضية على قدرتك على قراءة أفكارك والاستجابة لها. ولأنّها تشعر بالأمان والراحة بالنمط المألوف الذي تتبعه في تفاعلها معك ستبقى مركّزة على استجاباتك وستدرك في النهاية ارتباطها بأفكارها وقد ترى الصور والمشاعر التي تعبّر عنها كلماتك. عندما تلاحظين أنّ طفلتك بدأت تجيب على أسئلة ماذا أين؟ وتطرح هذه الأسئلة على نفسها أحياناً ستدركين أنها قد أصبحت مفكّرة عاطفية حقاً. قد تبدأ بالإجابة على سؤال ماذا - وأين - قبل الإجابة على سؤال لماذا، لأنّ هذه الأسئلة تشير إلى أشياء وأماكن حقيقية (ما هي اللعبة التي تريد اللعب بها؟) (أين وضعتِ محفظة والدتك؟) بعد ذلك ستبدأ بالإجابة على أسئلة كيف، لأنّ هذه الأسئلة تتعلّق بالوظائف وأنواع السلوك الذي مارسته (كيف تزررين قميصك؟) (كيف سنصلح رأس الدمية؟) بعد فترة وجيزة ستجيب على أسئلة متى إذ تكون قد اكتسبت الإحساس بالزمان.

إنّ الأسئلة التي تبدأ بلماذا هي الأصبعب بالنسبة لطفلتك لأنّها تحتاج منها لاكتشاف الجذور الخفية لأمنياتها ورغباتها ومشاعرها. ستلاحظين أنّ طفلتك البالغة ثلاث أو أربع سنوات من عمرها ستجيب ابتداءً على أسئلة

«لماذا؟» بطريقة بسيطة وجامدة (لماذا رميتِ سندويشتكِ على الأرض؟ لأنني أردتُ ذلك!). إنَّ هذا الجواب لا يدلُّ على عناد طفلتكِ أو غبائها بل هو الخيار الأفضل بالنسبة لها. إنها ما تزال حديثة العهد بالتفكير التجريدي وقد تنقضي شهور قبل أن تصبح قادرة على مراجعة سلوكيها وحمل أفكارٍ في رأسها كافية لشرح أسباب تصرفاتها «لأنني أكره اللحم وكان يجب عليك أن تتذكَّري ذلك!». لهذا السبب إنَّ سؤالاً «ماذا تريدان أن تفعلين في الخارج؟» أسهل من السؤال «لماذا تريدان الخروج» فإذا وجدتِ طفلتكِ التي بلغت ثلاث أو أربع سنوات من عمرها صعوبة في الإجابة على الأسئلة التي تبدأ بـ «لماذا»، اطرحي عليها أسئلة متعدّدة الخيارات مثل «هل تريدان اللعب بالأرجوحة أم التزحلق على الزلاّفة؟» فإذا ظلَّت هذه الأسئلة صعبة عليها اطرحي سؤالاً يحتوي خياراً سخيلاً «هل تريدان اللعب بالأرجوحة أم اصطياد النعام؟» وعندما تجيبكِ أكّدي على جوابها «لكي تلعبين بالأرجوحة لهذا السبب تريدان الخروج!».

إنَّ إجابة طفلتكِ على سؤال «لماذا تريدان الخروج؟ بجواب «لأنني أريد اللعب» هي استجابة أكثر تعقيداً ممّا قد تتصوّرين. إنَّ كلماتها تُبيِّن أنّها تفهم معنى كلمة «أنا» أو الذات المستقلة وأنها تدرك وجود رغبةٍ داخليةٍ عندها أو «أريد» إضافة إلى أنها تملك فكرةً عن عملٍ سوف يشبع رغبتها في المستقبل القريب «أن ألعب». إنَّ قدرتها على جمع هذه الأفكار والمفاهيم والبناء على أساس أفكاركِ الخاصة هو دليل مثير على أن تفكيرها بدأ يصبح أكثر تعقيداً.

احتفلي بقدرة طفلكِ على التفكير المنطقي

باستخدام «و» و«إنذا» و«لكن» و«لأن»:

إحدى العلاقات الواضحة على تمكُّن طفلتكِ من المزيد من التفكير المنطقي يتجلّى في ألعاب التمثيل عندما تضع الأفكار المترابطة منطقياً في

سلسلة من الأفعال. فالاحتفال بعيد ميلاد الدمية قد يتضمّن تقطيع كعكة وهمياً متبوعاً بتبادل الهدايا التخيلية. والغازي القادم من الفضاء قد يرمي الديناصور بأشعة الليزر لأنه جاء من كوكبٍ آخر يخافون فيه من الديناصورات. إنّ الأحداث التي تتكوّن منها دراما طفلتك ستصبح أكثر كثافة لأنها أصبحت تفهم الآن أنّ بعض العواطف ترتبط منطقياً بتجارب معيّنة. ذات يوم قد ترفع طفلتك كتفيها وتنظر إليك بتصميم وتقول «لا أريد الذهاب إلى السرير لأنّ الشمس لم تزل ساطعة». إنّ كلمة «لأنّ» ستصبح إحدى الكلمات الرئيسية في قاموس طفلتك في هذه المرحلة. عندما تبلغ سن الرابعة أو الرابعة والنصف ستعلّم طفلتك أنّ فكرة ما يمكن أن تحرّض فكرةً أخرى، وأنك تنصتين إليها بمزيد من الاحترام إذا برّرت تصرفاتها بأعذار مقنعة (بالطبع «سأشُدُّ شعرها لأنها أخذت دميتي الجديدة» لن يقنعك).

عندما تُعلن طفلتك «لقد دفعته لأنه دفعني بالأمس» أو عندما تمشي دميتها باتجاه دميتك وتزيح عن رأسها القبعة وتقول «لقد ارتدت دميتك قبعة دميتي الجديدة هذا الصباح وهذا ليس عدلاً» فإنّ طفلتك تُريك قدرتها على ربط النتائج بالأسباب مع أخذ الزمان والمشاعر بعين الاعتبار. إنّ شعوراً بالغضب في وقتٍ ما قد يتمّ ربطه بشعورٍ بالغضب في وقتٍ آخر. إنّها قادرة الآن على إعطائك أجوبةً مرّكبةً وهي تتذكّر كل الأسباب التي يجب أن تدفعك إلى تركها لتشاهد عرضاً تلفزيونياً «لست نعسانة وقد ذهبتُ إلى السرير مبكراً في الليلة الماضية لذلك أريد أن أبقى مستيقظةً في هذه الليلة».

إنّ طفلتك لا تستطيع أن تربط لفظياً بين فكرتين أو أكثر باستخدام الوقت وحسب، وإنما تستطيع أيضاً أن تستخدم إدراكها للفراغ لحلّ المشاكل. قد تشاهدينها وهي ترتّب المكعبات على شكل غرفٍ متجاورة لكي تبني قصرًا لدميتها. وقد تبني برجين من المكعبات ثم تصلُ بينهما بنفقٍ لتشكّل مدينة خيالية. ستريك طفلتك كيف أنها تستطيع أن تتلاعب بالمكان لكي تمارس خبرات جديدة في اللعب.

من المهم أن تلاحظي أن الدراما التمثيلية التي يؤلّفها طفلك تحتوي على عناصر واقعية وأخرى تخيلية. فهي قد تستخدم الحاجات اليومية كالأواني والتلفونات في ألعابها التمثيلية ومع ذلك قد تنتقل فجأة إلى القيام بأفعال أبطال خارقين على سبيل المثال: قد يأكل الرجل الطواط المكسّرات ثم فجأة يقرّر أن يطير إلى القمر لأنّه يريد قطعة من الجبن. ما دام الحقيقي وغير الحقيقي مرتبطان معاً بشكل منطقي من خلال (الجوع) فإنّ طفلك تتقدّم جيداً في طريق تمكّنها من التفكير التجريدي والمنطقي.

وصف المشاعر

إنّ قدرة طفلك على وصف طيف واسع من المشاعر هي علامة بارزة أخرى على تطوّر تفكيرها العاطفي. إلى وقت قريب ربما كانت طفلك تعبّر عن غضبها من خلال لعبة تمثيلية تتشاجر فيها مع دُمها وقبل عام من الآن ربما كانت طفلك تعبّر عن غضبها بسلوك عدواني، أما الآن فمن المرجّح أن تعبّر عن غضبها عبر عبارات تبادلها دُمها مع بعضها «أنا غاضبة منك جداً» كذلك قد تعبّر في الأوقات التي تشعر فيها بالسرور عن بعض مشاعرها مثل «عندما يأتي والدي إلى المنزل أشعر بالسعادة» أو قد تجعل دُمها تتعانق مع بعضها خلال ألعاب التمثيل وتردّد بعض الكلمات مثل «أحبك» أو «عودي قريباً».

يستطيع بعض الأطفال أن يعبروا عن مواضيع عاطفية معيّنة كالاعتماد على الآخرين أو حاجتهم إلى الرعاية من خلال الأفعال وليس الكلمات. فهم يتصرّفون بمقتضى حاجاتهم مباشرة فيعانقونك أو يمسون بك. ستدركين أي المواضيع التي يسهل على طفلك التحدّث عنها وأيّ المواضيع تصعب عليه. قد يسهل عليه التعبير عن شعور الفضول أو السعادة، ويصعب عليه التعبير عن المشاعر العدوانية والعكس صحيح. عندما تكتشف طفلك المشاعر والمواضيع المتنوّعة من خلال اللعب التمثيلي والكلمات سوف

تتطوّر قدرتها على ربط فكرتين بشكلٍ منطقي إلى ربط ثلاث أفكار أو أكثر. إنَّ أفكارها العاطفية سوف تعبر عن طيفٍ واسع من المواضيع بما في ذلك:

القرب والاعتماد على الآخرين: تتأذى الدمية وتقوم والدتها بإصلاحها (36 شهراً) ثم تذهب الدمية إلى الحفل وترقص مع الأمير (48 شهراً).

المتعة والإثارة: تقول الطفلة كلمات مثل (دودي) وتضحك (36 شهراً) ثم تلتفت إلى أمها وتقول نفس الكلمة وتنتظر ردّة فعلها (48 شهراً).

التصميم والاكتشاف: الرجال الطيبون يبحثون عن الأشخاص الضائعين (36 شهراً) ثم يقاتلون العناكب في معبد القبة (48 شهراً). الحذر أو الخوف: يقوم الوحش المرعب بإخافة الفئران (36 شهراً) ثم تختبئ تحت الأغطية (48 شهراً).

الغضب: يقاتل الجنود الطيبون الجنود السيئين (36 شهراً) ثم يخدعونهم ليتمكّنوا من هزيمتهم (48 شهراً).

وضع الحدود: الجنود الطيبون فقط هم الذين يستطيعون ضرب الجنود السيئين بسبب القواعد (36 شهراً). عندما يبلغ الشهر الثامن والأربعين من عمره يستطيع الطفل أن يضع حدوداً لنفسه عن طريق استنتاج العواقب (إذا كنت سيئاً الآن، سأعاقب فيما بعد). وعلى الرغم من أنه لن يتبع القواعد دائماً إلا أنه سيفهمها على أنها حدودٌ يجب أن يتجاوزها ويستطيع أن يكون مبادئٍ مجردة (يجب أن لا تكون قاسياً مع الآخرين).

التعافي من الغضب والانفعال والفقْد: يستخدم الطفل ألعاب التمثيل لكي يتعافى من الغضب ويستطيع أن يتظاهر بأنه يأكل حلوى وهمية (36 شهراً) عندما يبلغ الشهر الثامن والأربعين من عمره يستطيع الطفل أن يتصوّر والده وهو في المنزل وأن يعبر بالألفاظ عن مشاعر

الحزن والفقْد (إنَّه خارج المنزل وقد افتقدته قليلاً، لكنني أمضي وقتاً ممتعاً في اللعب بالدمى).

الاستمرار في الانخراط في علاقة مع الأصدقاء والأخوة وأشخاص من خارج العائلة أثناء التعرُّض لطيفٍ واسع من المواضيع والمشاعر التي ذكرت أعلاه: يحتاج الطفل إلى المزيد من الفرص لكي يلعب مع طفلٍ آخر أو في مجموعة صغيرة (36 شهراً). عندما يبلغ الشهر الثامن والأربعين من عمره يجب أن يكون هناك الكثير من وقت اللعب المستمر مع الأصدقاء بحيث يصبح عنده أصدقاء حقيقيون. كذلك تتطوَّر تفاعلات الطفل مع إخوته والأشخاص من خارج العائلة ويتضمَّن هذا التفاعل طيفاً من المشاعر إذا كان طفلك يحتاج إلى مزيد من التدرُّب على اللعب مع أصدقائه ساعديه بمشاركتهم اللعب على الأرض. انضمِّي إليهم وابتكري فرصاً للتفاعل فيما بينهم.

عندما تكون العدوانية أمراً جيّداً قد يكون أمراً غريباً أن تعتبر العدوانية التي تظهرها طفلتك في ألعاب التمثيل وفي مناقشاتها دليلاً على تطوُّرها بشكل جيّد. إننا نريد كآباء أن نقوِّي المشاعر التي تغذي التصميم والاهتمام بالقوة عند أطفالنا وأن نتحكّم في نفس الوقت في تصرفاتهم العدوانية التي يمكن أن تشكّل أذى لهم أو لغيرهم. ستلاحظين الاستخدام البناء للشعور بالتصميم خلال ألعاب التمثيل التي تقوم بها طفلتك عندما تلعب دور البطل الذي يحارب الأشرار أو عندما تأخذ دور الراقصة الأجمل بين زميلاتهما. وستلاحظين التصميم في مناقشاتها معك عندما تحاول بالقوة أن تثبت صحة وجهة نظرها. معظم الآباء يشجِّعون هذه الصفة عند أطفالهم فهم لا يريدونهم أن يكونوا متردّدين وسلبيين وهم يريدون من أطفالهم أن يشعروا بالراحة وهم يرفعون أيديهم في المدرسة ويتطوَّعون ويشاركون في النقاشات ويدافعون عن وجهة نظرهم في الحوارات. يحتاج كل الأطفال إلى الفرص التي يمارسون فيها التصميم وهم يعتمدون عليك لوضع الحدود على

سلوكهم بحيث تبقى تصرفاتهم تحت المراقبة. كثيرٌ من الآباء والأمهات يجدون صعوبةً في التعامل مع تعلق أولادهم بألعاب الأسلحة والسيوف والمسدسات ويعتبرون ذلك ميلاً من أطفالهم لتقليد العنف الذي يشاهدونه على التلفاز وفي الأفلام. يجب أن يُشجّع الآباء والأمهات على اتباع القيم العقائدية والثقافية الخاصة بهم، وأن لا يسمحوا في المنزل إلاً بالألعاب التي يرتاحون إليها. على كل حال يجب أن ندرك أن الطفل إذا منع من التعبير عن تصميمه بطريقة معينة سيجد طريقةً أخرى يعبر من خلالها عن هذا الشعور. كثيرٌ من الأطفال يستخدمون أيديهم وأصابعهم كمسدسات على الرغم من أن آباءهم يبذلون جهداً كبيراً لمنعهم من ألعاب العنف. من المهم أن تُتحي لطفلك التعبير عن شعوره بالتصميم فأنت تريدين مساعدته على استخدام الكلمات للتعبير عن كل مواضيع الحياة من القوة والتصميم إلى اللطف والحب. إذا منعته من ممارسة التصميم في أعباه فأنت تحدين جانباً مهماً من حياته العاطفية. من المستحيل أن يتجنّب طفلك التعامل مع العدوانية وقد ينجح مؤقتاً في كبتها لكنها ستتحوّل إلى نوع من التوتر أو السلبية والخضوع وقد تعبّر هذه العدوانية عن نفسها بطرقٍ أكثر عنفاً.

هناك الكثير من الطرق ضمن كل ثقافة أو دين يمكن من خلالها التعبير عن التصميم والقوة باستخدام الكلمات وألعاب التمثيل. ربما عن طريقة شخصية تستطيع أن تقرأ عبارة سحرية على أحدٍ ما أو تقفز إلى ارتفاع أعلى من شخصيةٍ أخرى. لا تتفاجأي إذا هدّدت دميةً طفلك بتحطيم الدمى الأخرى في سريرها. حتى نقاشات طفلك يمكن أن تكون مليئةً بكلمات الغضب. لا ترتكسي بشدة إذا أظهرت طفلك البالغة أربع سنوات من عمرها استخداماً زائداً بشكل مؤقت لمواضيع التصميم. في كل مرّة تخيل نفسها أكبر وأسرع وأقوى من المخلوقات الأضعف الموجودة في مخيلتها فإنها تكتسب شعوراً بالتحكم في حياتها. إن الجمع بين اهتماماتها الجديدة والدفع والتعاطف الذي تبدينه لها سوف يساعدها مع الوقت على الجمع بين

مشاعر الغضب والحب معاً. إن ذلك سيمكّنها في النهاية من أن تصبح شخصاً دافئاً ومحبباً ومتصفاً بالتصميم في ذات الوقت.

عندما تنمو قدرة طفلتك على الربط بين أفكارها بشكل معقد ستدرك أنّ باستطاعتها أن تحرّض ارتكاسات معينة عند الآخرين. تستطيع طفلتك خلال ألعاب التمثيل مع الآخرين أن تلعب دور الشرير الذي يهدم المنازل ويحارب الأشخاص الجيدين. لقد انتظرت فترة طويلة لكي تحين لها فرصة تظهر فيها رغبتها في القوة والتحكم وتستطيع الآن بأمان أن تختبر الحدود التي يمكن أن تمارس عدوانيتها ضمنها.

إن قواعد اللعب على الأرض القاضية بتجنب الإيذاء الجسدي أو تحطيم الألعاب بشكل متعمد سيمنحها شعوراً بالراحة لوجود حدود تمنعها من إيذاء نفسها أو إيذاء الآخرين، إنها تعلم أنك ستحدين من عدوانيتها إذا أصبحت تصرفاتها مؤذية.

قد تلاحظين ازدياداً في عناد طفلتك عندما تبلغ السنة الرابعة من عمرها، ولأنها تفكر بشكل منطقي الآن تستطيع أن تتحدى سلطتك. لديها القدرة الآن على إيجاد أسباب تبرر عدم انقيادها لك في كل الأوقات. فمثلاً عندما تطلبين منها الإسراع قد تقول ببرود «لا، لن ألبس ملابسك فالملابس غبية!» إن كلمات طفلتك الحازمة وألعاب التمثيل العدوانية التي تشارك فيها تدل على ازدياد اهتمامها بالقوة والعظمة لكنها ما تزال في داخلها تستشعر بالهشاشة. إن الأحلام المرعبة قد تنتابها أثناء النوم كما أنها قد تبدي خلال النهار خوفاً من الغرباء والأشباح والوحوش. تدل هذه المخاوف على شعورها بالخطر. بما أن طفلتك الآن تستطيع أن تربط عقلياً بين شعورها بالضعف والحقيقة، وتستطيع أن تتخيل التهديدات فقد تحتاج إلى مزيد من تفاعلات الحب والتعاطف معك لكي تطمئن إلى أنّ الأمور السيئة لن تحدث لها، وقد تتخيل أصدقاء وهميين يُشعرونها بمزيد من الأمان.

أهمية الأصدقاء الحقيقيين والوهميين

صحيح أن الأطفال يبدأون باللعب مبكراً مع بعضهم إلا أنهم بين سن الثالثة والرابعة من أعمارهم يبدأون بالتعاون مع بعضهم أثناء اللعب التمثيلي. سوف يبحثون عن صديق يشاركهم لعبة حفلة الشاي التي سيقومونها للدمى أو في بناء قلعة من الرمل سيهاجمها جنود وهميون. قد يدفع الأطفال في هذه السن عرباتهم على نفس الطريق وقد يبعد أحدهم عربة الآخرين عن الطريق. تكون الاختلافات بين الأطفال أثناء اللعب أقل مما كانت عليه قبل ستة شهور وسيفهم الأطفال أن مشاركة الآخرين في اللعب وتبادل الأدوار يستحق شيئاً من الصبر لأن متعة اللعب تتضاعف عندما يكثر الأولاد. في هذه السن يبني الأطفال أفكارهم معاً حول كيف يمكن أن يلعبوا مع بعضهم ويحيكوا المكائد ويدعم بعضهم بعضاً.

إذا لاحظت أن طفلك وشريكها في اللعب لا يستطيعان الاستمرار في لعب الدراما من المناسب جداً أن تتدخل وتصبحي جزءاً من الدراما وتحاولي تحريض التفاعل بينهما. إذا أرادت إحدى الطفلتين الانسحاب حاولي أن توجدي شيئاً من الترقب أو الإثارة يمكن أن يشدها إلى اللعب من جديد. قد لا تستطيعين إبقائها في اللعب فترة طويلة لكن كل دقيقة إضافية من التفاعل ستساعدها على ممارسة الربط المنطقي بين أفكارها وأفكار الطفلة الأخرى.

بين السنة الثالثة والرابعة من العمر وخصوصاً عندما يبدأ التفكير الثلاثي عند الأطفال وتزداد قدرتهم على التفاعل مع عدة أشخاص معاً ويصبح من السهل على بعض الأطفال التفاعل ضمن مجموعات صغيرة. فهم يستطيعون بسهولة أن ينتقلوا من صديق إلى آخر أو أن يرتبطوا بطفلين أو بثلاثة أطفال معاً وهم يلعبون لعبة المنزل. فأحدهم قد يمثل دور الأم والثاني دور الأب والثالث دور الطفل.

بعض الأطفال يحتاجون إلى مزيدٍ من الممارسة ليتمكنوا من التفاعل مع الآخرين في مجموعة. إذا كانت هذه هي الحال يستطيع الكبار أن يتدخلوا ويلعبوا دور المحرّض على التفاعل من خلال ابتكار المواقف وقول بعض الأشياء البسيطة مثل «هل يمكنك أن تطلب من سوزي أن تعطيني رداء الرجل الوطواط؟».

في بعض الأحيان يستطيع الأطفال أن يتخيّلوا أصدقاء وهميين. إن الطفل وهو يتعلم التفريق بين ما هو حقيقي وما هو وهمي قد يرتاح أحياناً عند اللجوء إلى مثل هذه الجزر من الخيال. إذا سمعتِ طفلتك تتحدث مع صديقٍ وهمي شاركيها في هذا الحديث، إن ذلك سيساعدها على الربط بين عالمها الخاص وعلاقتها معك. يمكن هؤلاء الأصدقاء الوهميون الطفل من ممارسة كل الأشياء السيئة والجيدة التي يفكر فيها وهم يشبهون - ألعاب التمثيل أو الدمى التي يلعب بها. سوف تدرك طفلتك مع الوقت أنّ صديقتها من صنع خيالها، وإذا وجدت أنها تكثر من الحديث إلى أصدقائها الوهميين فقد يكون السبب أنك لا توفرين لها فرصاً كافية للعب مع أصدقاء حقيقيين أو معك ومع زوجك. في هذه السن التي يتوجه فيها الطفل إلى اللعب مع المجموعة يجب أن يُمنح أربع فرص أو أكثر للعب مع صديقٍ واحد كلاً أسبوع ووقتاً يومياً للعب مع والديه. عادةً ما يختفي الأصدقاء الوهميون عندما يدخل الطفل إلى المدرسة ويغرق في السياسة التي يقتضيها لعبه مع الآخرين. على كُُلّ حال يستمرُّ بعض الأطفال باللعب مع الدمى لفترة أطول.

القفزات التطورية

عندما تنمو قدرة طفلتك على التفكير العاطفي والتجريدي ستلاحظين تطورها في عدة نواح كاللغة والإحساسات والحركة والمهارات المعرفية. تذكرني أن قدرتها على ربط الأفكار مع بعضها هي الأساس الذي تُبنى عليه كل هذه القدرات. بدون هذا الربط لن تتمكن طفلتك من العمل كشخص

متكامل وسوف تعمل أفكارها بطريقة جزئية. إنَّ اللوحة الموضَّحة في الصفحة 354 تبين بعض القدرات الحركية والحسية واللغوية المرتبطة بقدرة طفلتك على الربط بين أفكارها. تذكري أن هذه المهارات تنمو بسرعات متفاوتة من طفلٍ إلى آخر وقد تأخذ طفلتك وقتها في تحقيق مهارة معينة في حين تتمكن من المهارات الأخرى بسهولة. إن نموَّ الأطفال ليس سباقاً وما دام الطفل يتطور في الاتجاه الصحيح خذي وقتاً كافياً للتمتع بهذه الرحلة معه.

الأهمية الكبيرة للتفكير التجريدي والعاطفي

إن كل التفاعلات العاطفية التي حدثت بينك وبين طفلتك خلال يومها المزدحم - سواء كانت محادثة عادية حول الطعام أو لعبة تمثيلية أو حوار حول رأي معين - سوف تنمي عند طفلتك استراتيجيات التفكير التي ستطبقها فيما بعد في العالم الحقيقي.

هذه الحوادث هي الأساس الذي يستند إليه التفكير المنطقي والتجريدي بما في ذلك التفكير المتعلق بالأمر الغير عاطفية كالأرقام ومفاهيم الكمية. على سبيل المثال: أفضل فرصة لتعلم الفرق بين ثلاث قبلاط حلوة وقطعة أخرى من الحلوى هي عندما يكون فم الطفل مليء ويريد مزيداً منها. لنلق نظرة على الطريقة التي تتطور فيها القدرة على التفكير العاطفي عند الطفل إلى التأمل الذاتي.

القدرات التي يمتلكها الطفل بين الشهرين السادس والثلاثين والثامن والأربعين من عمره



القدرات الحركية

- 36 شهراً: يصعد الأدراج باستخدام قدميه بالتناوب يمسك بكرة كبيرة، يركل كرة كبيرة، يقفز إلى الأمام يقفز على قدم واحدة، يرسم دائرة، يقص الورق، يستطيع فك الأزرار.
- 48 شهراً: يقفز بقدم واحدة فوق الحبل، يقود دراجة، يلتقط ويرمي الكرة، يمسك قلم الرصاص أو قلم التلوين ويرسم ستة أشكال بسيطة كخط مستقيم ودائرة، يبدي أيّ من يديه يستطيع استخدامها بشكل أفضل، يُدخل الخرز المثقوب في خيط.

القدرات الحسيّة

- 36 شهراً و48 شهراً: يتحمل ويتمتع بأنواع مختلفة من الحركات (العناق، الشجار، أنواع مختلفة من ارتداء الملابس، فرشاة الأسنان وتمشيط الشعر) لا يضطرب من الأصوات العالية أو الألوان البراقة أو الحركة ضمن الفراغ.

القدرات اللغوية

- 36 شهراً: يفهم ويبني جسوراً منطقية بين الأفكار ويضعها في جملة واحدة، يستخدم (لكن) و(لأن)، يجيب على الأسئلة التي تبدأ بمن وماذا وأين، يفسّر التصرفات والأفعال، يستخدم صيغة الجمع، يستخدم حرفي جر.

- 48 شهراً: يفسر الأسئلة المعقدة التي تبدأ بـ «لماذا» مثل (لماذا نريد منزلاً؟) يستطيع التعبير عن الأفكار التي تدل على فهمه لنسبية المشاعر والأمنيات والرغبات (أنا غاضب قليلاً) يستطيع أن يكرّر جملاً مؤلفة من أربع إلى خمس كلمات، يستطيع أن يكرر أربعة أو خمسة أرقام عشوائية.

القدرات المعرفية

- 36 شهراً: يؤلف ألعاباً تمثيلية ذات بناء منطقي (تكون الأفكار التخيلية فيها مرتبطة ببعضها)، يكون تصميمات في الفراغ معقدة ومتراكبة (بيت مكوّن من غرف متصلة ببعضها)، يميّز كلمتي «كبير» و«صغير» كجزء من إدراكه للكمّيات، يستطيع أن يميّز الأشياء بوظائفها كجزء من قدرته على تصنيف الأمور بشكل تجريدي.
- 48 شهراً: يستطيع أن يشير إلى صور الأشياء كجواب على بعض الأسئلة مثل «ماذا أكلت؟» «ما الذي يجعل الطعام ساخناً»، يستطيع التعامل مع المفاهيم الكميّة «أيها أكبر، أي الصندوق فيه قطع أكثر من الرخام؟» يستطيع أن يميّز المتشابهات والمختلفات بين الأشكال والأفعال «مثلث مقابل مثلث، الناس مقابل الحيوانات» يستطيع أن يتذكر ويفسّر الخبرات التي حدثت في الماضي القريب.

التأمل الذاتي:

في الماضي القريب كان طفلك قادراً على قول «أنا غاضب» عندما يُبعد عن أخته التي يريد قرصها. بعد شهور قد يصبح قادراً على قول «أنا غاضب وأريد أن أقرصها» وهو أفضل بكثير من أن يقرصها فعلاً. ومع ذلك

يظلُّ الطفل مدفوعاً بتأثير عواطفه الآنية أما الآن فقد خطأ خطوة كبيرة إلى الأمام وأصبح قادراً على أن يربط بين مشاعر الغضب عنده والسبب الذي أدّى إلى هذه المشاعر. يستطيع الآن أن يدرك أنه غاضبٌ من أخته «لأنها أخذت علبة الألوان الجديدة الخاصة به دون إذنه». في التأمل الذاتي يبدأ الطفل بالتفكير بمشاعره أو البحث عن حلّ بديل بدلاً من استخدام الأفكار لتبرير تصرفاته. إنه قادرٌ الآن على التراجع خطوة إلى الخلف بعيداً عن مشاعره والدخول في مفاوضاتٍ مع نفسه قبل أن يندفع إلى القيام بسلوكٍ ما (بابا، هذا ليس عدلاً، إنه دوري الآن) ويستطيع أن يستخدم الكلمات للتعبير عن مشاعره للوصول إلى حلّ وسط أو للتخطيط لحلّ آخر بمساعدة شخصٍ آخر. فيما بعد سيتمكن الطفل من تصور نفسه في المستقبل ومن تخيل حلّ يتضمّن أشخاصاً أو أشياء غير موجودة أمامه في الحاضر (أنت غليظ، أما غاضبٌ منك وسأشكيك إلى ماما).

بعد أشهر وسنوات من ممارسة الربط بين أفكاره وأفكارك سيبدأ طفلك بالتفكير بشكلٍ أكثر دقّة - بشكلٍ رمادي وليس أبيض أو أسود (أنت غليظ - أنت غليظ قليلاً) (أنا غاضب - أنا غاضب قليلاً) وسوف يقلُّ استخدامه لطريقة التفكير بكل شيء أو لا شيء. في النهاية سيتمكن طفلك من التفريق بين ما هو حقيقي في وقتٍ معين وما هو موجود في أوقاتٍ أخرى إنه يعلم بما يشعر به الآن (أنت غليظ، أنا غاضب منك) ويستطيع أن يربط بين هذا الشعور مع شعور آخر أكثر ثباتاً عن نفسه وعنك (لقد كنت غليظاً وأنا غاضب منك، لكنني شخصٌ لطيف ولن أصطدم معك. في معظم الأوقات أنت شخصٌ لطيف لذلك سأسامحك هذه المرة) إن طفلك يطور شعوراً بذاته أكثر ترابطاً واستمرارية مما سيساعده على السيطرة على سلوكه.

الوعي الأخلاقي

لأنّ طفلتك تستطيع الآن أن تعبر عن أفكارها وأن تفهم العواقب فقد

تطوّر عندها وعيٌ أخلاقي حقيقي، ويتم ذلك على مراحل، أولاً إذا همّت بسلوكٍ معين تستطيع التنبؤ بالعواقب (إذا ضربتُ أو قرصتُ أختي ستبكي وسأعاقب) أو (إذا ضربتُ أو قرصتُ أختي ستمسكُ بي أُمي ولن تحبني كثيراً بعد اليوم) إن شعور طفلتك المبدئي بما هو صحيح وما هو خاطئ جامد إلى حدٍّ ما فالسلوك المعين سيؤدّي إلى عواقب معينة، فيما بعد ستتمكن طفلتك من التفكير بالعواقب على ضوء ما سيشعر به الشخص الآخر. ستفهم ذلك عقلياً في البداية بدون تعاطف مع الآخرين، فإذا سألتها (إذا ضربت أختك بماذا ستشعرين؟) ستجيبك «ستغضب لكنني لا أبالي لأنني غاضبة أيضاً» مع الوقت ستبدأ طفلتك بالنظر إلى العواقب بطريقةٍ غير شخصية وسوف تأخذ بالحسبان ما قد يحصل لأختها (ستكون منزعة)، فيما بعد عندما تبلغ سن الخامسة وما فوق ستمرُّ في أوقات تريد فيها أن تكون أختها منزعة كثيراً وأوقات تريد فيها أن تكون أختها منزعة قليلاً. قد تلاحظين ذات يوم أن طفلتك غاضبة من أختها وأنها على وشك أن تضربها لأنها كانت قاسية معها. إذا سألت طفلتك عمّا تخطّط له ستجيبك «أريد أن أؤذيها لكي تشعر بالانزعاج وتعرف ما هو الشعور بالانزعاج» وإذا قلتَ لها «أنا فخورة بكِ لأنك لم تضربها، أخبريني لماذا لم تضربها؟» قد تجيبك قائلة: «أنا لست مؤذية، فقط أريد أن أشعرها بشيءٍ من الانزعاج».

في سن الرابعة والنصف تبدأ الطفلة بتصور العواقب وتبدأ فطرياً بالقيام بالأمور بشكلٍ نسبي. بعبارةٍ أخرى إذا قرصها طفلٌ آخر ستقرصه بالمقابل وليس من الضروري أن يتصاعد النزاع بينهما.

إن إدراك طفلتك للسببية سيدفعها أيضاً إلى القيام بأفعال جيدة للآخرين لكي تتلقّى ارتكاساً جيداً بالمقابل ستقول لنفسها «سأعاقب والدتي وأقبلها لكي تعانقني وتقبلني بالمقابل» أو «لقد تأدّت إصبع والدي وسأفركها له» ستصرف الطفلة بطرقٍ معينة لأنها ستكافأ بتعاطفٍ سيشعرها بالسعادة والأمان.

إن الحد الفاصل بين التصرفات المدفوعة بأهداف شخصية وتلك التي تعبر عن الإيثار غير واضح. ولكن مع الوقت سيؤثر كونك لطيفاً معها على حياتها كلها. أولاً إن إحساس الطفل بالصح والخطأ لن يتركز على فعل الأمور السيئة - أو أكثر الأمور سوءاً - (تستطيع أن تضرب صديقتها على أنفها لكنها تختار أن تدفعها فقط)، إن رغبتها في التصرف بشكل لطيف كإحضار الجريدة إلى أمها أو إشراك أخيها في اللعب بدميتها يعتمد كثيراً على جو الدفء والرعاية التي تحيطها به عائلتها. عندما يكون هناك الكثير من الدفء والأجواء العاطفية حول الطفلة (بحيث لا يكون هناك تنافس دائم وخصومة تدفع الطفلة إلى الدخول في عراك دائم لتحقيق رغباتها) فإن ذلك يساعد الطفلة على اكتساب صفتي التصميم والرغبة في التصرف بلطف في آن واحد.

تبدأ الطفلة بفعل الأشياء الجيدة رغبةً في الحصول على عواقب جيدة. فهي تتعلم الاعتماد على ابتسامتك الفخورة وعلى عناق والدها لها عندما تضع حليباً للقطعة الجائعة. وهنا يبدأ الشعور الأخلاقي بالتكوّن مع الرغبة في فعل الأشياء الجيدة وتجنب الأشياء السيئة.

كيف تتحوّل هذه القواعد الأخلاقية إلى ضوابط داخلية؟ ستبدأ طفلتك بربط العواقب بالتصرفات وستبدأ بالتنبؤ مسبقاً بالأحداث. ستقول لنفسها: «إذا أطعمت القطّة سيفخر بي والدي» وسيصبح ذلك محرّضاً داخلياً عندها.

تستطيع الطفلة الآن أن تجلب لنفسها مشاعر إيجابية (أريد أن يبتسم لي أبي بفخر وينظر إليّ بحبّ لذلك سأطعم القطّة) أو قد تقول لنفسها (إذا أخذتُ صحنِي إلى المغسلة ستبتسم لي والدتي وقد تقول إنني طفلة رائعة وتمنحني عناقاً وقبلّة) إنها عندما تفعل الأمور الجيدة تفعلها في البداية لأنها تتوقع ارتكاساً جيداً من أمّها أو أبيها. تعتمد هذه المفاوضات الداخلية على مشاعر فطرية وعلى الصور أكثر من اعتمادها على الكلمات. ومع الوقت

ستتعلم (كجزءٍ من قدرتها على ربط الأفكار) أن تتوقع هزة رأسك الدافئة أو ابتسامتك العريضة التي تعبر عن فخرِك بها. في النهاية ستصل إلى نقطةٍ تتمكن فيها - عن طريق التوقع - أن تُحدث شعوراً أو صورةً أو صوتاً داخلياً وكأن هناك أمماً أو أباً في داخلها يعانقها ويقبلها ويشعرها بالأمان أو يحذرها في بعض الأحيان.

في البداية يأتي هذا التحذير الداخلي أو الشعور بالدفء على شكل صورة أو صوتٍ أحد والديها لكنه يصبح في النهاية صوتها الداخلي. وسوف تشعر بأنها فعلت شيئاً جيداً أو «أنها شخص جيد وأمرٌ جيد أن يقوم الإنسان بأفعالٍ لطيفة» وهذا يشبه الارتياح الداخلي الذي يشعر به الكبار عندما يقدمون خدمةً لصديق والذي تكمن جذوره في الابتسامات الدافئة والمعانقات والشعور بالقرب والقبول الذي يمارسه الطفل من خلال علاقاته المبكرة مع والديه.

من المثير أن نلاحظ أن الناس لا يستطيعون أبداً أن يقدموا للآخرين الشعور بالدفء الداخلي والأمان الذي يريدونه لأنفسهم. بعض الكبار يستطيعون ذلك أكثر من البعض الآخر. هناك من يعتمد على شريك حياته وعائلته في تزويده بدعمٍ ثابتٍ في هذه الحياة. ومن الناس من ينجحون في اجتياز الأوقات الصعبة حتى في جوٍّ من الانتقاد لأنَّ هناك صورة أو شعوراً أو صوتاً داخلياً يخبرهم بأنهم يفعلون الشيء الصحيح. هذا الشعور الداخلي يساعدهم على التماسك لفترةٍ طويلة من الزمن.

إن الشعور أو الصورة أو الصوت الداخلي يحوي مركَّبين اثنين: الجزء الذي يقودك في الاتجاه الإيجابي بدافع القيم والمبادئ والجزء الناقد الذي يُشعرك بالذنب. إن الأطفال يشعرون بهذه المشاعر قبل فترةٍ طويلة من قدرتهم على النطق وعلى أن يقولوا لأنفسهم «أنا فتاة طيبة» أو «هذا فعل لطيف» وتستطيعين أن تري ذلك في ابتسامتهم وهم يقومون بفعلٍ جيد أو في

مشيهم بافتخار أو في الخوف والتوتر الذي يبدو عليهم عندما يأخذون خلسة قطعة أخرى من الحلوى.

حتى في سنواتهم المبكرة يشعر الأطفال أن التصرف بشكل لطيف هو أمرٌ جيد وأن إيذاء الأطفال الآخرين هو أمرٌ سيئ. عندما يتجاوز الطفل القواعد الداخلية التي وضَعها لنفسه يشعر شعوراً سلبياً. هذا الشعور السلبي قد يكون في البداية خوفاً من العقوبة لكنه يصبح فيما بعد شعوراً بالانزعاج. ويصبح الطفل راغباً في تجنب ذلك الشعور بالذنب تماماً كما يشعر الكبار عندما يتصرفون بطريقة لا يفخرون بها فيشعرون بالاستياء من أنفسهم.

عندما تقول طفلتك «أنت قاسية» أو «أكرهك» وتنظرين إليها بغضبٍ بالمقابل ستفهم طفلتك أن للكلمات تأثيراً. إن الأفكار والمشاعر الموجودة داخلها سترتبط بنتيجة نهائية - ارتكاسات السلبي لها. ستدرك طفلتك أن تصرفاتها الحالية يمكن أن يكون لها تأثير في المستقبل وأن باستطاعتها أن تختار الجيد بدل السيئ والصحيح بدل الخطأ. هذا الفهم الجديد يعطيها الفرصة للتحكم بدوافعها. تستطيع الآن أن تستخدم الأفكار لتصوير المشاعر السلبية مثل الغضب مما يمكنها من توقع عواقب غضبها وإيجاد طرق للتعامل معه وتستطيع في بعض الأحيان أن تكتشف لماذا هي غاضبة. إن إدراكها الجديد للصحيح والخطئ سيدفعها إلى تكوين آراءٍ حول الطرق الجيدة والسيئة للتعامل مع الغضب وقد تحاول إتباع قواعدها الخاصة. حتى أنك قد تلاحظين تلون وجهها باللون الأحمر وارتعاش يدها وهي تحاول ألا تضرب صديقتها. هذا النوع من التحكم بالنفس يمثل قفزة واسعة في قدرتها على التعامل مع غضبها وهو أمرٌ يجب تقديره.

إن النظام الأخلاقي الداخلي سيأخذ شكله تدريجياً عند طفلتك مدعوماً بإحساسها الداخلي بالقيم. إن ما تفعله الطفلة - كأن تتصرف بلطفٍ مع أخيها المزعج الصغير - سيشعرها بالتقدير لذاتها. عندما تبلغ العاشرة أو الثانية عشر

من عمرها تستطيع أن تعبر بالألفاظ عن المبادئ التي توجّه سلوكها وتستطيع التفريق بين ما تفعله وما يجب عليها أن تفعله. إذا جمعت بين توقعك الإيجابي عن سلوكها مع وضع الحدود المناسبة ستتمكن طفلك من تحقيق توازنٍ صحيٍّ بين شعورها الإيجابي تجاه نفسها عندما تختار فعل أمورٍ لطيفة وشعورها السلبي عندما تعبر الخط إلى السلوك السلبي.

التفكير الثلاثي:

إن اعتياد طفلك على التفكير الثلاثي يساعدها على وضع حدودها الداخلية. سوف تتجنب دفع صديقتها لأنها ستأخذ بعين الاعتبار مشاعر صديقتها ومشاعر والديها ومشاعرها هي أيضاً. قد تحسُّ في نفس الوقت أنها ستشعر بالسرور إذا انتقمت من صديقتها لأنَّ الأخيرة كسرت دميته. ستدرك أن صديقتها ستزعج لكنها لم تبال بانزعاجها في الوقت الحاضر. وستدرك أيضاً أن والديها قد لا يوافقانها. مما سيضعها في مواجهة السؤال التالي: ما هي الاستجابة التي ستحقق لها أكبر قدر من الشعور بالرضى؟ إذا كانت مهتمة أكثر بتحقيق رضى سريع قد تتجاهل قلقها حول والديها وتدفع صديقتها أما إذا كانت حريصة أكثر على قبول والديها فقد تُعرض عن إيذاء صديقتها وباستطاعتها أن تتوقع شعور والديها بالفخر عندما ستخبرهما (إنني أكره صديقتي، لقد كسرت دميته). عندما تشعر الطفلة في داخلها بقبول والديها لها - حتى لو لم يكونا موجودين قد تمرر فرصة دفع شخصٍ ما لأنها تعلم أن هذا هو التصرف الصحيح.

لماذا قد يتجاهل طفلٌ في الرابعة من عمره رغبته في الانتقام إرضاء لوالديه؟ إذا لم يقدم الوالدان الدفء والرعاية الكافية للطفل ربما بسبب انشغالهما فإنه لن يشعر بالحصول على الدفء والانتباه الكافيين وبالتالي لن يجد الدافع لتبني وجهة نظرهما.

لأن طفلك غاضبة ولأنها أوذيت من قبل صديقتها فقد تهاجمها أو قد

لا تشعر بالغضب لأنها تخشى من عقاب والديها أو من أن يسحبها الدفء الذي يوافرانه لها. في العائلات التي يوجد فيها الكثير من الرعاية والدفء مقروناً بالحدود والتعليمات الصارمة واللطيفة سيشعر الطفل بالحب والتقدير. وكما هو الحال عند جميع الأطفال في سن الثالثة والرابعة قد تشعر طفلتك بالجشع والحاجة إلى مزيدٍ من اللعب والمرح مع أنها قد لعبت بما فيه الكفاية وهنا تأتي فرصتك لكي تعلميها أن لكل شيءٍ حدوداً وهكذا ستتعلم الطفلة تحمّل خيبة الأمل والعيش بدون أن تحصل دائماً على كل ما تريده. على العائلة أن تعلم أطفالها كيف يفعلون الشيء المناسب في الوقت المناسب وذلك بتوفير مظلةٍ من الحب مع الحدود اللازمة. إن التعاطف اللامحدود الذي يبديه الوالدان تجاه أطفالهم سوف يحسّن من نظرتهم لأنفسهم ولوالديهم ويدفعهم إلى إرضاء والديهم والحدود التي يضعانها سوف تساعد الأطفال على التحكم بجشعهم أيضاً.

الحفاظ على وجهة النظر والمزاج

طالما أن طفلتك تتعلم الآن كيف تتحكم بدوافعها وكيف تختار سلوكاً جيداً بدلاً من السلوك السيئ وكيف ترى علاقة السبب والنتيجة بين أفكارها وأفكارك خلال هذه المرحلة من تطورها فهي أكثر قدرة الآن على المحافظة على وجهة نظرها وعلى مزاج ثابت أثناء تعاملها مع طيف من المشاعر القويّة. سيكون ابتعادها عنك أقل صعوبةً بالنسبة لها لأنها تستطيع الآن أن تستحضر صوراً عديدة الإحساسات لك وأفكاراً عنك للفترة التي تحتاج إليها لكي تشعر بالتحسن. لأن طفلتك تستطيع أن تبني جسوراً بين أفكارها لم تعد ضحيةً للخطة الراهنة. إن أفكارها يمكن أن تنتقل عبر الزمان والمكان ومن موضوع إلى آخر لذلك عندما تشتاق إلى والدها تحدّث نفسها قائلة «أشعر بالانزعاج الآن ولكن عندما يعود إلى المنزل سأشعر بالتحسن» إنها تتوقع أن تكون مشاعرها أفضل وبالتالي تهدئ نفسها بدل أن تكون مذعورة.

وإذا كان يومها مُتعباً في المدرسة ستحدّث نفسها وتقول «سُشعرني والدتي بشعور أفضل عندما تأخذني إلى المنزل وقت الغداء» إن قدرتها على ربط الصور والمشاعر ستمكّنها من الإحساس بالصورة الكاملة لمشاعرها بدلاً من أن تضع في شعور واحد فقط. وهكذا يصبح مزاجها أكثر استقراراً.

اعتاد بعض الأطفال على الاستسلام لمشاعر اللحظة الرّاهنة وهؤلاء يجدون أنفسهم مدفوعين للتعامل مع الموقف الذي يشعرون فيه بالسلبية أو الظلم. قد تبدأ طفلتك بالتفكير كما يلي «كل من في المدرسة يكرهني وهم يفعلون ذلك دائماً» نتيجة لذلك لن تستسلم فقط وإنما ستصرف على هذا الأساس أيضاً وقد تستمر في صنع الظروف السلبية وبالتالي في مزاجها السلبي. باستطاعتك أن تساعدي طفلتك على تثبيت مزاجها والنظر إلى ما وراء ارتكاسها المباشر بالتعاطف مع مشاعر الأسف عندها. إن دفأك وتعاطفك سيضع مشاعر التقبل إلى جانب مشاعرها السلبية، عندما تقولين لها: «أوه عزيزتي، أعلم أنه من الصعب أن تلعب لوحيدك عندما يذهب الأطفال الآخرون» سوف يزودها دفؤك بجسر يوصلها إلى مشاعر أكثر إيجابية. تستطيعان فيما بعد أن تستخدم العصف الذهني لإيجاد حلول بديلة كالبحث عن أطفال آخرين للعب معهم. إذا قلت لها «توقفي عن الشعور بالأسف» في محاولة لرفع معنوياتها فإن كلمات كهذه سوف تؤكّد مشاعرها السلبية. ستشعر بأنها إنسان سيئ أو تافه إن رسالة كهذه تؤكّد لها أنها إنسان سيئ لأنها تشعر بما يشعر به الإنسان السيئ! عندما تدرك الطفلة أن الغد أو ظرفاً آخر أو صديقاً آخر قد يؤدي إلى أوقات أكثر سعادة ستتعلم أن تجربة واحدة معزولة لا تقتضي شعورها بالإحباط كما أنها ستدرك أنه بالرغم من مشاعرها السلبية فهي تستطيع أن تتحمّل الحزن والفقد والانتظار وصحيح أنها لن تكون في ظروف سارة في كل الأوقات لكنها لن تكون دائماً في ظروف مأساوية. وهكذا عندما ترى طفلتك الصورة الأكبر ستصبح أكثر انفتاحاً على الخبرات الإيجابية الجديدة. في سنوات ما قبل المدرسة قد يسيطر على

الطفل شعورٌ قويٌّ واحد ومع الوقت وبمساعدة والديه وتهدئتهم له سيرى الصورة الكبيرة وسيصبح مزاجه أكثر استقراراً.

تطور تقدير الذات

يتطور تقدير الذات عند الطفلة في هذه المرحلة لأنها أصبحت قادرة على بناء جسورٍ بين ما تفعله وتشعر به وتفكرُ فيه من جهة والعواقب المكوّنة مما تقولينه لها وما تفعلين وما تشعرين وما تفكرين فيه من جهة أخرى. تستطيع طفلتك الآن أن تربط بين حالتها العقلية وحالتك العقلية قبل سنة من الآن كانت عندما تلعب مع أخيها تنتبه إلى تعابير السرور على وجهك لكنها لا تستطيع أن تستنتج أن سلوكها الاجتماعي هو الذي دفعك إلى الابتسام. تستطيع الآن أن تربط بين هاتين الفكرتين وتقول لنفسها «إذا لعبتُ مع أخي الصغير ستفخر بي والدتي وستنظر إليّ وتعابير السعادة على وجهها» يجري هذا الحوار الداخلي على مستوى المشاعر أو الأفكار (التي قد تكون مزيجاً من الصور والكلمات). إن ذلك سيجعل طفلتك تتوقّع سلوكك المستقبلي وتشعر بتقبُّلك قبل أن يحدث هذا التّقبل، وقد تصبح هذه الجسور أكثر انطلاقاً فباستطاعتها أن تستنتج «إذا لعبتُ مع أخي سوف تُسرُّ والدتي وستأخذني معها إلى العشاءِ غداً».

كذلك فإن الطفلة التي تبلغ سنتين من العمر يجب أن ترى حصاناً صغيراً أمامها لكي تشعر بالسرور الناجم عن ركوب الحصان، أما طفلتك البالغة أربع سنوات فهي تستطيع أن تشعر بإثارة حقيقية وأن تبتسم بملء فيها وهي جالسة في السيارة قبل أن ترى الحديقة التي تريد أن تأخذها إليها. إنها تستطيع الابتسام والشعور بالسعادة مُسبقاً لأنها قادرة على تصور نفسها وهي تركب الحصان وهي قادرة على ربط مشاعرها في اللحظة الراهنة بما يمكن أن يحدث في المستقبل القريب. إن قدرتها على بناء هذا الجسر عبر الزمن للوصول إلى عمل ممتع سيولّد عندها شعوراً إيجابياً قبل حدوث العمل. إن

باستطاعتها الآن أن تحافظ على المشاعر الإيجابية لفترة طويلة من الزمن لأنها لا تحتاج إلى رؤية الحصان للإحساس بهذه المشاعر.

إن شعور طفلك بتقدير الذات يُغذّي الآن من مصدرين: أولاً: الدفء العاطفي والقبول الذي تقدمينه لها ويقدمه أساتذتها ومن يعتني بها وثانياً الصور التي تراها أو الصوت الداخلي الذي تسمعه والناشئة عن حبك وتقديرك لها) في كل مرة تقوم فيها بعملٍ يستحقُّ الشناء. إن هذه الصور تؤكد إحساسها بأنها جيدة وذات قيمة وهذا يشكّل الأساس الذي يُبنى عليه تقديرها الإيجابي لنفسها. إذا تلقت كمية زائدة من التغذية الراجعة السلبية من أصدقائها ووالديها فإن الصوت الداخلي الذي تسمعه سيصبح مصدراً للانتقاد والقلق عندها، وهذا يؤدي إلى الشعور بالهزيمة وانخفاض تقدير الذات. في هذه المرحلة تبدأ طفلك بالشعور بصفاتنا الخاصة ومهاراتها التي تتميز بها. هل هي راقصة أم عداءة أم محاورّة جيدة؟ إن باستطاعتها أن تربط بين ارتكاساتك الإيجابية لها وشعورها بشخصيتها وقدراتها النامية. من المفيد هنا أن يجد الآباء الأمور التي يبدع فيها أبنائهم ويتمتعون بممارستها.

القدرة على الحوار

هناك مهارة مهمة ينميها الطفل خلال هذه الشهور وهي قدرته على الدخول في حوار حقيقي ويحدث ذلك عندما يستطيع الطفل أن يبني أفكاره على أساس استجابات الشخص الآخر وأن يطلق آراءه الخاصة بعد أن يتلقى المعلومات من الآخرين. خلال هذه المرحلة تتعلم طفلك كيف تشكّل جسوراً بين الأفكار المختلفة بما في ذلك أفكارها وأفكارك وذلك يضعها في تماسٍ مع طيفٍ واسع من المشاعر بما في ذلك مشاعر الآخرين. عندما تستجيب الطفلة لأفكار الآخرين وتبني على أساسها وليس على أساس أفكارها فقط فهي تدخل في حوارٍ مع الآخر.

بعض الأطفال يوصلون أفكارهم إلى الآخرين فقط ونادراً ما يبنون على

استجابات الآخرين. فطفلة في الرابعة من عمرها قد تأتي من المدرسة إلى المنزل وتلعب دور الملكة بعد أن رأت مشهداً للملكة في مدرستها. قد تطلب هذه الطفلة من أمها أن تساعدتها في الإمساك بثوبها الملكي التخيلي لكنها تتجاهل تماماً أسئلة أمها عما تريد الملكة أن تفعله ومع من تريد أن تلعب (في الحقيقة كلنا يعلم بعضاً من الكبار الذين لا يحبون إلا أصواتهم ويبدون اهتماماً قليلاً بمشاركة الآخرين في حوار حقيقي) لحسن الحظ هناك عدة استراتيجيات يمكن استخدامها لمساعدة الطفل على بناء جسور بين أفكاره وأفكار الآخرين وسناقش ذلك في الفصل القادم.

قبل أن نمضي قدماً لتصور الزيادة الهائلة في نشاط دماغ طفلك وهي تتعلم التفكير المنطقي وبناء جسور بين مجموعات من الأفكار السريعة والمتزايدة. لقد وُجد أنه خلال هذه الفترة يحدث قفزة في نمو دماغ الطفل وفي استقلاب الغلوكوز بما يعادل ضعف الاستقلاب في أدمغة الكبار. إن دماغه أكثر نشاطاً من دماغ الكبار (يظهر ذلك بقياس النشاط الكهربائي للدماغ EEG) ويحدث هذا النشاط في منطقتين مهمتين في الدماغ متعلقتين باللغة وهما المسؤولتان عن ابتكار الكلمات وفهم كلمات الأشخاص الآخرين. لقد اعتاد أكثرنا على قياس أهمية هذه المرحلة (بالنظر إلى تطور اللغة) من خلال نمو القاموس اللفظي الذي يستخدمه الأطفال - والذي يتضاعف ما بين سن ثلاثة وخمس سنوات - ولكن التطور الأهم الذي يحصل هنا هو في بناء الجسور بين الأفكار والكلمات والمفاهيم المختلفة. إن نمو القاموس اللفظي الذي تستخدمه طفلك هو السبب الأكبر وراء نمو قدرتها على التفكير. إن كل كلمة من الألفي كلمة الجديدة التي تعلمتها سترتبط بالكلمات الأخرى بواسطة عدد هائل من الروابط. هذه الروابط هي التي تنمي التفكير الإبداعي والمنطقي والتجريدي لديها.

مساعدة طفلتك على التفكير العاطفي والتجريدي

إن دورك الرئيسي خلال هذه الشهور هو مساعدة طفلتك على الربط بين أفكارها وتطوير فهم منطقي للعالم. عليك أن تتركها تقود الحوارات وألعاب التمثيل بينكما وأن تنتهي إلى الجوانب التي تتجذب فيها الربط بين أفكارها وأفكارك ولا تُلقيها الأفكار المترابطة بالملعة لأنها ستسلك أسهل الطرق وستقبل أفكارك بشكل سلبي بدلاً من أن تقوم بابتكارها.

باختصار يجب أن تشجعي ابتك على بناء الجسور العقلية بنفسها بدلاً من أن تبنيها أنت. كما ناقشنا في مقدمة هذا الفصل ستكونين مشغولة خلال هذه الشهور بلعب دور الشريك الجيد في الألعاب والصدق المحاور وطالب النصح والتعاون مع طفلتك وعليك أن تُطيلي محادثاتك معها باستخدام الحوار المنطقي بجعل دميته تسأل دميته لماذا ذهبت تستكشف الفضاء. إن طفلتك لا تحتاج إلى الإجابة بالطريقة التي قد تُجيبين فيها وقد تنتقل اللعبة من الاعتماد على الحقيقة إلى اللامنطق خلال نفس فترة اللعب. قد تجيب دميته قائلة «كان عليّ الذهاب إلى المريخ لأحضر قطعاً خاصة من الحلوى من أجل حفلة الشاي!».

على الرغم من أن المواضيع التي قد تستخدمها طفلتك للوصول بين أفكارها وأفكارك قد تكون خيالية تماماً إلا أن بُنية الدراما المشتركة التي تقومون بها ستصبح أكثر منطقية شيئاً فشيئاً لأن طفلتك سوف تتعلم كيف تبني جسوراً بين إبداعاتها وإبداعاتك.

إذا حلقت طفلتك في الخيال إلى درجة أصبحت فيها منغلقة على نفسها تستطيعين أن تساعدتها بلطف على الربط المنطقي بين أفكارها بأن تتظاهري بالتشوش وتساألها على سبيل المثال «كيف انتقلنا من حفلة الشاي إلى المريخ؟».

إذا التصقت طفلتك بلعب ميكانيكي غير تفاعلي يمكن أن تساعدتها

على الربط بين أفكارك وتصرفاتك من جهة وأفكارها وتصرفاتها من جهة أخرى. على سبيل المثال: إذا استمرت طفلتك بزحلة دُماها على سطح منحني مرةً بعد أخرى بدلاً من جعلها تتفاعل مع بعضها، باستطاعتك أن تجعلي إحدى الدمى تتساءل «هل نستطيع أن نتزحلق في مكان مميز؟» قد تجيب طفلتك بطريقة مضحكة ولكن منطقية «إننا نتزحلق على القمر!» إذا استمرت في أنماطٍ أحادية متكررة أثناء لعبها حاولي إشراكها في بعض المرح معك، ثم اطرحي عليها أسئلةً ابتداءً (من - ماذا - أين - متى - لماذا - كيف) لتوجدي لها فرصاً للتفكير المنطقي.

الانتقال بين الواقع والخيال

على الرغم من أن إعجاب طفلتك بالقصص الخيالية وألعاب التمثيل هو أمرٌ ممتعٌ إلا أنه من المهم أن تساعدتها على التفريق بين الواقع والخيال. إن ذلك يتطلب منك الكثير من الصبر والوقت. بعض الأحلام تبدو حقيقية للطفل وقد يستغرق الأمر حواراً طويلاً والكثير من عناقات التطمين لمساعدة طفلتك على الاقتناع بعدم وجود وحوشٍ تحت سريرها.

إن التفاعلات التخيلية التي تحدث أثناء ألعاب التمثيل مختلفة على أية حال. إن ألعاب التمثيل في الوقت المناسب للاستجابة لأفكار ومشاعر طفلتك ومساعدتها على إطلاق هذه الأفكار والمشاعر. باستطاعتك أن تسهلي هذا النوع من التفاعل مع طفلتك لتخصيص أوقات للعب على الأرض معها بمعدل نصف ساعة مرةً أو مرتين كل يوم. باستطاعتك أن تساعد طفلتك على إطالة فترة اللعب بطريقة السبب والنتيجة، وأن تتركها لتحدد بنفسها اتجاه اللعب وذلك بتقديم شخصيات جديدة في اللعبة أو بتغيير موضوع اللعبة. إن هدفك أن تساعد طفلتك على متابعة موضوع لعبة التمثيل الذي بدأت به لتوها. فإذا أضمرت دميها ناراً تخيلية لتشوي عليها بعض الذرة يمكن لدميتك أن تقترح شوي اللحم أيضاً. فيما بعد إذا سقطت

دمية طفلكِ على الجبل يمكن لدميتكِ أن تصبح طبيباً وتأخذها إلى المستشفى. إنَّ إدخالكِ لشخصية جديدة إلى الدراما (الطبيب) وتغيير مسرح اللعب إلى سيارة إسعاف ومستشفى سوف يدخل إلى اللعبة عناصر تخيلية على طفلكِ أن تربط بينها الآن منطقياً. إنَّ ذلك يؤدي إلى إدخال مفهوم السبب والنتيجة إلى عالم الأفكار العاطفية التي تعبر عنها طفلكِ في ألعاب التمثيل. إنَّ الطبيعة المنطقية التي تتصف بها تفاعلات طفلكِ ستساعد على إدراك الواقع وبالتدرج ستؤلف تصنيفات منطقية تتضمن الخيال والواقع تصنف فيها خبراتها وتجاربها في الحياة.

طالما بقيت أفكار طفلكِ مرتبطة بأفكاركِ وخاضعة لمنطق السبب والنتيجة ليس من الضروري دائماً أن تقيدي أفكارها الخيالية بقيود الواقع. عندما تبلغ الرابعة من عمرها ستتمكن طفلكِ من الانتقال من مواضيع البطولة الخارقة التي تملك فيها كلُّ قدرات المعجزة إلى نقاش حول ولدٍ كان قاسياً معها في المدرسة.

بمرور الأشهر سيزداد شعوركِ بأنَّ طفلكِ تستطيع بارتياح أن تنتقل بين مواضيع الحقيقة والخيال، وسوف لن تخطئ وتعتقد أنَّ الأبطال الخارقين يستطيعون فعلاً أن يطيروا إلى الأفاص التي شاهدها في الحقيقة. إنَّ قدرتها الجديدة على التفريق بين الخيال والواقع حتى أثناء اللعب هو دليل على أنها أصبحت قادرة الآن على ترتيب أفكارها العاطفية في تصنيفات أكبر. إنَّ المرح في أوقات اللعب على الأرض ورجبتكِ في مساعدتها على الانطلاق في مواضيع اللعب والتفاعل مع الشخصيات والوضعية الجديدة سوف يوفر لها جواً آمناً للتعبير عن أفكارها العاطفية وربطها إلى أفكاركِ وهكذا سوف تصبح هذه الأفكار أكثر منطقية.

في النتيجة إنَّ طفلكِ عندما تربط بين أفكارها (التي تأتي من داخلها) وأفكاركِ (التي تأتي من خارجها) فهي تبني جسوراً بين عالمها الداخلي

الشخصي والعالم الخارجي الموجود خارج جسمها وعقلها. وهي تبتكر هذه الروابط في ألعاب التمثيل وفي الحوارات اليومية عن الفداء أو عن أصدقائها تبني طفلك بالتدرج قدرتها على تمييز الأفكار الحقيقية عن الوهمية، وتتعلم الكثير من الأمور عن الطريقة التي يعمل فيها العالم. إضافة إلى ذلك فإنَّ اشتراك طفلك في اللعب مع شخص واحد وتفاعلاتها مع الأطفال الآخرين في مجموعاتٍ صغيرة سوف ينمِّي قدرتها على التعامل مع أفكار ومشاعر الآخرين. إنَّ نموَّ الشعور بالواقع يغذي علاقات الصداقة وهي بدورها تساعد على التفكير وتطوّر الشعور بالواقع.

عندما تصبح العواطف قويّة

أثناء تعلُّم طفلك ربط الأفكار مع بعضها قد تُربكها بعض العواطف وتسبّب لها في بعض الأحيان الاضطراب والقلق وحتى الانسحاب. وهكذا تصبح أفكارها محدودة أو مقيدة في بعض النواحي.

عندما يحدث ذلك تصبح أقل قدرة على استقبال أفكارك وآرائك. بإمكانك أن تساعد طفلك إذا انتهت إلى أيّ المشاعر وعند أيّ درجة من الشدة يمكن أن تدفع طفلك إلى الاضطراب أو الانسحاب. بعد ذلك بإمكانك أن تقللي من حدّة عاطفة ما أو أن توفري لطفلك مزيداً من التهدئة والدعم. فمثلاً إذا كانت طفلك تتوتّر كثيراً أثناء إجراء سباق للسيارات بين دُماها ودُماك، قد تبدأ بإخراج سياراتها من السباق. إنَّ هذا السلوك يدلُّ على وجود مشكلةٍ عندها في التعامل مع مشاعر التنافس أو العدوانية. بعد تهدئة روعها تستطيعين أن تضعي بعض الحدود التي تساعد على التعامل مع بعض العواطف المزعجة.

كيف تعيدين التوافق مع طفلك الصغيرة؟ أولاً كوني متعاطفةً ودعيتها تعلم أنّك تفهمين مشاعرها «يا بنت، لا بدّ أنّ هذه السيّارة قد زادت سرعتها» أو «أعلم أنّ الأولاد أحياناً يريدون رمي الأشياء». إنَّ ملاحظات من

هذا النوع تركّز على ميل طفلتك إلى الإثارة أكثر من تركيزها على ما يهيجها ويشعرها بالارتباك.

إنّ المقاربة غير المباشرة أفضل بكثير من مواجهة الطفل بسؤاله لماذا تريد أن تكون دميته هي الراححة دوماً.

إنّ التعاطف مع ميول طفلتك سيشعرها بالتواصل والدعم بعد تذكير سريع بأنّ إيذاء الآخرين أو تخريب السيارات برميها هو أمرٌ غير مسموح به. باستطاعتك أن تساعدتها على تهدئة نفسها وإعادة تنظيم مشاعرها. إنّ إضافة بعض التتابعات المنطقية إلى اللعبة يمكن أن يساعد الطفلة على البقاء مع الشعور الذي حاولت تجنبه في البداية. باستطاعتك أن تقومي بأشياء بسيطة كأن تضعي إشارة حمراء تخيلية توجب على جميع سيارات السباق أن تهدئ من سرعتها.

بعد أن ساعدت طفلتك على تهدئة نفسها بإمكانك أن تعودى إلى ربط أفكارها وتصرفاتها بأفكارك وتصرفاتك بأن تقولي لدميتها على لسان دميتك «هل تكرهين السير البطيء؟» أو «هل تريدان إطارات جديدة لتصبحي سريعة مثلي؟» ستكون طفلتك أكثر رغبةً في تمكينك من مساعدتها على بناء جسور بين أفكارها إذا توقفت عند المواضيع التي تجد صعوبةً في التلاؤم معها. خلال الأيام القادمة يمكن أن تلعبى معها ألعاباً تتضمن مواضيع الريح والخسارة والسرعة والبطء وأن تري الأفكار الجديدة التي يمكن أن تنشأ نتيجةً لهذه الألعاب. إنّ تبسيط المواضيع الصعبة عن طريق اللعب مع التنظيم المهدئ والإطلاق المستمر للأفكار هو بحد ذاته عاملٌ مساعدٌ جداً وغالباً ما يمكن الطفل من التعامل مع شعورٍ صعب. أنّ صداقتك الحميمية ستشجّع طفلتك على اكتشاف المشاعر والأفكار التي تعيق تدفق أفكارها وإنّ قربك منها سيخفف من شعورها بالقلق تجاه بعض المشاعر. وهكذا فإنّ إعادة التألف مع طفلتك يجب أن تكون له الأولوية وهو أهم بكثير من

حملها على العودة إلى القصة الأصلية التي كنتما تشاركان فيها أو من دفعها إلى شرح الجهة التي يتجه إليها المشهد الجديد.

إحدى الطرق التي تدلُّك على شعور طفلك بالقلق هي أن تلاحظي انقطاعاً مفاجئاً في موضوع لعبة التمثيل التي تلعبانها أو تغيُّر واضح في الإيماءات أو طريقة اللعب.

تخيَّلي أنكما كنتما تلعبان لعبة المنزل بمجموعةٍ من الدمى وفجأة يدخل عنصر العنف إلى اللعبة فقد تسقط طفلتك الدمية التي تُمسك بها وتحضر مسدس الماء وترمي به هدفاً ما ثم تعود إلى دميته. إنَّ هذا الموضوع الجديد - استخدام المسدس للتعبير عن الغضب - قد تمَّ إدخاله في القضية القديمة.

إنَّ هذا النوع من الانقطاع في تسلسل اللعبة يعني الكثير. فهو يدلُّ على أن طفلتك تشعر ببعض الخطر وتحتاج إلى أن تسلِّح نفسها لمواجهته. قد يكون لديها بعض المخاوف من الأذى الجسدي الذي يكون شائعاً في سنِّ الرابعة. عندما تتركين طفلتك لتقودك في ألعاب التمثيل فأنتِ تُعلمينها أنَّ كلَّ التغيُّرات التي تُحدثها في موضوع اللعبة مثيرة بالنسبة لك. كوني حرةً في إبداء الملاحظات على التصرفات التي تلاحظينها مثل «انظري إلى هذا المسدس المخيف». ولكن لا تُبدي آراءك الخاصة. إذا حاولتِ أن تُعطي الكثير من المعاني لسلوكها غير المنظم كأن تقولي «يا إلهي، تبدين قلقةً جداً، ما الأمر؟» فإنَّك تحرمينها من فرصة بناء جسورها الخاصة بين أفكارها المختلفة، وكلِّما عملتِ على إيجاد هذه الروابط (بدعمك وتعاطفك معها) أصبحت أفكارها أكثر غنىً وتنوعاً.

من المهم أن تدعي طفلتك تُعبِّر عن مخاوفها عن طريق الرموز باستخدام الألعاب والشخصيات التمثيلية. عندما تربط الطفلة مشاعرها السلبية بتصرفات معينة أثناء اللعب فهي تبني جسراً يمكنها من الانتقال من المشاعر الإيجابية إلى المشاعر السلبية وبالعكس.

ربما تلاحظين أن طفلتك تعبر عن مخاوف أخرى كالاتتماد على الآخرين أو الانفصال عنك خلال ألعاب التمثيل التي تلعب فيها الدمى دور الأب أو الأم أو الطفل. إذا جعلت طفلتك فجأة الدمى تتقاتل فيما بينها عند ذهاب الدمية الأب أنت لا تحتاجين إلى الاندفاع ومعاينة طفلتك لأنها تحتاج إلى الطمأنينة حول استمرار حبك لها. إن لعبك معها مطمئنٌ بحد ذاته وعليك أن تتركها تعبر عن أفكارها بدون أن تغيري اتجاه التفاعل بينكما بعيداً عن التمثيل.

كذلك إذا صرخت طفلتك قائلة إنها غاضبة، اجعلي مهمتك أن تجدي لماذا تشعر بالغضب. لا ترسليها إلى غرفتها لأنك ساخطة عليها. إن هذا التصرف سيرسل إشارة إلى ابنتك بأن مشاعرها ستتحسن إذا ابتعدت عنك، بدلاً من ذلك اجعلي استجابتك مرتبطة بمشاعرها منطقياً واستخدمي الأفكار دائماً ولو كانت كلمات طفلتك وألعاب التمثيل التي تقوم بها مزعجة.

صوتان

يكون أحياناً من المفيد أن ترتدي قبعتين وأنت تلعبين مع طفلتك ألعاب التمثيل واحدة تمثل الراوي الذي يصف الأحداث والثانية تمثل الممثل الذي يشارك في اللعب. وطالما جعلت صوتي هذين الشخصين مختلفين فإنك لن تشوشى طفلتك. إن أحد ميزات لعب دور الراوي هو أنك تستطيعين أن تحوّلي بشكل مباشر الأفعال والتعبير العاطفية إلى كلمات ومفاهيم مثل «إنك أمٌ جيّدة» أو «إنك تقبلين طفلتك» ويستطيع الراوي أن يلخص التصرفات والمواضيع العاطفية أثناء لعبكما معاً. إن هذه الملاحظات يمكن أن تساعد الطفل على التراجع إلى الخلف ومراقبة تصرفاته وتسميتها قبل أن يتغير اتجاه القصة العام. إن صوت الراوي هو محرّض مفيد يحرك أحداث الدراما عندما يتشّت انتباه الطفل أو تصبح تصرفاته متكررة. إليك مثلاً عن الطريقة التي يمكن أن يعمل بها الصوتان خلال فترة اللعب على

الأرض مع طفلتك. إذا قلّدت صوت أسدٍ جائع وأنتِ تمسكين بلعبة أسدٍ يتجه إلى دبية تحركها طفلتك، بإمكانك أن تقولِي «أنا أسدٌ أصفر هزيل وأنا قادمٌ للإمساك بكم». قد تستجيب طفلتك بجعل حيواناتها تفرُّ أو القيام بهجوم معاكس. بإمكانك أن تحافظي على استمرار الحوار بأن تقولِي «لن أدعكم تفرّون من مخاليبي» وهنا قد تجيب طفلتك على لسان دبيتها «هناك المزيد منّا ولن نخاف منك! سوف نطلب من أصدقائنا مساعدتنا» عندما يصل قطار الأفكار إلى نتيجة طبيعية بإمكانك أن تغيّري دورك من أسدٍ جائعٍ إلى راوي القصة.

كروايةٍ للقصة يمكن أن تلخّصي الأحداث كما يلي: «إنّ ذلك الأسد العجوز يبدو جائعاً يبحث عن فطورٍ له» أو «لقد كان ذلك قتالاً رائعاً، أتساءل ما الذي سيحدث في الغابة» ستتعلم طفلتك تصنيف الصوتين المختلفين والاستجابة لكلِّ صوتٍ بشكلٍ مختلف. إنّ الإنصات المُرَهَف سيجعل منها منصتة جيّدة. إنّ هذا النوع من التوجيه المعرفي هو القاعدة الأساسية التي سيبنى عليها التعلّم في السنوات القادمة.

الشخصيات المعقّدة في ألعاب التمثيل

إضافة إلى الانضمام إلى ألعاب التمثيل مع طفلتك والقيام بدور الراوي أحياناً باستطاعتك أن تضيفي بعض التعقيدات إلى شخصياتك. إذا لعبت دور الشرير حاولي أن تُظهري بعض اللطف تجاه الدمية المصابة، وإذا لعبت دور سوبرمان أظهري عليه بعض الخوف أحياناً، وإذا كان دورك يمثل المكتشف الشجاع اجعليه ينسى ربط حذائه. قد تتشوّش طفلتك في البداية لكنّها ستتعلم بناء جسور بين الصفات المتوقّعة وغير المتوقّعة في الشخصيات. في النهاية ستقوم بنفسها بابتكار شخصياتٍ أكثر تعقيداً من الناحية النفسية.

اكتشاف كلا الجانبين

هناك طريقة أخرى تساعد فيها طفلتك على التعامل بارتياح مع طيف

معتقد من المشاعر وهي أن تساعديها على تضخيم جوانب الموضوع الذي يتضمن صراعاً. قد تلاحظين أنها تمثل موضوعين متناقضين في آن واحد تقريباً. إحدئ الدمى الأولاد قد تعانق الدمية الأم ثم فجأة تذهب في إجازة لوحدها. شجعي طفلتك على اكتشاف كلا الموضوعين الموجودين في هذه اللعبة - العناية والانفعال. اجعلي شخصيتك تسأل عن المشاعر السلبية التي يشعر بها من يُترك لوحده وتلك الإيجابية المرافقة للاكتشاف. سوف تزيد من إدراك طفلتك بأنه من المحتمل أن يشعر المرء بنوعين من المشاعر القوية في نفس الظروف وأن مشاعرها القوية مقبولة ومفهومة.

تشجيع الحوار

في كل مرة تشجعين طفلتك على استخدام منطقتها العاطفية وتشاركينها في حوارات ومفاوضات ستزيدين من قدرتها على التعامل مع الغضب والإحباط وسترفعين من تقديرها لذاتها في نفس الوقت. إن مشاركتكما المشحونة عاطفياً ستعلم طفلتك أن للأشخاص الآخرين رغبات وأفكار مثلها تماماً. ولأنك تُظهرين لطفلك احترامك لما تقوله حتى ولو لم تلبي رغباتها في كل الأوقات سوف تصبح أكثر رغبة في الوصول إلى تسويات وستستخدم أفكارك كمنصة وثوب للوصول إلى أفكار جديدة من صنعها.

خلال ألعاب التمثيل تستطيعين أن تساعدي طفلتك على التقاط أفكارك بأن تجعلي شخصيتك التمثيلية ملحة في عرض أفكارها «انتظري لحظة، أنت لم تجيبي على سؤالي/ أنت لم تتبعي تعليماتي/ أنت لم تحضري لي ما أريده» عندما تأخذ طفلك أفكار ووجهة نظر شخصيتك التمثيلية بعين الاعتبار ستعلم أنه قد يكون من المحبط أحياناً أخذ ومعالجة أفكار الآخرين أثناء النقاش لكن النتيجة من ذلك تستحق بذل الجهد من أجلها. بإمكانك أن تحاولي طريقة أخرى مباشرة أكثر، وهي أن تدعي شخصيتك التمثيلية تُبدي العناد بسؤال الشخصية التمثيلية الخاصة بطفلك «لماذا يجب دائماً أن تمضي الأمور كما تريد؟» خلال محاوراتكما معاً تستطيعين أن تتظاهري بأنك

طفلة أيضاً وأن تتصرّف في بعنادٍ مثلها تماماً. شيئاً فشيئاً سوف تتخلّى طفلتك عن إصرارها على التحكّم بكلّ التصرفات وسوف تتعلّم فن التسوية الرفيع. سوف تجد أنّ تبادل الأفكار وقبول الاقتراحات من الأشخاص الآخرين يجعل أوقات اللعب والمحادثات مع الأشخاص الآخرين أكثر مرحاً ويطيّلها لفترة أطول.

عندما تختلفين مع طفلتك دعيها تخبرك لماذا أنتِ على خطأ. إذا شعرتِ بميلٍ للدفاع عن نفسك عليك أن تطمئني نفسك بأنّ هذا الشعور أمرٌ طبيعي. دعيها ترى كيف تتمتعين بالاختلافات الحقيقية في الرأي بينكما وترحبين بالحوار. اسألي طفلتك عن رأيها في كلّ شيء. حتى لو كانت تتجاهل اقتراحاتك وتقوم بالأمر بالطريقة التي تعجبها ستظلّ منخرطة في التفكير المنطقي من خلال تفاعلها معك. كلّما كانت حواراتكما عاطفية وحيوية ستمتّع طفلتك باستخدام قدرتها على التفكير.

العواطف وتصنيف الأفكار والتفكير التجريدي

تساعدنا العواطف على تصنيف الأفكار إلى: جيّدة وسيئة متشابهة ومتماثلة. إنّنا نستخدم العواطف لتساعدنا على إيجاد الأنماط والمعاني في العالم وعلى الإدراك المنطقي لما يحيط بنا. إذا كانت دمية طفلتك تحاول لبس ثيابها يمكن لدميتها أن تسألها قائلة «ما هو ثوبك المفضّل؟» إنّ سؤالاً كهذا سوف يشجّع طفلتك على تصنيف الملابس إلى مفضّلة وغير مفضّلة. عندما تسألين طفلتك البالغة من العمر أربع سنوات «لماذا تفضّلين هذه الملابس» قد يكون جوابها «لأنّها جميلة أو جذابة أو على الموضة. احذري أن تطرحي الأسئلة كفاحص واجعليها جزءاً من نقاشٍ مرح. إذا بالغتِ في طرح الأسئلة قد تتراجع طفلتك وتقول لك «دعيني وشأني، إنّك تسألين الكثير من الأسئلة» طالما كانت هناك نغمة محبّبة في صوتك ونظرة إعجاب في عينيك فإنّ الأسئلة لن تزعج طفلتك.

إنَّ طفلتك تتعلَّم كيف تستخدم عواطفها بشكلٍ منطقي لكي تقارن بين أفكارٍ مختلفة وترى كيف يمكن وضعها مع بعضها في مجموعاتٍ أكبر. بإمكانك أن تساعد طفلتك على تعلُّم المفاهيم المختلفة التي تشمل العلاقات بين الأشياء (أكبر / أصغر، أكثر / أقل، أقرب / أبعد) بتوجيه أسئلةٍ توضح الأمور بالنسبة إليها «من يملك الكلب الأكبر؟» أو «أيُّ سيَّارة إطفاء تملك «صفَّارة إنذار ذات صوتٍ أعلى». إذا كنتما تمثلان دور الضفادع التي تقفز من البركة أسألها إن كانت ستقفز «إلى الأعلى قليلاً أو إلى الأعلى كثيراً». فيما بعد ستفهم طيفاً واسعاً من الكلمات التجريدية كالحبِّ مثلاً لأنَّها نشأت بشكلٍ متشابه من سياقاتٍ متعدِّدة تمَّ فيها مقارنة العواطف والصفات وتصنيفها. سوف يعني الحب بالنسبة لها: الكثير من العناق، الكثير من العطاء، التعافي من الغضب بسهولة وعادة إثارة الآخرين على النفس.

رؤية الغابة والأشجار معاً.

إنَّ ألعاب التمثيل والنقاشات اليومية غالباً ما تدفع طفلتك إلى وضع التفاصيل في موضوعٍ متماسك. إذا كنتما تلعبان لعبة المطاردة في المنزل، توقَّفي لحظة وتظاهري بالاضطراب واسألها «لماذا نطارده بعضنا؟» سوف تشرح شريكك في اللعب الموضوع الواسع الذي يشمل تصرفاتكما المشتركة. بعد ذلك اسألها طفلتك عن بعض التفاصيل «ما الأمر السيِّء الذي فعلته؟» أو «ماذا ستفعلين عندما تمسكين بي؟» لاحظي إن كانت ستضع قائمة من الأسباب التي يكون كل سبب منها تفصيلاً يدعم الموضوع الأساسي عندما تشجعين طفلتك على الكلام على المستويين العام والخاص فإنك تساعدتها على أن تصبح أكثر مرونة في تفكيرها. لا تغرقها بالكثير من الأسئلة فأنت لا تريدين أن تفسدي التلقائية والمتعة التي يتصف بها حواركما المشترك.

تمييز المواهب وتقوية نقاط الضعف

من المهم أن تدركي أنَّ الأطفال في سنِّ الثالثة أو الرابعة لا يتساوون

في مقدرتهم على فهم المتابعات اللفظية المعقدة. بعض الأطفال قد لا يتمتعون كثيراً بالألعاب التمثيل أو رواية القصص في حين يبدون مهارة فائقة في شقّ طريقهم وهم يلعبون بين غرف المنزل. في فترة مبكرة قد يبدي هؤلاء الأطفال تفضيلاً واضحاً لتطبيق تفكير ربط الأسباب بالنتائج على التشكيل الفراغي. فقد يبنون أبراجاً بالمكعبات ذات تصميم رائع ويتمتعون بصفّ الوسائد والصناديق لتشكيل سفن فضائية وحظائر متنوّعة. صحيح أنّك قد تحاولين تعليم طفلك كيف تطبّق التفكير الفراغي المعتمد على ربط السبب بالنتيجة على التفاعلات الشخصية لكن تأكّدي من إعلامها بمدى فخرِك بإنجازاتها في الوقت الحالي.

أريها مدى إعجابك بمواهبها بالحديث عن بيتها أو مدينتها الرائعة المبنية بالمكعبات. انتهزي الفرص لبناء دراما عن الحيوانات أو الأشخاص الذين يعيشون في الأبنية التي تصمّمها طفلك. هناك الكثير من الفرص للتفاعل مع طفلك أثناء بناء القلاع، إنّ فهمها الفطري بأنّ وضع المكعبات بشكلٍ معيّن سوف يؤدّي إلى بناء قلعة سوف يرتبط مع إدراكها بأنّ الطفلة التي تبني القلاع تحبّ العناق وأنّها إذا عانقت أمها أو أبها أو رحّبت بهما بشكلٍ أو بآخر فإنّ ذلك سيمنحها شعوراً بالسعادة.

أثناء ذلك اعتمدي على نقاط القوة عند طفلك وساعديها على التعبير عن مهارات التفكير غير اللفظية التي تتمتع بها. إنّ قدراتها البصرية الفراغية ستشكّل الأساس الذي ستبني عليه قدرتها على إدراك الاتجاه والتفكير بالخواص الفيزيائية للعالم وفيما بعد فهم بعض المواضيع كالفيزياء والرياضيات.

وفري لطفلك الفرص لاكتشاف الأشياء المخبّأة وشقّ طريقها في المتاهات. إنّ اكتشاف الكنوز المخبّأة وتجميع الصور المجزأة وألعاب البطاقات التي تعتمد على الذاكرة وغير ذلك من الألعاب التي يحاول فيها

الطفل أن يحزر إلى أين يتحرك وأين توجد الأشياء المحبّأة. تستهوي الطفل صاحب القدرات البصرية النامية، وهي تدفعه إلى اكتشاف المزيد من العلاقات الفراغية المعقدة. وتغريه في نفس الوقت بالاستجابة لإيماءاتك اللفظية والبناء عليها. شجّعي طفلتك على تنفيذ الدراما التمثيلية في الأجواء المادّية التي تبتكرها.

الثناء الفعّال

من الواضح أن الطفل الذي اعتاد على فعل الأشياء ولديه قدرة جيّدة على التحكم بحركاته ويستطيع أن يمسك بالكرة ويقذف بها، ويستطيع أن يكتب اسمه سيجد من السهل عليه القيام بالأمر التي يعلم أنها تستحق الثناء. وغالباً ما يبدي والداه إعجابهما بقدراته. سوف يدرك المشاعر الدافئة واللطيفة الصادرة عنهما عدة مرات خلال اليوم وسوف يشعر داخلياً بقبولهما له. بالمقابل إن الطفل الذي لا يعمل جسده بنفس القدر من الانسيابية قد يوقع الأشياء وقد يجد صعوبة في الكلام أو في كتابة اسمه أو في التحكم بدوافعه. في مثل هذه الظروف قد يوفّر الوالدان الكثير من التشجيع لكن نبرة صوتهما وإيماءاتهما قد تكون محبطة.

في الماضي كانت كتب الأطفال غالباً ما تنصح الآباء والأمهات الذين يعاني أولادهم من صعوبات معينة أن ينتهزوا الفرص لإغراقهم بعبارات الثناء لكن تأثير تعابير الوجه ونبرة الصوت على الطفل لم يتم التركيز عليها جيّداً.

إن الأطفال يصدّقون رسائل آبائهم وأمهاتهم الغير لفظية أكثر بكثير من الكلمات التي يتفوهون بها. إن نبرة الضجر والتأفف التي تظهر في صوتك وأنت تقولين لطفلتك «محاولة جيّدة»، وهي تُسقط الكرة من يدها للمرة العاشرة سوف تنقل لها رسالة مُحبطة تقلّل من تقديرها لذاتها بدلاً من أن ترفعه.

لهذا السبب ليس من المفاجئ أن الأطفال الذين يعانون من صعوبات

معيّنة غالباً ما يجدون صعوبة في الحفاظ على مزاج ثابت ومشاعر جيّدة عن أنفسهم. لأنّ جهازهم العصبي يجعل بعض النشاطات صعبة فإنهم قد يعيشون تجارب سلبية. إن الطفل الذي يعاني من مثل هذه الصعوبات سوف يشعر بتوتر ويتوقع العواقب السلبية وأنت تحاولين أن تلعبى معه في المجالات التي يجد صعوبة في التعامل معها. على كل حال كما لاحظنا مع الأطفال الخمسة الذين استعرضناهم خلال هذا الكتاب باستطاعتنا أن نعيد تشكيل تفاعلنا مع أطفالنا ونحوّل الكثير من الخبرات السلبية إلى خبرات إيجابية.

عندما نظرين ببساطة نظرة واقعية إلى نمط طفلك التطوري الخاص به باستطاعتك أن تحاولي إعادة ترتيب توقعاتك وأن تتمنّعي بإنجازاته الحقيقية. بما أن الطفل يميل إلى السرور بأي أمر جديد يستطيع فعله تأكدي من احتفالك بكل خطوة يخطوها إلى الأمام. سوف يُراقبك الطفل بدقة ليرى هل تشاركينه الإثارة أم لا. صفّقي بحرارة عندما تُمسك طفلتك بالقلم وتخريش به على الورق ولو لم تستطع كتابة اسمها. إنها لا تعرف ما هي علامات التطور الطبيعي في كل مرحلة لذلك كوني معها حيثما كانت وشاركها مُنعتها.

غالباً ما نقلق بسبب مقارنة طفلنا لنفسه بغيره من الأطفال وشعوره بالإحباط. على كل حال يجب أن ندرك أن مقارنة أنفسنا بالآخرين هي مهارة متطورة جداً وتلعب دوراً كبيراً في تعلّم كيفية القيام بالأمور اجتماعياً إذا تعلم طفلك هذه المهارة. حتى الأطفال الذين يعانون من صعوبات شديدة في التعلم يمكن أن يشعروا بتقدير عالٍ لأنفسهم إذا أبدى آباؤهم وأمهاتهم سرورهم الحقيقي وفخرهم بإنجازات هؤلاء الأطفال. إن شعور طفلتك بتقدير الذات يرتبط بشكل وثيق بإحساسها بأنك تثمين كل جوانب شخصيتها وليس فقط بعض الخواص التي تتصف بها. عندما تدرك في داخلها إعجابك بكل ميزاتها فإن شعورها بقيمة ذاتها سوف ينمو باستمرار.

وضع الحدود والتفكير

عندما تشجعين طفلتك البالغة ثلاث أو أربع سنوات من العمر على اكتشاف طيف كامل من المشاعر والأفكار خلال ألعاب التمثيل بما في ذلك مشاعر الإحباط والغضب فأنت لا توحين لها بأن عليها أن تتصرف بمقتضى هذه المشاعر في الحقيقة.

عندما تمنين قدرة طفلتك على التعبير عن أفكار الغضب والعدوانية خلال ألعاب التمثيل فإنك تثبتين حقك في وضع حدودٍ نسبية - إذا لزم الأمر - على سلوكها الغاضب أو العدوانية.

لذلك إن اللعب التمثيلي لا يقوم مقام العقوبة وإنما يدعمها، كما قلنا من قبل إن قواعد اللعب التمثيلي بسيطة: يجب على طفلتك أن لا تؤذي أحداً وأن لا تكسر شيئاً.

عندما تتوتر طفلتك أثناء ألعاب التمثيل وتبدأ بالتصرف بطريقة غير منظّمة عندها يجب أن تتدخل وتضعي بعض الحدود المريحة. إذا لم تستطعي صرفها عن أعمال التخريب وكانت الألعاب تتطير في الهواء انظري إلى عينيها مباشرة وقولي لها بنبرة دافئة «هذا ليس مسموحاً» لا تبالغي في ردة فعلك، إن نبرتك يجب أن تنقل إحساساً بأنه على الرغم من اضطرارك لأن تقولي لها «لا» فإنك لا تفعلين ذلك لأنك غاضبة ولكن لأن صديقتك في اللعب تحتاج إلى المساعدة في السيطرة على نفسها. إن ذلك سوف يعطي طفلتك الثقة بأنها تستطيع السيطرة على غضبها وأنها ليست قوية إلى درجة تستطيع معها أن تدفعك بعيداً. إذا استمرت فيما تقوم به حاولي أن تُبطني تصرفاتها وأن تستخدمني نبرة أكثر هدوءاً. إذا بدأت تؤذي طفلاً آخر أو تكسر الأشياء تدخلني بسرعة وبشكل أكثر حزماً وقولي لها بنبرة معبرة «لا، توقف الآن!» أحياناً قد تضطري إلى التدخل جسدياً لمنع طفلتك من إيذاء طفلٍ آخر أو كسر شيءٍ ما. باختصار استخدمتي درجات مختلفة من

الحزم، حسب الضرورة، وتأكدي دائماً من تهدئة طفلك. عندما تؤمنين لها أرضية متينة من الشعور بالأمان أثناء أوقات اللعب سوف تجد قنوات أفضل تعبر من خلالها عن تصميمها إضافةً إلى حبها.

صحيح أن الكثير من الأطفال لا يتنازلون بشكل كامل عن سلوكهم العدواني لأنهم قادرون على التنفيس عن مشاعرهم بهذه الطريقة خلال أوقات اللعب لكن معظمهم يستجيبون في هذه المرحلة للعقوبات الحازمة واللطيفة أكثر من أي مرحلة أخرى. إنهم يحرصون على الحصول على قبولك ويفخرون بفعل الأشياء التي ترضيك. على سبيل المثال: إذا أخبرت طفلة في الرابعة من عمرها أن تنظف حذاءها من الطين قبل دخول المنزل قد تفعل ذلك وتقول لك «أنظري إلى حذائي النظيف، ألسْتُ طفلةً جيدة؟» ومع ذلك في يوم آخر عندما يكون مزاجها سيئاً قد تحدد بك بهدوء وتمشي بشكل متعمد بحذائها الوسخ على السجادة وكأنها تتعمد دفعك إلى معاقبتها.

لذلك تمتعي بأوقات الطاعة ولكن لا تعتمد عليها! بإمكانك أن تغذي روح التعاون الجديدة عند طفلك بأن لا تقسي عليها كثيراً عندما تسيء التصرف. تذكري أن رغبة طفلك في تغيير سلوكها تعتمد إلى حد كبير على شعورها بأنك تفخرين بها بشكل عام وتحترمين طبيعتها الخاصة.

إن سوء التصرف الذي يصدر عن طفلك يدل على وجود أفكار مضطربة في عقلها وعلى أنها غاضبة أو محبطة. لنفترض أنك نجحت في تهدئة طفلك ومع أنها توقفت عن رمي لعبها إلا أن شيئاً ما مازال يهيجها. فقد تلاحظين أنها تتحرك بسرعة من جانب إلى آخر في الغرفة أو أنها تجلس أسفل الطاولة وتخربش على الورق بأقلام التلوين وإذا توقفت لحظةً ولاحظت تصرفاتها قد تدركين أن سلوكها غير المنظم يتجلى بشجار بين دُماها، وقد تكون الخريشة التي تملأ بها الورق مصحوبةً بتمتمات الغضب عن ماما وبابا الغبيين وسيوضح بالتدرج أنها تعبر بهذه التصرفات عن مشاعر العدوانية التي تزعجها.

من الواضح أن طفلكِ نجحت في تجميع نفسها بطريقة ما ومواجهة مشاعرها المُربكة. إن دعمك المتعاطف معها وملاحظاتك (لا بد أن هاتان الدميتان غاضبتين من بعضهما) سيساعدها على تغيير نشاطها والمحافظة على موضوع العدوانية ولكن بشكل أقل تهديداً لها أو لغيرها. إن توفير بعض المواد الفنية بجانبها سيزوِّدها بوسائل أخرى تعبر بواسطتها عن مشاعرها القوية. إن دعمك اللطيف لها (لماذا برأيك تتشاجر هاتان الدميتان؟) سوف يدفعها للإجابة بـ (لأنّ) وذلك سيساعدها على الربط بين مشاعرها الغامضة والمزعجة وأفكارها ووضعها في أفكار أكثر تماسكاً.

إذا كانت طفلكِ تحتاج إلى وضع المزيد من الحدود لأنها تسيء التصرف من المهم أن تطيلي أوقات اللعب على الأرض معها لكي يزداد شعورها بالثقة والأمان. عندما تريدين المزيد من طفلكِ دائماً أطيلي فترات اللعب معها. إضافة إلى ذلك عندما تنضمين إلى طفلكِ في أوقات اللعب فإنك تساعدينها على خلق فُرصٍ للتعبير عن مشاعر الحاجة والخوف والقلق والغضب وهو يقلل من حاجتها إلى التعبير عن هذه المشاعر في المواقف العملية. ومع ذلك سيكون هناك أوقات تتصرف فيها طفلكِ بشكل عدواني وتحتاجين إلى وضع حدود لها. في الحقيقة عندما تبلغ الطفلة سن الرابعة تصبح ماهرة في الهجوم الغير مباشر أو ما يسمّى السلوك العدواني - السلبي) على سبيل المثال: إذا كانت طفلكِ غاضبة منك لأنك حرمتها من مشاهدة ألعاب الكرتون وقت الغداء قد تجددين أنّ كأس الحليب انقلب (بشكل عرضي) عند جلوسها إلى طاولة الطعام. أو قد تلاحظين أنه إذا حصل أخوها على حصة الأسد من عناقات جدتها فإن حذاءه الجديد اختفى لفترة من الزمن.

عندما تزداد علامات السلوك (العدواني - السلبي) عند طفلكِ حاولي أن تبينّي لها بطريقة محببة أنك تنظرين إلى الأمور من خلالها. حاولي أن تدفعيها إلى إيجاد أسباب لسلوكها عن طريق أسئلة تبدأ بـ (من - ماذا - أين -

متى - لماذا - كيف) بنبرة صوتٍ لا تحمل التهديد. دعيها تتكلم وتربط عن طريق الألفاظ بين مشاعرها والطرق المختلفة التي تتصرف بها. إنها حين تمارس دور الطفلة الذكية وسريعة البديهة معك تكتسب تمريناً مهماً في التفكير. إن الوقت الآن ليس لإعطاء محاضرة! بدلاً من ذلك ضعي لطفلكِ بهدوءٍ حدوداً صارمة تحمل معنى حقيقياً بالنسبة لها. قد تحرمينها من مشاهدة ألعاب الكرتون لفترة أو قد تُخفين لعبتها الجديدة لوقتٍ قصير. اشرحي لها أنك تعلمين صعوبة اتباع التعليمات - هي صعبة عليكِ أيضاً - وأنتك تتمنين أن تتمكن في المرة القادمة من اتباع التعليمات.

تنمية التفكير العاطفي أثناء نمو الطفل

كما لاحظنا سابقاً، إن قدرة طفلكِ المستقبلية على التركيز والتخطيط والتفكير التجريدي واختبار الحقائق كل ذلك تُبذر بذوره خلال حواراتكم المشتركة. في السنوات القادمة ستساعد هذه الحوارات على بناء الذكاء عند طفلكِ. في الكلية تنمي الحوارات الحارة عن الحب والحياة والسياسة العضلات العقلية أكثر من الحضور السلبي للمحاضرات. بشكلٍ مشابه إن قدرة طفلكِ على بناء الجسور بين أفكارها وأفكارك ستطور إلى قدرة على التراجع خطوة، والتعبير عن أفكارها وعواطفها مما هو أكثر أهمية من مجرد النشاطات المقوية.

إنها قادرة الآن على أن تلاحظ (لقد أطلقتِ بوقَ سيارة دميته على سيارة دميته وكنتُ أودُ أن أفعل ذلك أولاً) بعد عشرين سنة ستصبح هذه القدرة على التأمل الذاتي أكثر تطوراً وستساعد طفلكِ على أن تصبح حلالةً للمشاكل في المدرسة والعمل والعلاقات. إن القدرة على التفكير في المشاعر سوف تحرر طفلكِ من التصرف التلقائي بدافع هذه المشاعر.

كلما تدربت طفلكِ على الانخراط في الألعاب التخيلية والمناقشات، أصبحت أكثر قدرة على فهم القصص المكتوبة والشفوية. على سبيل المثال،

أثناء سنوات الدراسة الابتدائية سوف يسأل المعلم أسئلة عن دوافع شخصية ما في القصة التي تُقرأ في الصف. إن الطفل الذي كان لديه فرص كثيرة جداً لكي يسأل أسئلة تبدأ بـ «أين ومتى ولماذا وماذا وكيف والذي تلقى الكثير من الأجوبة التي تبدأ بـ (لأنّ) والتي تربط أفكاره بأفكار الآخرين سيكون أكثر قدرة على فهم التفاصيل وإدراك الأنماط في القصة التي يقرأها. إن التأمل الذاتي والحوار المنطقي يساعد طفلك أيضاً على التفريق بين مشاعره ومشاعر الآخرين. في وضع اجتماعي معقد كالمدرسة أو المعسكر يكون الطفل الذي تنقصه هذه القدرات أكثر قابلية لأن يفكر بطريقة «لا أحد يحبني» عندما يشعر بالانزعاج أو التوتر. فهو لن يكون قادراً على تقييم الواقع الخارجي والاستنتاج «قد أشعر بأنه لا أحد يحبني، لكنني أعلم أن هذا ليس صحيحاً». عندما تنمو قدرة طفلك على التأمل الذاتي تنمو قدرته على القيام بمحاكمات منطقية. إن التفكير العاطفي لن يقوّي قدرة طفلك على اختبار الحقيقة والتأمل الذاتي وحسب، وإنما سيساعده على التخطيط للمستقبل. لأنه يستطيع أن يربط مشاعره وسلوكه عندما تكون جيدة بعواقب إيجابية كأن يُثنى عليه أو يُحترم سيرغب طفلك بتأخير إرضاء نفسه لفترة من الزمن. إن إدراك أنّ النتيجة الإيجابية تأتي بعد جهود تُبذل سيمنح طفلك من العمل بدأب لحل مسألة حسابية والصبر على تعلم الكلمات الجديدة عندما يكبر قليلاً.

رفع العائق

تقوية الحوارات

كلّما أُطلت الحوارات مع طفلك كان ذلك أفضل. لقد حان الوقت لإجراء حوار حول أيّ شيء موجود تحت الشمس. عندما تنظفان أسنانكما جنباً إلى جنب أمام المرآة حاولي أن تفتحي حواراً مع ابنتك حول إيجابيات وسلبيات تنظيف الأسنان ببطء أو بسرعة، إلى الأعلى أو الأسفل، إلى الأمام

أو الخلف. عندما تكونان معاً في السيارة حاولي أن تعتمدى على ملاحظاتها حول ضجيج سيارة الإطفاء لإثارة نقاش بينكما حول السلامة أو الإثارة التي تتصف بها حياة رجل الإطفاء. خلال أوقات القيادة الهادئة بإمكانكما أن تتحدثا عن البحيرة الهادئة وعن البط والضفادع والحيوانات المائية الأخرى. كذلك تشكّل أوقات الحمام فرصة مناسبة للحديث عن أمور مرتبطة بالواقع كالمدرسة والأصدقاء والحياة بشكل عام.

كلّما ازدادت التفاعلات مع طفلتك في روتين حياتك اليومي اكتسبت مزيداً من الممارسة في بناء جسور بين أفكارها وأفكارك. سوف يكون لديها المزيد من الفرص لتمرين قدرتها على استخدام المنطق كلّما ناقشتما معاً مواضيع الحياة اليومية. إذا تمّت الحوارات بينكما في جوٍّ من المرح ولم تحاولي خلالها السيطرة على الموضوع فإن طفلتك ذات السنوات الثلاث أو الأربع ستمتّع كثيراً بالحديث معك. كذلك كلّما أعطيت طفلتك مزيداً من الوقت لإبداء استجابات ذات معنى وتوجيه الأسئلة فإنها لن تملّ من الحديث معك أبداً. إن الكبار قد يملّون من إطالة الحديث أمّا الصغار فهم يحبّون ذلك.

إن كلّ الحوارات المعتمدة على الواقع ستعطي طفلتك مزيداً من الممارسة في بناء أفكارٍ متماسكة ولكن المحادثات الطويلة التي تمتدّ من 15 إلى 20 دقيقة دفعة واحدة هي التي تطوّر فعلاً قدرة ابنتك على المتابعة بين أفكارها. إن هذه الحوارات المناسبة بشكلٍ حرٍ يمكن أن تتناول طيفاً واسعاً من المواضيع بما في ذلك أصدقاءها ونشاطاتها المدرسية والقصص التي قرأتها لها وحتى الوجبة التي تعدينها للعشاء.

قد يكون هناك بعض الأوقات التي تكون فيها طفلتك أكثر تردداً في الحديث معك من أوقاتٍ أخرى. كما لاحظنا في الفصول 4 و5 هناك الكثير من الطرق اللطيفة التي تكفل استمرار المحادثة. ذكرنا في جزء سابق من هذا الفصل بعض الطرق التي تشجع الطفل على إبداء رأيه وإطلاق أفكارٍ جديدة.

بشكلٍ عام عندما تبدأ المناقشة بالخفوت عودي إلى بناء أسئلتك على تصرفات طفلك أو تصرفاتك وطالما كنتِ تعتمدين على مشاعرها الآنية ستنجحين في الاستمرار بالنقاش معها.

على سبيل المثال، قد تقرّر طفلكِ البالغة 4 سنوات من العمر في وقت الغداء أن تكون صعبة المزاج، وترفض بصمتٍ كل اقتراحاتك حول الوجبة التي تريدين طبخها وذلك بهزّ رأسها. ربما تفعل ذلك لأنك ألغيت موعداً للعب الغولف معها هذا المساء. صحيحٌ أنها غاضبة لكنك تعلمين أنها جائعة ولذلك ستكون مهتمة جداً بتحديد ما الذي تريد أكله فعلاً. بإمكانك الذهاب إلى الثلاجة وتُخرجي منها بشكلٍ متعمّد الطعام الذي لا تحبه وتقولِي لها «أوه، أنظري ما رأيك ببعض الأرضي شوكي على الغداء» عندما تهزّ رأسها بالرفض يمكنك أن تستمري في إخراج الأطباق الأقل جاذبية بالنسبة لها إلى أن تصلي إلى الطبق الذي تحبه وتقولِي «أوه لقد وجدتُ الطعام الذي تحببته... حساء الدجاج!» إذا لم تنفج أساريرها حتى هذه النقطة اطلبي منها أن تساعدك على البحث عن الطعام الذي تحبه حقاً. عندما تبحثان معاً في خزانة الطعام والثلاجة فإن ذلك سيكون فرصةً للنقاش بينكما حول الطعام.

لماذا كلُّ هذا الحديث عن إعادة بناء التواصل اللفظي مع طفلك؟ لأنك وببساطة أنتِ وحدك أو أيُّ مُربٍّ مُحبٍّ يركّز اهتمامه على طفلك تملكان الوقت والحماس لمساعدته على إعادة التركيز باستمرار على ربط أفكاره الداخلية بالعالم الخارجي. إن هذه الحوارات تبني قدرة الطفل على التفكير المنطقي وهي أهم شيء يمكنك فعله خلال هذه الأشهر من عمر الطفل لكي تطلقي قدراته العقلية والاجتماعية والأخلاقية.

الدقائق السحرية

في العالم المثالي لديك دائماً الوقت والطاقة لتكوني مناقشةً مُحبّةً

وباعثة للمرح وشريكة في اللعب مع طفلك. لكن عند الكثير من عائلات اليوم أصبح الوقت ضيقاً بحيث أن أوقات اللعب مع الأطفال وحتى الحوار الهادئ معهم قد يضيع في زحمة المشاغل اليومية. لذلك من المهم أن تفرّغي في كل يوم من خمس وعشرين إلى خمس وثلاثين دقيقة للعب والتحدث مع طفلك. اختاري وقتاً تكونين فيه مسترخية أنت وطفلك بحيث لا تشعرين بالتوتر والغضب. إن زوجك أو الآخرين الذين يعتنون بطفلك يجب أن يفرّغوا أيضاً نصف ساعة يومياً لمشاركة الطفل في ألعاب التمثيل التخيلية.

إضافة إلى ذلك، تأكدي خلال اليوم من أنك تستغلين كل الفرص للبدء بحوارات مبنية على الواقع ونقاشات لحل المشاكل مع طفلك. إن بعض الحوارات المهمة بينك وبين طفلك يمكن أن تحدث أثناء القيام بالنشاطات الاعتيادية كركوب السيارة أو السير إلى صندوق البريد. كلما أصررت بلطف على استجابات منطقية من طفلك وشجعته بعبارة مثل «وماذا أيضاً» أو عرضت عليه فكرة مضادة «أليس الفلم كذا هو أفضل فلم كرتون...» «لا ماما... لا أحد يحبه لأنه...» ستساهمين في إغناء البنية التحتية العقلية عنده.

توسيع تفكير الطفل

عندما تساعدن طفلتك على الربط بين أفكارها وأفكارك في سلاسل يزداد طولها تدريجياً، من المهم أن تجعلها في تماس مع طيف أوسع من العواطف والآراء. كما شرحنا في فصول سابقة. إن قدرة طفلتك على إدراك مفهوم مجرد ترتبط مباشرة بالخبرات العاطفية المتنوعة التي مرّت بها في التعامل مع هذا المفهوم أو تلك الكلمة. سوف تعرف ما الذي تعنيه كلمات مجردة مثل (الحب) و(العدل) و(اللطف) لأنها عاشت معاني هذه الكلمات من خلال خبرات كثيرة شعرت فيها بالحب أو العدل أو اللطف. لذلك كلما

مرّت الطفلة بخبرات عاطفية أثناء يومها كلما أصبحت أكثر قدرة على التعامل مع المفاهيم المجردة.

إن مساعدة طفلك على تحديد مشاعرها والتعبير عنها بالألفاظ سوف يزيد من قدرتها على التفكير التجريدي. كلما أعطيت طفلك الفرصة للتحديث عن مشاعرها ستتمكن من التفريق بين هذه المشاعر ومن فهم ما الذي يحرضها. يمكنك أن تشجعي طفلك على إيجاد الكلمات التي تصف مشاعرها بسؤالها عن الأحداث التي أدت إلى هذه المشاعر وأن تطيلي النقاش معها حول هذا الموضوع طالما كانت مهتمة بذلك. بإمكانك أيضاً أن تذكري حادثة حقيقية أو تخيلية سببت لك مشاعر مشابهة وأن تطلبي من طفلك أن تقارن بين مشاعرها وأن تفكر بحدّة هذه المشاعر.

هناك طريقة أخرى لمساعدة طفلك على الحديث عن مشاعرها وهي أن تبחי عن مساحات الحوار التي تهّمها بشكل حقيقي. فمثلاً، إذا كانت طفلك مهتمة بالأحصنة تحدّثي معها عن أنواع الخيول وإذا كانت مهتمة بالبيسبول تحدّثي معها عن فريق البيسبول في بلدتك. إن حديثك لن يكون مجرد تعداد لأنواع الخيول أو فرق البيسبول إذا وسّعت من مجال مناقشاتك لتشمل مشاعر طفلك حول هذه الأشياء. كلما تطرقت إلى اهتمامات طفلك الحقيقية أصبحت حواراتها أكثر حيوية ومنطقية. إن إدخال عنصر الاختلاف والصراع في النواحي التي تهّمها سوف يضمن لك امتداد مجال النقاش ليشمل طيفاً أوسع من المشاعر والأفكار.

الحوار والوصول إلى التسويات

إن أفضل طريقة تمكّن طفلك من الإمساك بأفكارها وتوسّع مجال النقاش وألعاب التمثيل معها هو مساعدتها على إدراك أن أفكار الآخرين تستحق أن تؤخذ بعين الاعتبار. بإمكانك أن تساعدتها على ممارسة ذلك في كل مرة تشاركينها الدراما في ألعاب التمثيل وتلعبين فيها دور المشاغب بأفكارك ورغباتك الخاصة. عندما تتبعين قيادتها خلال ألعاب التمثيل حاولي

أن تغيّري قليلاً فيما تُمليه عليك، عندما ترتجلين أمراً جديداً في اللعب ستضطرُّ إلى الارتجال بالمقابل ليستمر اللعب بينكما. وهكذا ستتعلم أن اللعب معك يتضمَّن حواراً تلقائياً مليئاً بالأفكار والآراء المختلفة وليس مجرد مناجاة مع نفسها. إذا ألبستِ هذا الأمر ثوب المرح فإن طفلتكِ سترحبُ أحياناً بالتسوية وتدعك تلعبين بالطريقة التي تريدينها. إن الحوار حول الأمور المنزلية كما ذكرنا سابقاً، يشجّع أيضاً على التفكير المرن.

بإمكانك أن تعلّمها هذا الدرس في كلِّ مرّة تأتي صديقتها إلى المنزل ويلعبان معاً بأن تتدخلتي عندما تصرُّ طفلتكِ على أن الأمور يجب أن تسير في الاتجاه الذي تريده. ذكري طفلتكِ بأن ذلك ليس ممكناً في كل الأوقات واقترحي عليها تبادل الأدوار. بإمكانك أن تجعلي التسوية أكثر جاذبية بعرضها على شكل قرعة بين الاثنين وبالطبع عليك أن تواسي الخاسر ولكن حتى الطفلة المُحِبطة ذات الأربع سنوات يمكن أن تدرك عدالة القرعة والحاجة إلى تبادل الأدوار. عندما تجعلين طفلتكِ مرتاحة لقبول التسوية فأنت تعلّمها كيف تتصرف في العالم الحقيقي.

غالباً ما يساعد الأطفال على التعود على الخسارة أن يتدربوا عليها قبل أن يمرّوا بها بشكل حقيقي. قبل أن تصل صديقة طفلتكِ ناقشها حول مشاعرها تجاه تبادل الأدوار. جرّبي معها القرعة ودعيها تخسر عدة مرّات. تحدّثي معها عن التسوية وساعديها على أن تتوقع أن تلعب صديقتها بلعبتها الجديدة في حين تلعب هي بلعبة البطاقات الخاصة بصديقتها.

تصوُّر الصعوبات الاجتماعية والعاطفية

عندما تعلم طفلتكِ أنها ستواجه وضعاً عاطفياً أو اجتماعياً صعباً في المستقبل القريب كالحاجة لأن تشارك صديقتها في لعبتها الجديدة أو أن تواجه طفلاً خشناً في المدرسة في اليوم التالي، من المؤكد أنها ستكون أقل توتراً وستخبرك بما حدث معها.

بإمكانك أن تفتحي نقاشاً لحل المشكلات معها كل يوم تقومين من خلاله بتوقع الأشياء الجيدة والسيئة التي ستحدث معها. لنفترض على سبيل المثال أن طفلتك ذات الأربع سنوات عادت ذات يوم من المدرسة وهي مُطرقة لأنّ - ولداً - دفعها أثناء فترة الفرصة قد تقول بعض العبارات مثل «أنا أكرهه ولن أعود إلى المدرسة ما دام فيها» بعد أن تضعي ذراعك حول طفلتك وتركيها لتعبر عن مشاعرها حاولي أن تحوّلي أسلوب النقاش إلى الشكل الذي يبحث عن حلّ للمشكلة.

شجّعي طفلتك على تصوّر وقت الفرصة في اليوم التالي. اجعليها تغلق عينيها وتتصوّر المشهد وكأنه عرض تلفزيوني. دعيها تتصور وقت الفرصة غداً ونفس الولد الخشن الذي دفعها ودعيها تصف لك ما الذي تشاهده. بإمكانك أن تساعدتها بأن تسألها عن ماذا يرتدي الولد أو أين يجلس أو ماذا تفعل المُدرّسة. حاولي أن تسألها عن بعض التفاصيل التي تراها بعين عقلها لتأكدي من أنها تتبكر صورةً عقلية حية.

إذا وجدت طفلتك صعوبةً في تصور المشهد وقالت «لا أستطيع أن أفعل ذلك! لا أستطيع أن أرى صورةً على شاشتي» يمكنك أن تسألها «فقط أخبريني ما الذي تشاهده يا عزيزتي، هل تستطيعين أن تري كيف يبدو فم الولد الذي دفعك؟ أو كيف يبدو وجهه؟ هل ترين يديه تمتدّان لتدفعك؟» بعد أن تساعدتها على جمع هذه الأجزاء مع بعضها سوف تبذل جهداً في وصف الأشخاص أو المكان «إن الطفل يلبس بنظلاً قصيراً وقميصاً أصفر إنه يدور حولي ويبدو غليظاً ونظرة الشرّ في عينيه» «المدرّسة تجلس في جانب الباحة ولا تفعل شيئاً» «أنا ألبس قميصي الذي رُسِمَتْ عليه صورة الدلفين وأجلس بجانب صديقتي بعيداً عن الولد السيئ» لا تقلقي إذا لم تستطع طفلتك أن ترى الكثير من التفاصيل في البداية. فاكساب مهارة التصور لا تحدث بين عشية وضحاها.

عندما ترى طفلتك الأشخاص وتصرفاتهم في عقلها، اطلبي منها أن تصوّر المشاعر التي قد تشعر بها غداً خلال فترة الفرصة (ما زلت أكرهه لأنه دفعني) ثم اسألها أن تحزّر مشاعر الطفل السيئ وهذا قد يكون أكثر صعوبة بالنسبة لها. بإمكانك أن تتوقعي معها كيف يمكن أن تكون مشاعره وأن تتساءلي بصوت عالٍ فيما إذا كان يشعر بالخوف أو حب السيطرة أو الوحدة. بعد ذلك حاولي أن تجعلي طفلتك تتصور ما الذي ستفعله في فرصة اليوم التالي، دعيها تذكر مشاعرها وسلوكها لك.

قد تصوّر تصرفاتها بعدة طرق (حسناً، سأدفعه قبل أن يدفعني) أو (سأذهب وأخبر المعلّمة وأجعلها تعاقبه) أو (سأجلس مقابله في الباحة وأمدّ لساني وأجعله يتضايق). بإمكانك أن تستجيب بتعاطف مع كل عباراتها ولكن حاولي أن تبني على إحدى الصور العقلية التي شاركتك إياها وأن تساعديها على إيجاد خطة بديلة إذا لم تستطع أن تفعل ذلك لوحدها. مثلاً بإمكانك أن تقولي «أستطيع أن أراك جالسة في الجهة المقابلة من الباحة تنظرين إليه بقسوة وهكذا سيعلم أنه لا يستطيع دفعك مرةً أخرى». أعتقد أن هذه خطة عظيمة! ربما من الأفضل أن لا تمدّي لسانك له لكي لا تغضب منك المدرّسة!

قد تجددين بعد عدة أيام أنّ طفلتك قرّرت أن تمضي قدماً وتضرب الطفل الخشن بدلاً من تنفيذ السلوك البديل الذي تصوّرتّه. لا تبالغي في ردة فعلك أو تظهري لها مدى استيائك. بدلاً من ذلك، حاولي أن تقولي لها «تذكري ما الذي قلته عندما تحدثنا عن هذا الأمر قبل أمس. لقد قرّرت أنّ باستطاعتك أن تري نفسك جالسة في الجانب الآخر من الباحة توجهين إلى ذلك الطفل نظرة قاسية في المرة القادمة عندما تكونين بقربه، أغلقتي عينيك وتصوّري ما الذي ستفعلينه» من السهل على طفلتك أن تُلزم نفسها بخطة مستقبلية إذا كانت تستطيع أن ترى نفسها وهي تقوم بتلك الخطة. سيصبح التصوّر نوعاً من المحفّز الذي يساعدها على التصرف خلال صعوبات الحياة الحقيقية.

إذا كانت طفلتك تعاني من مشكلة التدافع مع الأولاد الآخرين في المدرسة ومع أنها قادرة على تصوّر عدة بدائل للتصرف في هذه الحالة إلا أنها لا تلتزم بتلك البدائل ضعي لها بعض الحدود والحوافز.

على سبيل المثال إذا نجحت في تطبيق خطتها في استخدام الكلمات للتعبير عن غضبها بدلاً من دفع الولد الآخر اجعليها تكسب نجمةً من عندك (عندما يصبح لديها 10 نجومات تشتري لها لعبة) إذا كانت تستمر في دفع الآخرين ذكريها بوعدا وحذريها «تذكّري ما الذي تحدّثنا عنه، وكيف أغلقت عينيك وتصوّرت نفسك تستخدم الكلمات بدلاً من دفع الولد الذي دفعك. حاولي بجد أن تري نفسك تستخدم الكلمات بدلاً من أن تري يديك تدفعان الولد وإذا لم تفعلي سنضطرّ إلى إبقاء التلفزيون مغلقاً لمدة يومين» إذا استمرت في دفع الأولاد أخفي جهاز التحكم. إن العقوبات والحدود تؤتي ثمارها عندما يتمّ تنفيذها فقط.

كما ذكرنا سابقاً في هذا الفصل، إن التصوّر لا يقلل فقط من حدة الأحداث القادمة ولكنه يطيل من فترة السرور بها أيضاً.

عندما تصوّر طفلتك الرحلة القادمة إلى حديقة الحيوانات أو شجرة عيد الميلاد المحاطة بالهدايا الملونة فإنها ستشعر بالإثارة التي ستشعر بها عندما تعيش هذه التجربة بشكل حقيقي. إن قدرتها الجديدة المذهلة على بناء جسور بين مشاعرها في الحاضر ومشاعرها في المستقبل سيمكّنها من العيش إلى ما وراء اللحظة الحالية وأن تتفاعل وتوقع أن الأوقات الجميلة ستكرّر مرّة بعد أخرى.

التصوّر والمهارات الأكاديمية

إنّ مهارات التصوّر لا تساعد طفلتك على توقّع الصعوبات الاجتماعية فقط وإنّما تمكّنها أيضاً من إدراك المفاهيم الأساسية في اللعبة والرياضيات قبل فترة طويلة من دخول الحضانة.

إنَّ تصوُّر الأشياء اليومية التي تثير انتباه طفلك سيعطيها شعوراً حقيقياً بالكمية والأرقام. إنَّ هدفك هو أن تطوِّر طفلكِ شعوراً داخلياً فراغياً بالكمية وليس فقط أن تعتمد على ذاكرتها في الحفظ (عشرة زائد أربعة تساوي عشرة).

باستطاعتك أن تقودي طفلكِ على تطوير إدراكها للمفاهيم الأساسية في الكمية باستغلال المواقف التي تشدُّ طفلكِ التي تريد فيها حقاً الحصول على شيء ما والتي تتضمن ستة عناصر أو أقل أبقى الرقم صغيراً ولكن أعطه معنى معيناً.

إنَّ لديك عدداً كبيراً من الفرص لاكتشاف مفهوم الكمية مع طفلكِ، كثير من الأطفال لديهم اهتمام طبيعي - بل ولع - بالأطعمة الحلوة كالحلوى أو التفاح والأطعمة المحبَّبة كالبيتزا. عندما تعرضين على طفلكِ بعض الحلوى أسألها إن كانت تريد اثنتين أو ثلاث. عدِّي كل قطعة حلوى تعطيها إياها. ما الذي يحدث إذا أبعدت إحدى القطع؟ هل ستطلب المزيد؟ أريها قطع الحلوى وأسألها إن كانت قطعتان من الحلوى أكثر من قطعة واحدة أو أقل. إذا كنتِ تعرضين عليها تفاحتين، الواحدة أكبر من الثانية اطلبي منها أن تدل بإصبعها إلى التفاحة الأكبر. ثم أريها ثلاث أو أربع تفاحات واطلبي منها أن تغلق عينيها وتتصوِّر هذه التفاحات مصفوفة إلى جانب بعضها ثم اطلبي منها أن تُبعد تفاحتين وتتصوِّر التفاحات الثلاث الباقية. تذكّري أنَّ المفاهيم تُدرك بشكلٍ كامل عندما تدعين الطفل يغلق عينيه ويتصوِّر الأشياء الحقيقية الموجودة أمامه ثمَّ يقوم بتحريك الأشياء التي يراها بعيني عقله.

معظم الأطفال سينظرون إلى قطعة طازجة من البيتزا، وإذا كانوا جائعين سيقولون إنهم يريدون ثلاث قطع من البيتزا بدل اثنتين (إنَّ عيونهم، بالطبع، أكبر بكثير من معدمهم!) حاولي أن تقسّمي قطعة صغيرة من البيتزا إلى ستة أقسام وسوف تفاجئين كثيراً بقدرة طفلكِ الصغيرة على إدراك

مفاهيم أكثر تعقيداً عن الكمية، عندما تجلسين مع زوجك وطفلتك حول مائدة الطبخ وتستعدون لأكل البيتزا اسألي طفلتك ذات الأربعة أعوام «كم قطعة من البيتزا يجب أن تأخذ من علبة البيتزا إذا أراد كل واحدٍ منّا أن يأخذ قطعة واحدة؟» ثم اسأليها «كم قطعة من البيتزا سيقى في الصندوق إذا وضع كل منّا قطعتين في صحنه؟» ويمكن أن تتابعي قائلة «إذا أخذ أبوك قطعة من صحنك كم سيقى لديك؟» عندما تسألين هذه الأسئلة دعي طفلتك تغلق عينيها وتتصوّر قطع البيتزا الموجودة في صحنها. هناك أشياء أخرى غير الطعام يمكن استخدامها في هذا النوع من التفاعل الرياضي كقطع النقود والكرات الزجاجية والمكعبات البرّاقة والأصداف.

إنّ المفتاح هنا هو أنّ هذه الأشياء يجب أن تكون ممّا تهتم به طفلتك. تأكّدي في البداية من تحديد العدد بستة أو أقل لثلاث تعاني طفلتك من مشاكل في وضع الأشياء بشكل متتابع ممّا يؤثّر على شعورها بالكمية. في الحقيقة إنّ جعل الطفلة تضيف وتطرح وتقسّم ستة أشياء أكثر فائدة بكثير من جعلها تعدّ إلى العشرة بطريقة جافة! فقط عندما تتمكّن طفلتك بشكل روتيني من القيام بهذه العمليات وذلك بتصوّرها بعقلها يمكن تشجيعها للانتقال إلى أرقام أكبر. عندما تعلّمين طفلتك كيف تغلق عينيها وتتصوّر ستة أشياء موضوعة إلى جانب بعضها بطرق مختلفة ستمكّنينها من الإدراك الفراغي للكمية وذلك يتميّز به طلاب الرياضيات الموهوبون.

إنّ هذه التكنولوجيات البصرية ستساعد طفلتك على إدراك مفاهيم الألفاظ وتطوير مهارات فهم القراءة بفترة طويلة قبل أن تتمكّن من قراءة كلمة واحدة. والآن بعد أن أصبحت طفلتك مفكّرة جيّدة خلال الأشهر القليلة الأخيرة صار بإمكانها أن تشارك بفاعلية في فهم القصة التي تقرأينها بدلاً من مجرد الإنصات السلبي وأنّ تغلّبين صفحات الكتاب. لنفترض أنّكما تجلسان إلى جانب بعضكما على الأريكة تقرأان في كتاب القصص، حاولي أن تغلقي الكتاب من حين إلى آخر وأن تسألي طفلتك أن تغلق عينيها

أيضاً. ثمّ اطلبي منها بصوتٍ مشجّع أن ترسم صورة أو أن ترى فيلماً في عقلها عن القصة التي كنتِ تقرّأينها لها. لنفترض أنّك انتهيت من قراءة جزءٍ من القصة يتحدّث عن طفلٍ ذهب إلى محلّ لبيع الألعاب. بإمكانك أن تسألني طفلتك بعض الأسئلة عن الذي تراه في عقلها. ماذا كان يرتدي الطفل عندما قرّر الذهاب إلى المحل؟ هل لبس معطفه لأنّ الجوّ كان بارداً؟ ما لون القبعة التي كان يرتديها؟ هل تذكر أن يضع ربطة عنقه؟ بإمكانك أن تعتمدني على استجاباتها لمساعدتها على وصف الشخصية التي تراها في عقلها. كيف ذهب إلى المحل؟ ما الذي يريد أن يشتريه من المحل ولماذا؟ كلّما استطاعت أن تضيف تفاصيل أكثر إلى صورها العقلية عن الشخصية التي تتخيّلها وما يحيط بها ستكتسب ممارسة أكثر في الربط بين أفكارها لتشكيل مفاهيم متعدّدة الأبعاد.

عندما تتعدين عن القصة المكتوبة من حينٍ إلى آخر وتساعدني طفلتك على تخيل قصة غنية تكمن خلف القصة المكتوبة فإنّك تزيد من قدرتها على التفكير بطريقة السبب والنتيجة. يمكنك أن تناقشي معها لماذا اختار الطفل أن يشتري سيارة الإطفاء ويمكن أن تسألني ابتك فيما إذا كانت تحب أن تضع ألعاباً مختلفة على رفوف المحل ليختار منها الطفل ويمكن أن تسألني «هل تعتقدين أنّ سيارة الإطفاء كانت آخر سيارة في المحل؟»، «هل حزن الزبائن الآخرون عندما لم يبقَ سيارة ليشتروها» أسألها ما الذي سيحدث فيما بعد لو كانت هي التي كتبت القصة. بإمكانكما معاً أن تضيفا التفاصيل والمشاعر والدوافع والعواقب إلى عظام القصة الجادة. إنّ كلّ مهارات طفلك في القراءة والكتابة سوف تقوى عندما تشارك في هذا النوع من التصرُّور.

تمكين الأجزاء المختلفة من العقل والدماغ من العمل معاً

إنّ طفلك المفكّرة الصغيرة تتعلّم كيف تستخدم كل حواسها وكيف

تحرك جسدها في الفراغ وكيف تعدل سلوكها وكيف تلعب ألعاب التمثيل وكيف تستفيد من تحسن قدرتها على التنسيق بين حركاتها الدقيقة والكبيرة وكيف تُشركك في نقاشٍ ممتع أيضاً. كلما كانت أكثر قدرة على الجمع بين كل هذه النشاطات في نفس الوقت ستكتسب جملتها العصبية تدريباً أفضل وستعمل بشكلٍ أكثر كفاءة. عندما تلعبين مع طفلكِ حاولي أن تحافظي على ما يلي: القيام بالكثير من الحركات في جوٍّ من المرح أثناء الاستمرار في الحديث المنطقي. إذا نجحتِ في أن تخلقي فرصاً تحقق فيها طفلكِ هذه الأمور سيعيش كلاكما في مدينةٍ من المرح!

بالنسبة للمبتدئين، فكرة جيدة أن تدعي طفلكِ تتمتع بنشاطٍ جسدي جيد من ثلاث إلى أربع مرّات يومياً لفترات تتراوح من عشر إلى خمس عشرة دقيقة. إنّ الكثير من الحركة سيدعم تطوّر الأجزاء الأخرى من جهازها العصبي لذلك من المفيد والممتع أن تشاركها في ألعابٍ تمرّن فيها مهاراتها العضلية. إنّ نظرة القبول في عينيك ستشعر طفلكِ بالرضى عن الطريقة التي يعمل فيها جسدها. كما أنّ شعوراً داخلياً بالعافية سينساب في عضلاتها عندما تعمل هذه العضلات معاً. ربما شعرتِ بهذا الشعور بنفسك ذات يوم، عندما تضربين الكرة بالمضرب وترسلينها عبر الملعب تشعرين بالنشاط الزائد في عضلاتكِ وإذا كنتِ راقصة ماهرة ستشعرين بهذا الشعور وأنتِ تقفين على رؤوس أصابعكِ وتتحركين على ساحة الرقص.

ولكن إذا لم تحاولي مطلقاً استخدام يدك اليسرى لتقذف كرة السلة وكنّت من الذين يستخدمون اليد اليمنى فإنّ حركاتك لن تشعركِ بالرضى لأنها تفتقد إلى الانسيابية. بشكلٍ مشابه إذا كان طفلكِ يعاني من بعض المشاكل في التحكم بحركاته وأنتِ تحاولين أن تعلّميه كيف يرمي الكرة فإنه لن يتمتع كثيراً بهذا الفعل وقد يحاول تجنّبه بالكامل. إذا تجنّب الطفل هذا النوع من التفاعل معكِ فإنه يتدرّب ولن تتطوّر مهارته في قذف الكرة ولن يشعر بأيّ متعةٍ نتيجةً لهذه الخبرة.

بما أنَّ الطفل في هذه الحال لن يشعر بالمتعة التي يشعر بها الأطفال الأكثر قدرة على التنسيق بين حركاتهم وقد لا يتلقَى منك الكثير من إشارات القبول عليك أن تجدي طريقة أخرى لإثارته أثناء نشاطكما المشترك. إنَّ الطريقة بسيطة للغاية: اجعلي نشاط طفلتك مليئاً بالمرح بحيث أنَّ المتعة الخارجية التي تشعر بها طفلتك تغلب على نقص المتعة الذي تشعر به نتيجة لضعفها في التنسيق بين حركات جسدها. هناك الكثير من الطرق لتحقيق ذلك. على سبيل المثال لتتصوّر أنّك تلعبين بالكرة مع ابنتك ضعي قاعدة في اللعبة بحيث أنّك إذا لم تمسكي بالكرة التي قدّفتها عليك أن تتابعي اللعب زحفاً على أطرافك الأربعة. إنَّ المتعة التي ستشعر بها طفلتك أثناء هذه اللعبة ستعوّض على قلة الشعور بالمتعة الذي تسببه حركتها البطيئة وغير المتناسقة وبالتالي ستشجّع على الاستمرار في اللعب وتدريب نفسها على التحكّم بعضلاتها إلى أن تصل إلى درجة من القدرة على التحكّم بنشاطها الجسدي.

بإمكانك أيضاً أن تحوّلي الحركات التي تحتاج إلى طاقة إلى نشاطات مريحة كأن تضعي العقبات في طريق طفلتك أو أن تلعب معها لعبة البحث عن الكنز. حاولي أن تضعي عقبات في طريق طفلتك بحيث يجب عليها تجاوزها للوصول إلى ما تريد كتسلق الأشياء أو المرور من حولها أو فوقها أو تحتها. بإمكانك أن تضعي نفقاً بوضع بطانية فوق طاولة أو أن تلغني بأنّ الكنز المفقود يمكن العثور عليه بالزحف تحت بعض الكراسي.

إنَّ وضع العقبات يمكن أن يُضمَّ إلى ألعاب التخيل ويمكن أن يتحوّل إلى بحثٍ معقّدٍ عن الكنز يحفّز الطفل على الاستخدام الكامل لمهاراته السمعية والبصرية - الفراغية. على سبيل المثال يمكن أن تلغني عن جائزة (تقدّرها طفلتك) لمن يعثر على الكنز. في البداية يمكن أن تلمّحي لطفلتك ببعض الأماكن (الكنز في مكانٍ ما في غرفة الجلوس) مما قد يقود طفلتك مباشرةً إلى الجائزة. يمكنك فيما بعد أن تدخلي بعض التعقييدات على

وصفك لمكان الكنز (اذهبي إلى غرفة المعيشة وابحثي عن شيء أخضر اللون ثم انظري خلفه لتجدي علبة حذاء افتحيها وستجدين الكنز في داخلها). إنَّ اتباع تعليماتكِ اللفظية سيقوِّي مهارة الطفلة السمعية وقدرتها على فعل الأمور بشكلٍ متتابع وعندما تتحدَّثين عن الطريقة التي دُفن فيها الكنز في ذلك المكان (هل تذكرين عندما غرقت السفينة في مكانٍ مجاورٍ وكان عليهم أن يخبئوا الذهب؟) ستحرِّكين مخيلتها في نفس الوقت. بإمكانكِ أيضاً أن تحفِّزينا على التفكير الفراغي برسم خريطةٍ بسيطةٍ لأرض الغرفة تشيرين فيها بـ (x) إلى مكان علبة الحذاء. هناك مثال آخر عن نشاطٍ يفعل الأجزاء المختلفة للجهاز العصبي لطفلتكِ بحيث تعمل مع بعضها بشكلٍ متداخل وهو إطلاق مطاردة بين الشخص الطيب والشخص الشرير. بإمكانكِ أن تجعلي المنزل كلّه ساحةً للمطاردة وتتركين مكاناً معيناً كقاعدة للانطلاق. بإمكانكِ أن تفعلين الكثير من المهارات اللفظية ومهارة التفكير الفراغي والقدرة على التنسيق بين العضلات في هذه اللعبة.

لنرى كيف يمكن أن تجري هذه اللعبة، يمكن أن تلعبين دور العالم الشرير الذي يريد أن يحرّر المرأة الخارقة من قوّتها بواسطة حجر من الكريتون بحيث تلعب طفلتكِ دور المرأة الخارقة. قبل أن تبدأ المطاردة ضعني الكثير من الحواجز والعقبات التي يجب أن تتجاوزها طفلتكِ لتصل إلى المكان الآمن. إنَّ ذلك سيدفع طفلتكِ إلى التفكير بشكلٍ هندسي لتعرف كيف تتجاوز العقبات وتنتقل من غرفة إلى أخرى عندما تصل إلى (منزلها) يقوم العالم الشرير برجمها بالكرات (أحجار الكريتون) وهي تتحرّك محاولةً تجنبها وأثناء ذلك يستمر بينكما الحوار الذي يُبدي فيه العالم الشرير إعجاباه بقدرات المرأة الخارقة.

ما يجب فعله وما لا يجب فعله لمساعدة طفلك على التفكير

اعتمدي على الدراما الممتعة المنطلقة التي تتضمن مواضيع منطقية مترابطة. على سبيل المثال: إن حفلات الشاي ومشاهد المدرسة وزيارات الجدة يمكن ربحها في دراما واحدة. اعتمدي على الحوارات الممتعة حول أي شيء من الطعام والثياب إلى المشاركة في الألعاب.

لا تخبري طفلك ببساطة ما الذي يجب عليه أن يفعل. اشرحي لماذا تريد فعل أمر ما. ناقشي الإيجابيات والسلبيات وأعطي طفلك الوقت الكافي للدفاع عن وجهة نظره. القاعدة الأساسية هنا هو أنه إذا كانت أجوبة طفلك لا تفاجئك كثيراً أو إذا كان لديك جواب واحد صحيح في ذهنك فربما تبالغين في فرض الأمور عليه.

اعتمدي على النقاشات التي يعبر فيها الطفل عن نفسه. إذا أراد طفلك أمراً ما لا تردّي ببساطة بـ «نعم» أو «لا». بدلاً من ذلك اسألي «ماذا / متى / لماذا / كيف» فهذه الطريقة ستساعد طفلك على إبداء رأيه والتعبير عن رغباته الخاصة، وهو الأساس الذي يُبنى عليه التفكير التجريدي.

اجعلي طفلك يقوم بهذه النشاطات مع أصدقائه وإخوته ومجموعات اللعب الصغيرة. يمكن للأطفال أن يتحاوروا مع بعضهم وأن يتكروا صوراً مضحكة.

لا تحلّي المشاكل لطفلك، دعيه يحلّها بنفسه. إن مهمتك هي مساعدته على العصف الدماغي أو توفير التشجيع له.

ابتكري خبرات تتضمن مفاهيم الكمية والوقت والفراغ واجعلي مشاعر طفلك القوية جزءاً منها.

عَرّضي طفلكِ إلى طيفٍ غني من النشاطات وشجّعي اهتماماته وقدراته الطبيعية. إنَّ كلَّ هذه الخبرات ستقوِّي قدرته على التفكير التجريدي.

اجعلي القصص والقراءة وتركيب الصور المجزأة وغيرها من النشاطات التقليدية جزءاً من النقاشات المتبادلة بينك وبينه.

استمتعي بمساعدة طفلكِ على استخدام الكلمات لوصف كل المشاعر المختلفة في الحياة من الغضب إلى الضرب. ناقشي المشاعر خلال ألعاب التمثيل والمحادثات المستندة إلى الواقع.

هذا النوع من النشاط المعقد هو طريقة نافعة لرفع العائق من أمام طفلك ذات الأربع سنوات والنصف وإطلاق إمكانياتها في النظر والإنصات والشعور واللمس والحركة في نفس الوقت! في مناسباتٍ أخرى يعتبر العزف على الطبل أو البيانو أو الاستماع للموسيقى أو التحرك فوق إيقاعها مناسبات جيدة لتدريب طفلك على النشاط المنتظم. عندما تضعين طفلك أمام تحد يستوجب منها العمل على عدة جبهات في نفس الوقت فأنت تساعدتها على بناء عقلٍ سليم. ستكون الطفلة في هذه السن مستعدة لأن تلعب أشكالاً بسيطة من ألعاب الكرة ككرة القدم أو السلة أو المضرب. إن لعبة التقاط الكرة التي ترمى فيها الكرة عشوائياً إلى اليمين أو اليسار أو الأعلى أو الأسفل ستتمكن طفلك من ممارسة هذه الألعاب. طالما كنتِ تحددين مستوى ساحة اللعب بفعل بعض الأمور مثل المشي على ركبتيك أو استخدام يد واحدة في اللعب وتتركين طفلكِ ترحب في 70٪ من الحالات فإنها ستندمج في اللعبة بشكلٍ كلي.

إذا كانت طفلكِ تعاني من مشاكل في تعديل سلوكها يمكنكِ أن

تدخلي تمارين في ألعاب التمثيل تبين الحاجة إلى الركض بأقصى سرعة ممكنة للهروب من مجموعة من العمالقة المخيفين أو الركض بسرعة متوسطة بحيث تستطيع الأميرة متابعتك أو التحرك ببطء لكي لا يتبته إليك العمالقة. كذلك يمكن أن تمثل ألعابك خمسة أنواع من اللمسات القاسية والعادية والناعمة والناعمة جداً ويمكن أن تصيحي أو تتحدثي بصوت عادي أو تهمسين وأنت تناقشين الوضع مع طفلتك. وإذا بلغت الإثارة حداً زائداً يمكنك أن تبطي الحركة وتساعد طفلتك على تعديل سلوكها مع المحافظة على المرح.

إن المهارات الحركية الدقيقة يمكن أيضاً أن تكون جزءاً من ألعاب التمثيل مع طفلتك. في هذا السن يحب معظم الأطفال ألعاب الرسم والتلوين بالأصابع والخربشة على الورق. يمكنك أن تبتكري قصصاً حول الأشكال التي يرسمها كل منكما. بعض الأطفال الذين لديهم موهبة خاصة في النواحي البصرية - الفراغية لكنهم يعانون من صعوبة في البدء بالحوار أو اتباع التعليمات اللفظية قد يتمتعون برسم الصور والخرائط التي تساعدهم على إدراك بيئتهم. مثلاً إذا كان الطفل مشتاقاً إلى أمه التي ذهبت في رحلة يمكن أن يُعطى ورقة وأقلام ملونة وأن يُطلب منه رسم خريطة يبين فيها مكان أمه. إن ذلك سينمي مهاراته البصرية وقدرته على التنسيق بين العضلات الدقيقة في يده وفي نفس الوقت سيساعده على الشعور بالقرب العاطفي من أمه البعيدة عنه.

إذا كانت طفلتك تعاني من صعوبة في التحكم بعضلاتها الدقيقة ولا تريد الإمساك بالقلم ورسم الأشكال على الورق حاولي أن تبتكري لعبة تشجعها على تحريك قلم التلوين. قد تفرحين أن ترسم بعض الأشكال على الورق وأن تقومي أنت بتقليد هذه الأشكال على ورقتك وفي كل مرة تخفقين فيها في تقليد شكل رسمة تخسرين نقطة عندما تبلغ النقاط حداً معيناً عليك أن تشتري لعبة لها. تأكدي طبعاً من فشلك في رسم بعض الأشكال بحيث

تربح هي في النهاية. إنَّ الألعاب التي ذكرناها سابقاً يمكن أن يشارك فيها الأخوة أو الأصدقاء. في هذا السنَّ يشعر الطفل بمرح أكثر عندما يشاركه أصدقاؤه اللعب. إنَّ الألعاب التي تُشارك فيها مجموعة صغيرة من الأطفال تشكّل دافعاً كبيراً للطفل لأنَّه يشارك من خلالها في المرح الجماعي.

بناء إحساس متماسك بالذات

عندما تجرّب طفلكِ كلَّ الجوانب المختلفة من شخصيتها (الجانب الغاضب، الجانب الدافئ، الجانب المحب، الجانب الراض، الجانب المضحك) أثناء تفاعلها معكِ تصبح هذه الأجزاء متداخلة مع بعضها لأنَّها موجودة ضمن شخصية واحدة. إنَّ علاقتكِ مع طفلكِ تلعب دور الصمغ الذي يجمع أجزاء شخصيتها المختلفة إلى بعضها ويضمُّها إلى قدرتها الذاتية على التفكير بأنماط أكثر تماسكاً.

لأنَّ عقلها أصبح الآن قادر على ربط الأفكار المرتبطة بالزمان والمكان تستطيع طفلكِ أن تشكّل صورةً متعدّدة الإحساسات عن نفسها (أناحيلة، عنيذة، مضحكة، جميلة، لطيفة... إلخ). وتستطيع أن تتصوّر الأجزاء المختلفة من شخصيتها في الماضي والحاضر والمستقبل في مواقف مختلفة (وهي تلعب في المدرسة أو تتسوّق مع بابا أو ماما). إذن ما يشكّل الأساس الذي تُبنى عليه قدرتها على المتابعة بين أفكارها بشكلٍ منطقي هو إحساسها النامي بذاتها كشخصٍ مستقل لديه أنواع كثيرة من الأفكار والمشاعر في أوقاتٍ مختلفة ومواقفٍ مختلفة. من خلال علاقتها العاطفية معكِ ستشكّل عند طفلكِ ببطء صورة أكثر تكاملاً عن ذاتها. جزءٌ كبيرٌ من هذه الصورة عن الذات يتضمّن إعجابها بأجزاء جسدها المختلفة. إنَّ الأطفال في هذا السنَّ ينشغلون باكتشاف أعضائهم التناسلية ويتمتّعون بالإحساسات التي يشعرون بها في هذه الأعضاء تماماً كما يكتشفون أحاسيسهم الأخرى.

إنَّهم يضحكون على أشكال الأعضاء المختلفة وقد تسمعونهم يقولون

(رأس بي - بي) أو (وجه دو - دو). إنهم يعرفون كل أسماء الأجزاء الأساسية في أجسادهم ولديهم إدراك نام للعلاقة بين هذه الأجزاء.

قد تعبّر طفلتك عن بعض المخاوف من الأذى الذي يمكن أن يلحق بها. قد تلاحظين أنّ الكثير من المواضيع التي تتحدّث عن سقوط أجزاء من الجسد تنشأ خلال ألعاب التمثيل التي تقوم بها طفلتك. إنّها تقلق حول مدى قدرتها على حماية جسدها وتعالج قلقها بخلع بعض أطراف الدمى التي تلعب بها. إنّ كلاً من الصبيان والبنات قد يعانون من شعورٍ غامض بالقلق عندما يلاحظون الاختلافات بين أجسادهم وأجساد الآخرين. ولكن في معظم الأحيان يملك الصبيان والبنات مشاعر إيجابية تجاه الخصوصية التي تتميّز بها أجسادهم.

عندما تعبّر طفلتك عن قلقها تجاه جسدها قد يكون ذلك إشارةً إلى الطريقة التي تشعر بها تجاه نفسها بشكلٍ عام. إنّ النقاشات التي تثيرها طفلتك حول ذراع أو رجلٍ مفقودة عند دميّتها قد تكون دليلاً على مشاعرها بالعنف في علاقتها معك أو مع الآخرين.

من جهةٍ أخرى، إذا لاحظت أنّ طفلتك تنعّك بصفاتٍ مثل «أنت قاسية جداً، أنت أمٌ سيّئة» فإنّ هذه الصفات قد تكون مؤشراً على قلقها تجاه صعوباتٍ تصادفها في المدرسة كوجود أصدقاء يسيئون إليها.

بشكلٍ عام إن اهتمام طفلتك بجسدها والمتعة التي يجلبها هذا الاهتمام سوف يقوّي من شعورها بذاتها وبالآخرين. إنّها تبدأ بفهم ما هو داخلها وخارجها وبرسم حدود وجودها الجسدي. عندما تدرك جنسها (بالطريقة الطفولية التي تفرّق فيها نفسها عن الذكور) يزداد فهمها للعالم الحقيقي. إنّ إحساسها المتنامي بجنسها وهويتها الجنسية يساعدها على بناء تقديرٍ إيجابي لذاتها.

إنّ دورك في هذه العملية بسيطٌ للغاية. حاولي أن تكوني مُنصتةً دافئةً

ومتعاطفة. إذا كنتِ تلعبين دوراً في لعبة تمثيل مع طفلتكِ حاولي أن تكون صفات الشخصية التي تمثيلينها ضمن الحدود التي لا تزعج طفلتكِ. إذا كنتِ تلعبين دور الحامي أو دور راوي القصة استخدمِي نبرة صوتٍ مهدئةً تمكّن طفلتكِ من التعبير عن كلِّ مخاوفها وقلقها.

حافظي على نبرة صوتٍ هادئةٍ حتى لو كانت طفلتكِ تتحرك في كلِّ الاتجاهات. صحيح أنه لا حاجة لأن توفّري أيّة حلولٍ فيما يتعلّق بمخاوف ابنتكِ حول إبداء جسدها أو فيما يتعلّق بقلقها من الاختلافات بين الذكور الإناث، إلاّ أنّ باستطاعتكِ أن تبخّثي عن طرقٍ لمساعدتها على الربط بين أفكارها، وعلى أن تتوقّع ما الذي سيحدث لاحقاً. بما أنّ إحساس طفلتكِ بجنسها كأنثى بدأ يتطوّر في هذه الفترة فقد تبدأ من خلال الثياب واللعب باكتشاف الاحتمالات المختلفة، قد تلاحظين هذا السلوك منذ السنة الثانية من عمرها.

عندما توفّرين لطفلتكِ الرعاية المناسبة وتضعين لها الحدود وتشعيرينها بالأمان وتشجعين مبادرتها وفضولها واستقلاليتها فإنّكِ تدعمين إحساساً صحياً ومنظماً بالجنس عند طفلتكِ. على أي حال إذا بدت طفلتكِ غاضبة أو حزينة أو مضطربة أو قلقة حيال جسدها فقد يعكس ذلك صعوبة أعمق وقد تستفيد من رأي أخصائي في تطوّر الأطفال.

التغلّب على الصعوبات

التشجيع الخفي

إنّ تقدّم طفلتكِ على سلّم التطوّر كان رحلةً مذهلة. ربما أنّ طفلتكِ مثل كارا وبريان وإيما وول وماكس الذين تحدثنا عنهم في كلِّ فصلٍ من هذا الكتاب، كان عليها أن تتمرّن قليلاً قبل الانتقال إلى المرحلة التالية. بما أنّ الكثير من الأطفال لديهم حساسيات متنوّعة أو مشاكل متعلّقة بالمعالجة تتراوح ما بين المهملة والمهمّة، من المهمّ أن تنظري إلى هذه الصعوبات

على أنها عقبات متوقفة أمام تطوُّر طفلتك الطبيعي. إنَّ رغبتك في معرفة مكان طفلتك على سلَّم التطوُّر وعلى مشاركتها في تفاعلات عاطفية متبادلة قد دفعها إلى تحقيق المزيد من الإنجازات.

لقد أصبحت في هذه الأيام مناقشة موهوبة وممثلة ومفاوضة ومفكرة ومحللة. ولكن هناك بعض الأوقات يبدو فيها أنَّ عملية تعلُّم التفكير المنطقي والتجريدي تدفع بها خطوتين إلى الأمام وترجعها خطوة واحدة إلى الوراء. ففي يوم ما قد تكون طفلتك ذات الأربع سنوات منطقية معظم الوقت تبني جسوراً بين أفكارها وأفكارك في حين تظل منتبهة وفاعلة بدفء ومبدعة أيضاً. في وقت آخر من نفس اليوم قد يصبح تفكيرها مضطرباً وقد تشيح بنظرها عنك وتختبئ تحت الطاولة ولا تهتم بملاحظاتك وقد تنفجر غاضبة. ربما تكون مترددة في ربط أفكارها بأفكارك لأنها محبطة أو تشعر بعدم الارتياح في التعامل مع بعض المشاعر.

عندما تراجع طفلتك تطورياً هي لا تنزلق إلى أسفل سلَّم التطوُّر. قد تفقد بشكلٍ مؤقت القدرة على الاستمرار في حوارٍ منطقي معك أثناء انخراطها في لعبة تخيلية أو قد تفشل في الحديث عن أفكارها أثناء تجاهلها لأفكارك. في بعض الأحيان يبدو تراجعها بشكلٍ أوضح فقد ترفض أن تلعب معك «ألعاب التمثيل» لكنَّها تبقى في تواصل معك وقادرة على تبادل الإشارات العاطفية كالابتسامات والإيماءات وهي تصدر أصواتاً مضحكة أو تختبئ تحت الطاولة. إذا كانت متوترة قد تتجاهل مبادراتك اللفظية ولكَّها تحافظ على تواصلها معك. عندما تتخاصم مع صديقتها قد تزحف إلى حضنك لتعيد تجميع طاقتها قبل أن تتمكن من إخبارك بالذي حدث معها.

عندما تراجع طفلتك حاولي دائماً أن تزيدي من تفاعلِك المهدئ معها. ثمَّ قيِّمي أين هي على سلَّم التطوُّر في تلك اللحظة. إنَّ هدفك هو أن تعرفي كم درجة نزلت على هذا السلَّم وأن تثبتيها عند هذه الدرجة قبل أن

تساعديها على الصعود. بإمكانك مساعدتها باستخدامك القدرات التطورية المبكرة التي أنقنتها منذ فترة طويلة وتساعدنيها على تهدئة نفسها والانتباه وعلى أن تظل متفاعلة معك.

خذي دقيقة من وقتك واستعرضي بسرعة المراحل التطورية الأساسية في ذهنك بدءاً من الأسفل إلى الأعلى لمساعدتها على الإبقاء على كل الأسس التطورية ثابتة في مكانها. أسألي نفسك: هل لفت انتباه طفلي؟ هل تنظر أو تنصت إليّ أو تلمسني؟ إذا شعرت أنّ طفلك غير مندمجة معك قومي بلمسها بلطف أو بإبداء إيماءات مشجعة قد تساعدها على العودة إلى الاندماج معك. وقد تقررين الجلوس على الأرض بجانبها واللعب معها بدماها كطريقة لشد انتباهها وإعادة التواصل معها.

ما أن يعود التواصل بينكما، أسألي نفسك فيما إذا كانت طفلك ذات الثلاث أو أربع سنوات تتفاعل معك بشكل حقيقي وبطريقة حميمة. هل ما زالت توجه ظهرها إليك وتنظر بوجه جامد نحوك؟ هل يشير تقطيب حاجبيها وتعابير الغضب على وجهها إلى معنى ما تريد إيصاله إليك؟ إذا شعرت أنّها غير مندمجة معك تماماً حاولي الانضمام إليها في النشاطات التي بدأت بها أو كوني لطيفة معها وقومي بعناقها لكي تذيب الجليد بينكما. عند هذه النقطة يمكنك أن تتبادلي معها الكثير من الإيماءات بدءاً من الابتسامات إلى هزات الرأس. عادةً عندما يكون الطفل منزعجاً أو منسحباً ونريد مرضاته فإنّ إعطائه قلماً إذا كان يريد الرسم أو شريط الفيديو إذا كان مهتماً بمشاهدة فيلم أو حتى شيئاً ليأكله سيعيد التواصل بيننا وبينه. عندما تراجعين بعقلك تصرفات طفلك وتلاحظين علامات تدلّ على نكوصها إلى مراحل تطويرية مبكرة يمكنك أن تبחי عن إمكانية مشاركتها في حل المشكلة والحديث إليها. ما أن تشعرين بوجود رغبة عندها في حل المشكلة بالتعاون معك حاولي أن تقربي منها على مستوى الأفكار. من المؤمل أنّك عند هذه النقطة تستطيعين أن تبدأي لعبة تمثيل معها أو الدخول في حوار منطقي بينكما.

في معظم الحالات إذا رجعتِ إلى قائمة سُلِّم التطوُّر ستجدين أنَّ طفلتكِ قد تراجعَت درجةً أو درجتين على هذا السُلِّم. لنفترض أنَّ طفلتكِ ذات الثلاث أو أربع سنوات كانت تصبح في وجهكِ لأنكِ أعطيتها قطعتين من الحلوى ورفضتِ إعطاءها المزيد وقد اضطرب تفكيرها نتيجة لذلك. من الواضح أنَّها ما تزال في حالة تواصل معكِ بدليل أنَّها تمسك بمريولك وتشده وقد تقطَّب حاجبيها وتقول «أنتِ أمٌ غبية!» بالتأكيد إنَّ إيماءاتها والتصرُّفات التي تقوم بها لحلِّ المشكلة وكلماتها تدلُّ على أنَّها تستخدم بشكلٍ جزئي كل المهارات التطوُّرية التي اكتسبتها ومع ذلك فأفكارها مجزأة وغير منطقية لأنَّها لا تستطيع التعامل مع غضبها بشكلٍ جيِّد.

بإمكانكِ أن تساعدِها على الانتقال من هذه الأنماط المجزأة من التفكير إلى التفكير المنطقي بمساعدتها أولاً على الاسترخاء والهدوء عندما تستعيد هدوءها باستطاعتكِ مرَّةً ثانيةً أن تسألها أسئلة تساعدُها على الربط بين أفكاركِ وأفكارها.

كقاعدة عامَّة، عندما تراجع طفلتكِ على سُلِّم التطوُّر فإنَّ الفكرة الأولى يجب أن تنصبَّ على تهدئتها ثم تهدئتها ثم تهدئتها. استخدمِي أيَّة تكنولوجيا للتهدئة تعطي ثماراً جيِّدة، أيَّ شيءٍ بدءاً من فرك الظهر بثبات إلى وضع اليد على الكتف إلى التريبت بلطف على الشعر إلى النظر إليها بشكلٍ دافئ.

إنَّ التهدئة لا تساعد طفلتكِ على الهدوء بحيث تدرك ذاتها وتصعد درجة أخرى على سُلِّم التطوُّر وحسب، وإنما تساعد أيضاً على تفعيل المهارات التطوُّرية المبكرة المرتبطة بعواطفها وإحساساتها الجسدية الأساسية. قد يستغرق الأمر عدة دقائق أو جلسة كاملة من اللعب على الأرض لتساعدِ طفلتكِ على تجميع ذاتها ولكن الأمر يستحق ذلك.

في كلِّ مرَّةٍ تساعدِين فيها طفلتكِ على تسلُّق سُلِّم التطوُّر من جديد

فأنت تجعلين مهاراتها أكثر استقراراً. لا تشعرين بالإحباط إذا لم تنجحى أحياناً في توفير الدعم الكافي لها.

إنك تساعدين طفلتك على النمو في النواحي التي تجد صعوبة فيها في كل مرة تعودين فيها معها إلى مستوى تفاعلي مبكر وتقويان هذا المستوى. بما أن هذه الصعوبات يمكن مواجهتها والثقة يمكن استعادتها فإن فترات النكوص تعطيك فرصة لتثبيت قدم طفلتك على سلم التطور. والآن لنراجع مرة أخرى الأطفال الخمسة الذين تحدثنا عنهم ولنرى كيف يتلاءمون مع آبائهم وأمهاتهم مع الصعود خطوتين إلى الأمام وخطوة إلى الوراء على سلم التطور.

الأطفال الحساسون للمس والصوت.

بحلول الصيف بلغت كارا أربع سنوات وبدا أنها قد تجاوزت الضيق الذي كانت تشعر به نتيجة لبعض اللمسات والأصوات العالية لكنها ما زالت تحت السيطرة والتحكم. وفي الحقيقة أن أخويها جوي وراثيل اللذين يبلغان سبع وتسع سنوات على التوالي لم يعودا ينظران إليها على أنها طفلة العائلة المسكينة وأصبحتا يتضايقان من حبها للتحكم. ارتفع التوتر في العائلة إلى درجة أن إيلين والدة كارا أخذت موعداً مع أخصائي التطور.

أصبح واضحاً خلال دقائق من الانتظار في مكتب أخصائي التطور أن كارا قد حققت تقدماً رائعاً منذ الزيارة الأخيرة قبل سنتين. كانت كارا قادرة على ترك أمها وأبيها ستيف في غرفة الانتظار والانخراط في حديث مع الأخصائي. استمر حديثهما خمس عشرة دقيقة لم تناقش خلالها كارا أفكارها الخاصة وحسب بل استجابت لأفكار الأخصائي وبنّت على أساسها أيضاً.

إن قدرتها على المشاركة في تنابعات طويلة من الأخذ والرد حول يوم التخيم والسباحة كانت مذهشة وقد استخدمت ألفاظاً (احمرّت عيتاي لأن حوض السباحة كان معقماً بالكلور) مفاجئة في بعض الأحيان.

على كلِّ حال عندما دخل ستيف وإيلين المكتب بدءاً المشاركة في لعبة تمثيلية بدأتها كارا عن وحشٍ يطارد سوبرمان كان واضحاً أنَّ كارا ما زالت تعاني من حساسية زائدة تجاه الأصوات العالية والحركات المفاجئة. خلال الدراما لعب ستيف دور الوحش وأصدر أصواتاً مضحكة ولكنها عالية. انزعجت كارا بشكلٍ واضح وحَفَّت نشاطها في الدقائق القليلة التالية.

بعد أن راجع والدا كارا مع المعالج أنماط السلوك المعتادة التي كانا يمارسانها مع ابنتهما قال لهما إنه لم يتفاجأ لأنَّ كارا كانت تجد صعوبةً في التلاؤم مع أخيها وأختها في اللعب وكانت تتصرَّف بسلبيةٍ وعنادٍ معهما. لقد كانت طفلةً ذكيةً وقد أدركت بفطرتها أنَّها لا يمكن أن تعتمد على أخويها لتهدئتها بنفس طريقة والديها عندما يأخذ اللعب أو النقاش منحىً عنيفاً. لقد كانت تتجنَّب التفاعل مع جوي وراثشيل ضمن أوضاعٍ غير محدَّدة لأنَّها علمت من خبرتها أنَّ اللعب الخشن قد يزعجها. لسوء الحظ لقد تجنَّبت الكثير من المرح والمتعة وخسرت الكثير من الألعاب الجديدة وهي تحاول حماية نفسها. إنَّ استخدامها المتكرَّر لعبارة «لا أريد أن أفعل ذلك مرَّةً ثانية» جعلها تبدو مائعة بالنسبة لأخويها وبالتالي فقد أجبراهما في التعامل مع عدم جدِّيتها.

فيما مضى كانت راتشيل أكثر رغبةً في مساعدة أختها الصغيرة على تحمُّل اللمسات والأصوات المختلفة. لقد اقترح الأخصائي أنه عندما تنسحب كارا من التفاعل مع أختها يجب تعليم راتشيل كيف تهدئ أختها وتستمر في اللعب معها، حتى جوي العنيد يمكن إيفهامه أنَّ أخته الصغيرة تشعر بمشاعر سلبية تجاه نفسها في كلِّ مرَّةٍ تنسحب فيها من اللعب معه.

على كلِّ حال، أوضح الأخصائي أنَّ الغيرة قد تكون سبباً للعداء بين كارا وأخويها. وشرح للأبوين كيف أنَّ اهتمامهما المنصبَّ على كارا بسبب حساسياتها الخاصة قد توتَّر على راتشيل وجوي وهكذا يمكن لهما أن يتفهما

أكثر تركيز اهتمام والديهما على كارا خلال أوقات اللعب المشترك. إنَّ تخصيص وقتٍ للعب مع راتشيل وجوي سيكون فرصةً لهما للتعبير عن أفكارهما ومشاعرهما ويعطي كلُّ واحدٍ منهما الفرصة ليكون محطَّ اهتمام والديه .

كما شجَّع الأخصائي كلاً من الوالدين على إعطاء أخوي كارا مزيداً من الوقت والمجال لكي يشتكيا من كارا إذا اختارا ذلك وأن لا يُنتقدا أو يُحاكما بسبب مشاعرهما السلبية . إنَّ إعطاء جوي وراتشيل مزيداً من الوقت والاهتمام والتعاطف مع شعورهما بالإحباط نتيجةً لتصرُّفات أختهما الصغيرة سوف يلعب دوراً كبيراً في تخفيف النفور الذي تشكَّل عندهما من كارا خلال السنة الماضية .

اقترح الأخصائي أيضاً على ستيف وإيلين أن يبذلا مزيداً من الوقت في اللعب الجماعي كما كانا يفعلان في لعبة حديقة الحيوانات عندما كان الأطفال أصغر سناً .

إنَّ تغيير الشخص الذي يلعب دور القائد أثناء اللعب سوف يعطي الفرصة لكلِّ طفلٍ لكي يضع قواعده الخاصة في المرح وبالتالي سيعلم ذلك الطفل كيف يقضي وقتاً ممتعاً عندما تتَّبع قيادة غيره .

هذا يعني أنَّ على راتشيل أن تتحمَّل قيادة أخويها وعلى جوي أن ينصت إلى صوت كارا (الناعم) وهي تزأر كالأسد وعلى كارا أيضاً أن لا تغطِّي أذنيها عندما يضرب جوي صدره بيديه مثل طرزان .

إنَّ ألعاب التمثيل التي تشارك فيها كل العائلة هي فرصة ممتازة لتعويد الأطفال على الرضى بالتسوية وأن يتحمَّل كلُّ منهم الآخر . هناك طريقة أخرى لزيادة المرونة عند كارا والرغبة في تحمُّل الإحساسات الجديدة وهي إعطاؤها مزيداً من الفرص للتفاعل مع أشخاص من خارج دائرة عائلتها . اقترح الأخصائي زيادة عدد الأيام التي تذهب فيها كارا إلى المدرسة من

ثلاث إلى أربع مرّات في الأسبوع وأن يُعطى رفاقها الفرصة للعب معها في المنزل مرّتين أو ثلاث مرّات أسبوعياً. كذلك من المهم جداً أن تُخبر المعلّمة في المدرسة عن الصعوبات التي تعاني منها كارا في تحمّل الأصوات العالية وبعض اللمسات من الأطفال الأكبر سناً. إنَّ تأمين فترة انتقالية تلعب فيها كارا مع طفلٍ واحدٍ في زاوية الغرفة قبل الانضمام إلى بقية المجموعة سيجعل انتقالها إلى مجموعة ذات ضجيج أقلّ إزعاجاً.

شجّع الأخصائي ستيف وإيلين على عدم الشعور بالإحراج إذا أبدت طفلتهما شيئاً من السلوك غير المنتظم أو بدت انعزالية أثناء لعبها مع صديقاتها. وأخبرهما أنّه من المناسب أن يتدخّلا في اللعبة التمثيلية التي تلعبها كارا مع صديقاتها ويقوما بتهدئتها عند الحاجة ويساعداها على العودة إلى الاستجابة المنطقية لأفكار صديقاتها وعلى أن تبتكرا أفكاراً من عندها أيضاً.

لا شكَّ أنّ كارا ستتعلم من هذه الفرص الإضافية كيف تقرأ وتحمّل خصوصيات الأطفال الآخرين. الآن بعد أن أصبح لدى والدي كارا فهماً أفضل للطريقة التي يمكن أن يقوياً بها قدرة ابنتهما على التلاؤم مع حساسيتها للصوت واللمس وبعد أن أدركا أنّ كلّ أطفالهما سيستفيدون من تخصيص مزيدٍ من الوقت للعب على الأرض عاد ستيف وإيلين إلى بيتهما مسلّحين بشعورٍ جديدٍ بالتفاؤل.

الأطفال الأقلُّ تأثراً بالعالم المحيط بهم

إنَّ سنةً واحدةً قد تحدث تغييراً كبيراً. قبل سنة من الآن استاء ستيوارت والد بريان عندما لاحظ تأخّر طفله في القدرة على استخدام الألفاظ عن الأطفال الآخرين في المدرسة. والآن وهو يقترب من سنته الرابعة أصبح بريان يقضي الكثير من الوقت منبطحاً على بطنه وهو يخوض حديثاً عاصفاً أثناء ترتيب الدمى على الأرض في لعبةٍ يطلق فيها العنان لأفكاره. كان

ستيوارت وزوجته تامي مسروران بتقدّم بريان. لقد كان بريان (مراسلاً بطيئاً) عندما كان رضيعاً، وكان لا يستجيب جيّداً لرسائل والديه اللفظية والبصرية. على كلِّ حال أدّى التدخل المبكّر عن طريق إغرائه بالتفاعل بواسطة إثارة حاسته البصرية النامية وباستثمار حبه للحركة (بما في ذلك الكثير من الزيارات للأرجوحة في الحديقة) إلى تطوّره بشكلٍ لافت. لقد تطوّرت عند بريان قدرة حقيقية على اللعب التخيلي لفتراٍ طويلة من الزمن ولم يكن يعاني من أيّة صعوبة في وصف تصرّفاته لوالديه.

بدأ ستيوارت وتامي يلاحظان أنّ بريان كان يكثر من الحديث إلى نفسه. صحيح أنّه كان ذكياً وقادراً على استخدام الألفاظ لكن بدا أنّه يفضل عالمه الخيالي على العالم الواقعي. كان يحتاج إلى أن يتفاعل أكثر مع والديه وأصدقائه لكي يبني بشكلٍ منطقي أفكاره وألعاب التمثيل استجابةً لأفكار الآخرين.

كلّما كان هناك المزيد من الحوارات التفاعلية وألعاب التمثيل بين بريان ووالديه استطاعا أن يتابعا آراءه وأن يدخلوا معه في نقاشات حقيقية. أفضل طريقة لفعل ذلك هي الحديث عن عملٍ يقوم به وعرض رأيٍ ما «ما رأيك لو وضعنا هذه الدمية هنا» إن ذلك سيدفع بريان للإجابة بسرعة «لا، نضعها هنا» اكتشف ستوارت طريقة أخرى للحصول على رأي من بريان وهي سؤاله عن مشاعره تجاه أمرٍ ما «هل تُشعرك هذه القصة بالسعادة أم الحزن أم الغضب؟» أو «كيف تشعر عندما يستعير أحدهم لعبتك المفضّلة؟» إن ذلك غالباً ما سيدفع بريان إلى التعبير عن عواطفه بشكلٍ شاعري.

لقد احتاج كلٌّ من ستوارت وتامي إلى أن يدخلوا طفلهما في مناقشات حيوية سريعة وأن يشجعا في نفس الوقت على الإجابة على أسئلتهم والبناء على أفكارهما. إن التقدم في هذا المجال كان يحتاج إلى كثيرٍ من الممارسة. بدلاً من التفرج عليه وهو يحرك جنوده والتعليق بملاحظة مثل (أوه، يا للجهة الرائعة التي بنيتها) حاول ستوارت وتامي أن يدخلوا إلى قلب

اللعبة التمثيلية ولو اقتضى ذلك أن يرفعا أصواتهما ويلوحا بأيديهما ويضعها وجهيهما بجانب وجهه. لقد أدخلت إيماءاتهما وملاحظاتهم وارتكاساتهما التلقائية إلى الدراما التي كان يلعبها مما جعله يربط أفكاره بأفكارهما لأنه يريد أن يطيل المرح الذي شعر به معهما.

إن ألعاب المطاردة واتباع القائد وبناء الجبهات والجبال باستخدام الوسائد والعراك الخشن ساعدت بريان على التركيز والانخراط في الحوار وعلى أن يفكر بشكل منطقي أكثر من الألعاب المنفردة التي كان يحبس نفسه فيها. لهذا السبب حدت تامي وستوارت الفترة التي يُسمح لبريان بقضائها في مشاهدة التلفزيون أو اللعب بالكمبيوتر إلى نصف ساعة يومياً (في الحقيقة كل الأطفال يجب أن لا تتجاوز الفترة التي يقضونها في مشاهدة التلفزيون عن نصف ساعة يومياً ونصف ساعة أخرى لألعاب الكمبيوتر إذا كانوا يتمتعون بها).

لقد احتاج بريان إلى مساعدة والديه لكي يربط بين أفكاره المجزأة ويضعها في مواضيع طويلة مترابطة. لو أن ستوارت وتامى تركا الطاقة العالية التي يتميز بها تفاعلها مع بريان تخفت بسرعة فمن المرجح أنه سيصغي إلى إيقاعه الخاص ويغرق في عالمه الداخلي. لقد أدت عزلة بريان إلى جعل أفكاره محدودة في عمقها وسعتها وللتغلب على ذلك حاول والداه أن يملأ صوتهما بالطاقة وأن يسألاه لماذا لم يجب على آخر سؤال ولماذا لم يستجب لآخر ملاحظة صدرت من الشخصية التمثيلية في الدراما التي يلعبها. بهذه الطريقة استطاعت تامي وستوارت أن يشجعا على ربط أفكاره المجزأة مع بعضها. بما أن بريان أصبح أكثر قدرة على ربط أفكاره بأفكار الآخرين فقد تحسنت مهاراته الاجتماعية. إن مشاركته في المحادثات الطويلة درّبه على تقييم نبرة ونظم أصوات الأشخاص الآخرين بسرعة. إن هذه المهارة ستساعده على معرفة نوايا الأطفال الآخرين في المدرسة وساحة اللعب وستساعده عندما يكبر على تنظيم مجموعة من الناس في حفل كبير.

إن تعلم التواصل مع الآخرين من خلال النظر ومصافحتهم والابتسام عندما يقول الإنسان «أهلاً» هو تتابع معقّد من الأفعال المترابطة التي يتدرب عليها الطفل خلال هذه المرحلة من تطوّره.

لأن مقويته العضلية ما تزال ضعيفة كان بريان يجد صعوبة أكثر من الأطفال الآخرين في إتمام أفعال معينة قبل الانتقال إلى أفعال أخرى سواء في الحياة الحقيقية أو ألعاب التمثيل. كانت ألعاب التمثيل التي يقوم بها مجزأة. كانت مهمة والدي بريان أن يأخذوا دوراً في الدراما يساعده على العودة إلى الفعل الأول وإكماله أو إغلاق دائرة التواصل قبل الانتقال إلى الموضوع التالي. إن الألعاب التي تتضمن ثلاث أو أربع خطوات كانت صعبة بالنسبة لبريان لذلك كان من المهم أن يزوده والداه ببعض التمارين المرححة التي تحسّن من قدرته على التنسيق بين حركاته. لقد صنعا متاهات من الصناديق والوسائد وربّتا ألعاباً حيّة يُمارَس فيها البحث والاختباء لتشجيع طفلهما على الربط بين حركات جسده في تتابع طويل مدفوع بالعاطفة.

كذلك ساعد والداه بريان ابنهما على ربط أفكاره في مواقف الحياة الحقيقية. على سبيل المثال: إذا أراد أن يظلّ صاحياً إلى وقت يتجاوز فيه ساعة نومه، قد يُعلن ببساطة «لا أريد الذهاب إلى السرير الآن» عندها يشجعه والداه على الحوار بطرح أسئلة عليه مثل «أعطينا ثلاثة أسباب، وربما نسمح لك بالبقاء مستيقظاً» إذا قال بريان «أنا لست نعساناً» يساعده والداه على ربط هذه الفكرة بأفكارٍ أخرى «وليس لديك أيّ رغبة في مشاهدة التلفاز معنا أليس كذلك؟» أو «ما رأيك بأخذ قيلولة غداً لأنك ربما ستشعر بالنعاس إذا بقيت مستيقظاً إلى المساء» إن هذه الحوارات المعتمدة على العاطفة فعالة جداً في شدّ انتباه الطفل قليل التأثر مثل بريان وفي إعادته إلى التفاعل الحركي مع العالم الخارجي الذي يضحّ بالحركة.

بدأ ستوارت وتامي بزيادة عدد أوقات اللعب الجسدي مع بريان إلى

أربع أو خمس مرات يومياً. لقد كانا يلعبان معه ألعاباً تتضمن الركض والقفز والدوران وألعاب النظر والفعل كاللعب بالكرة والبحث عن الكنز المفقود. هذه النشاطات مهمة جداً للأطفال مثل بريان الذين يحتاجون إلى مزيد من التدرّب على استخدام عضلاتهم.

الأطفال التواقون إلى المثيرات الحسية

عندما بلغت إيما السنة الرابعة كانت ما تزال نافثةً للهب - مليئةً بالطاقة وكثيرة الكلام. كانت إيما تقضي معظم وقتها في البحث عن خبراتٍ ونشاطات مفعمة بالألوان والأصوات والحركات الجسدية لأن الإحساسات الأضعف كانت تُبقيها جائعة. كانت تحتاج إلى الكثير من المثيرات الحسيّة لتشعر (بالشبع). وبدا أنها تصبح متصلبة ومحبةً للسيطرة عندما تُهدّد مصادر الإثارة الخاصة بها. كان من الواضح أن المشتتات الكثيرة في المدرسة جعلت من الصعب على إيما أن تنظّم نفسها بدون أن تتصرّف بشكلٍ عدوانيّ. كانت تشعر بعدم الثقة بنفسها واعتادت على ذلك الشعور بأن تكون فعالة وتحافظ على مسافة بينها وبين الأطفال الآخرين. كانت هذه الطفلة ذات الأربع سنوات بحاجة إلى المساعدة في إيجاد طرق مقبولة اجتماعياً تحصل من خلالها على الكثير من المثيرات الحسيّة.

اقترح أخصائي التطور أن إيما ستستفيد من المزيد من أوقات اللعب على الأرض مع والديها لورا ومايك في جوٍّ آمنٍ وخاضع للسيطرة في المنزل. لقد كانت فكرة جيدة. أن يكون لديهما بعض الأشياء كتلك الموجودة في المدرسة (كدمى الحيوانات على سبيل المثال). باستطاعة لورا ومايك فيما بعد أن يتبعوا قيادة إيما وهي تبتكر لعبة تخيلية تتضمن الدمى التي أشرنا إليها وأن يراعيا رغبتها في التحكم بالأمر. هذا يعني أنّ عليهما أن يتجنبنا التحكم باللعبة بحيث لا تشعر إيما بالحاجة إلى الدفاع عن دُمائها. باستطاعتها بعد ذلك أن يعرضاً مساعدتها - بصوت مهديّ وإيماءات بطيئة

مسترخية - على تجميع حيواناتها في مجموعاتٍ مختلفة. طالما اقترب الوالدان لورا ومايك من طفلتهم ببطء وأشعراها بأنها هي قائدة اللعبة سيكون هناك فرصة جيدة لأن ترغب ابنتهما الصغيرة في ربط أفكارها بأفكارهما خلال أوقات اللعب التخيلي التي يقضونها معاً.

عمل الأبنان لورا ومايك على تعديل إيقاع اللعب وجعل الأُسود التي تتحرك بسرعة بطيئة وكسولة. كما وقَّرا الكثير من التهذئة أيضاً بعد أن أدخلها ألعاباً حسيّة مرحة تدوس فيها الأفيال على الناس والحيوانات في طريقها.

هذا النوع من التغذية لألعاب تمثيلية أكثر تلقائيّة والذي يجري قبل المدرسة سيساعد إيما على اللعب مع الأطفال الآخرين. إذا تمكّن كل من لورا ومايك من مساعدتها على الحديث عن مشاعرها أثناء اللعب وناقشا معها فيما بعد صعوبة مشاركة الآخرين في اللعب بدُماها فإن إيما ستصبح أقلّ انزعاجاً في مواقف الأخذ والعطاء التي تصادفها في حياتها الحقيقية. كذلك من المفيد أن يزيد لورا ومايك من اللعب الخشن مع إيما لأن ذلك يشبع حاجاتها الحسيّة. إضافة إلى ذلك، باستطاعتها أن يشجعها على إدخال مواضيع مثيرة في ألعابها التمثيلية فالشخصيات يمكن أن تذهب إلى الزهرة بدلاً من الذهاب إلى السوق، والمزارعون يمكن أن يزرعوا الألبان بدلاً من القمح. بالممارسة سوف تُشبع ألعاب التمثيل حاجتها إلى الإثارة الحسية.

أوضح الأخصائي أن الأطفال الذين يشبهون إيما والذين يبحثون عن تحقيق الشعور بالمشيرات الحسية بشكل فردي غالباً ما يهملون ملاحظة الطريقة التي تؤثر بها تصرفاتهم على مشاعر الأطفال الآخرين. لقد شعر الأخصائي أنه من الضروري أن تُتبع الحوارات بين إيما ووالديها بمزيد من أوقات اللعب بعد المدرسة - أربع أو خمس مرات في الأسبوع - إذا أمكن ذلك - لتطبيق الدروس بشكلٍ عملي. وأضاف الأخصائي أن الكثير من

الفرص الإضافية التي يظهر فيها الاهتمام بحاجات الآخرين يجب أن تُعطى للطفلة خلال يوم عادي في المنزل. على سبيل المثال يمكن أن يُطلب من إيما أن تمرّر الخبز أو الملح إلى أحدٍ ما خلال تناول العشاء. إذا اتصلت جدّة إيما وأخذت تتحدث لفترةٍ من الوقت مع لورا يمكن حمل إيما على تأخير إشباع حاجاتها بالطريقة التالية: إذا بدأت إيما تشدُّ ذراع والدتها للخروج يمكن للورا أن تقول «أعطني خمس دقائق فقط، أريد أن أنهي حديثي مع جدتك» إذا ردّت إيما «هذا الأمر لا يهمني - لنخرج الآن» يمكن أن تجيب لورا «ربما بإمكانك أن تتكلمي إلى جدّتك وتطلبي منها الإذن لتسمح لي بالخروج معك الآن أو إذا كانت تريد أن تكمل حديثها معي» قد تكون حركة إيما التالية أن تستلقي على الأرض وتصبح «لا أريد أن أتحدث إليها، أريد أن أخرج الآن» إذا أجابت لورا «يجب عليك أن تنتظري لعدة دقائق... إيما» فإن ذلك سيعطي درساً لإيما بأن حاجات شخص آخر هي أكثر أهمية من حاجاتها في تلك اللحظة.

هذا النوع من الدروس لطيف لكن وضع الحدود يساعد إيما على الأخذ بعين الاعتبار وتحمل أفكار وحاجات الأطفال الآخرين عندما تخرج إلى العالم الأوسع الموجود في المدرسة. كلما تفاعل والد إيما معها بشكل مُحبّب وساعداها على الاهتمام بالآخرين أصبحت أكثر رغبةً في التحكم بحاجاتها الجسدية مراعاةً للآخرين.

الأطفال الذين يستجيبون للمناظر لكن يجدون

صعوبة في التعامل مع الأصوات

كان ول مثل بريان غارقاً في اللعب التخيلي الفردي إلى درجة أنه كان يجد في بعض الأحيان من الأسهل عليه أن يعيش في عالمه الخاص. كان يلعب في كل صباح قبل الذهاب إلى المدرسة بالديناصورات التي جلبها له والده ويحرّكها وهو يصدر أصواتاً في غاباتٍ من نسج خياله وغالباً ما كان

ول يتجاهل نداء أمّه للمجيء إلى المطبخ لتناول الفطور. أحياناً كان على والده أن يطفئ ويشعل ضوء الغرفة عدة مرّات أو أن يهزّ كتف ابنه لينتبه إلى وجوده.

كان والداه معجبين جداً بولعه بالديناصورات. وقد ظهر الدليل على مهاراته البصرية والحركية الدقيقة في الصور التي كان يرسمها للديناصورات في المدرسة إذ كانت أسنانها الكبيرة ورقابها الطويلة واضحة تماماً. على الرغم من قدرته على الإبداع والحركة إلا أن ول كان يُنظر إليه من قبل أصدقائه كشخصٍ انعزالي. في دار الحضانه كان يبتهجُ عندما يحين وقت الأعمال الفنية أو عندما يُحضر أحد أصدقائه شيئاً مثيراً ويعرضه عليه لكن أساتذته ذكروا أنه قليلاً ما كان يبدأ نقاشاً مع الآخرين. كان لدى ليزا ودان شعوراً متزايداً بأن الصعوبات التي يعاني منها دان في معالجة الأصوات كانت تؤثر على قدرته على اكتساب الأصدقاء وقد أحبطهما ذلك.

إن الأطفال الذين يشبهون ول يغرقون أحياناً في أفكارهم وتخيلاتهم الخاصة لأنه يصعب عليهم معالجة الرسائل اللفظية والأصوات الأخرى. ومع قدرتهم على الإبداع إلا أنهم لا يتمكنون دائماً من بناء جسورٍ بين أفكارهم الخاصة وأفكار الآخرين التي يعبرون عنها بالألفاظ. لسوء الحظ، إن قدرة هؤلاء الأطفال على التصنيف التجريدي والمنطقي للأفكار تظلُّ ضعيفة إلى أن يتمكن آباؤهم وأمّهاتهم من مساعدتهم على الانتباه إلى الرسائل اللفظية وربطها بأفكارهم الخاصة.

كان على ليزا ودان أن يتعمداً وبشكلٍ مَرِحٍ دفع ول للإجابة «هي ول، ماذا عن سؤالي؟» إذا صمّت ول ولم يتكلم عن ديناصوراته يمكن لدان أن يطرح السؤال على شكل مقطعٍ من أغنية ليضفي جواً من المزاح قد يشدُّ انتباه ول. لقد علم دان أن عليه أن يحافظ على تبادل الرسائل الغير لفظية بينه وبين ول كهزات الرأس والابتسامات والإيماءات باليدين لكي يبقى ول

مرتبطاً عاطفياً بالحوار حتى ولو كان من الصعب عليه الإنصات أو إيجاد الكلمة الصحيحة.

الأمر المهم هنا هو مساعدة ول على الاستجابة لأفكار الآخرين وابتكار أفكار من عنده لأنه من خلال الحوار المنطقي واللعب التخيلي يمكن لول أن يتعلم كيف يبتكر أفكاراً جديدة ويبنى علاقات اجتماعية. على سبيل المثال: إذا كانت ليزا وول يلعبان بالدمى وحاول ول أن ينزع ذراع دميته بإمكان والدته أن تركّز نظرها على ول وتقول «دعني أرى إن كنت أفهم ما الذي يجري، إن دميتك على وشك أن تنزع ذراع دميتي» إذا هزّ ول رأسه بالموافقة يمكن ليزا أن تقفز مباشرة إلى دميته وتصيح بصوت متوتر «أوه أرجوك لا تؤذي!».

لن يكون مفاجئاً أن يتجاهل ول سؤال والدته لفترة من الزمن ثم يردّد «سأقوم بنزع ذراعك» على ليزا هنا أن تقول على لسان الدمية «ما الذي فعلته؟» وقد يجيب ول بعد تكرار السؤال مرّتين أو ثلاثة. بالانضمام إليه أثناء لعبه والتحلي بالصبر والتأكد من أن أيّ نقاش معه يفضّل تبادلاً منطقياً لبعض الأفكار تكون ليزا قد ساعدت ول على الاستجابة للعالم الخارجي على الرغم من الصعوبات السمعية التي يعاني منها.

نحن الكبار غالباً ما نقوم بنقلة مفاجئة في نقاشاتنا عندما تبرز فكرة جديدة في أذهاننا لكننا ننبه شريكنا في النقاش عادةً إلى الفكرة الجديدة بجمل مثل «إن ذلك يذكرني بكذا...» أو «هل تعلم أن شيئاً مماثلاً حدث معي منذ فترة قصيرة» إن المناقشين الجيدين والمفكرين الماهرين يبنون بشكلٍ فطريّ جسوراً منطقية بين الأفكار الجديدة والقديمة. إن طفلاً مثل ول يجد صعوبة في استيعاب الأصوات ومعالجتها وليس لديه صوت داخلي يقول «هي، انتظر لقد غيرت الموضوع» أو «هذه الأفكار لا معنى لها عندما تأتي بعد الأفكار السابقة».

هناك طرقاً تمكّن ليزا ودان من مساعدةِ ولِ على تطوير صوت داخلي عنده يحذّره عندما يحدث الانتقال المفاجئ أثناء النقاشات باستطاعتها أن يتدخلوا عندما يقفز ول من فكرة إلى أخرى ويعيدا التركيز على الفكرة الأولى. فإذا جاء ول من المدرسة وهو يعلّق على الطعام الرديء الذي أكله في المدرسة وسألته أمه «ماذا أكل الطلاب الآخرون» عندها قد يبدأ ول بالكلام عن صور السلاحف التي رآها في الكتاب. عند هذه النقطة يمكن ليزا أن تقول له وعلى وجهها علامات الاستغراب «ول، قبل دقيقة كنتُ تتحدث عن الطعام والآن تتحدث عن السلاحف، ما الذي نفعه بالضبط؟ نحن نتحدث عن السلاحف أم الطعام؟» إن هدفها هو مساعدة طفلها على أن يدرك أنه انتقل من موضوع إلى آخر ومساعدته على اتباع أفكاره الخاصة بطريقة منطقية وأن يقرّر أيّ أفكارٍ يريد أن يستمرّ فيها. أثناء ذلك كان ليزا ودان يتمتعان بمواهب ول الحقيقية في النواحي البصرية الفراغية. كان ماهراً في جمع الصور المُجزّأة وتصميم المكعبات. لقد ثبت أن هذه المهارات البصرية مفيدة بطرقٍ أخرى. في كل ليلةٍ قبل أن يتجه ول إلى السرير هناك سلسلة من النشاطات التي يجب عليه تأديتها لكنه يجد صعوبة في تذكرها مهما كرّرها والداه على مسامعه. لقد حوّلوا هذه التعليمات إلى أغنية صغيرة ليساعدها على تذكر الخطوات التي يجب عليه اتباعها ومع ذلك لم تكن الأغنية فعالة. فكرت ليزا أن تجعل ول يرسم أربع صور مختلفة تمثل النشاطات التي يجب عليه فعلها قبل الخلود إلى النوم: فرشاة الأسنان، غسل الوجه، لبس البيجاما وتعليق الثياب. كان ول فناناً يتوق إلى الرسم وبعد أن أنهى الرسوم قام هو ووالدته بتعليقها على مرآة الحمام.

هذه المحفّزات البصرية المترافقة بأغنية صغيرة كل ليلة جعلت من السهل على ول أن يتذكر الخطوات التي سمعها في الأغنية. إنّ ممارسة مثل هذه ستعلم ول في النهاية كيف ينتبه أكثر إلى الأصوات التي يسمعها في عالمه لأنه سيستطيع ربطها بالمعلومات البصرية التي تجلب السرور له بسهولة.

الأطفال الذين يستجيبون للأصوات ولكن يجدون صعوبة في التعامل مع المناظر

في سن الرابعة والنصف كان ماكس يتحدث دون توقف. كان يحب أن يُمتع أصدقاءه في المدرسة بقصصٍ عن رحلاته أو كيف أن عمه علّمه كيف ينفخ فقاعات عملاقة مصنوعة من الصابون المذاب في الماء. عندما يحين أو أن تعلم أغنية جديدة كان ماكس يقود بسعادة إيقاع الصف ويعزفُ على الخشبية(*) وهو يهزُّ خصره بشكلٍ متوافق مع إيقاع الموسيقى. كان يبدو شخصاً سعيداً مفعماً بالطاقة والحماس.

ومع ذلك فقد شعر والداه وجوناثان ولين وأستاذه في المدرسة بأنّ هناك أمراً ما لا يتوافق مع سنّه في الطريقة التي يتحدث بها إلى الأطفال الآخرين. كان يبدو وكأنّ ماكس يحتاج إلى مُستمعٍ ليتحدث إليه ولم يكن يهتم كثيراً بهذا المستمع. عندما يسأل ماكس طفلاً آخر كان السؤال يبدو وكأنّه للحصول على مصلحة أو تحقيق رغبة فقط. وغالباً ما كان يشيح بنظره عن وجه ذلك الطفل وبالتالي لا يرى الكثير من الإيماءات - تعابير الململ، الحاجبان المرفوعان، تقطيب الجبين - التي تدلُّ على عدم اكتراث صديقه بالموضوع. إن الكثير من نقاشاته مع الآخرين كانت تبدو وكأنها حديثٌ مع ذاته أو أن النقاش كان يذهب في عدة اتجاهات بطريقة مجزأة.

لأنهما أدركا أن ماكس يعاني من مشكلة مستمرة في معالجة المعلومات البصرية فقد افترض لين وجوناثان أن نشاطه الزائد في المدرسة يتعلق بهذه الصعوبة بشكلٍ أو بآخر. لقد كانا قلقين من أن شخصيته المثيرة التي تنسجم مع أصدقائه في هذا السنّ سوف تصبح شخصية هستريائية وربما فارغة بالنسبة للآخرين عندما يكبر قليلاً. لقد كانا يريدان من ماكس أن يشارك الآخرين أفكاره وأن يبني على أفكارهم بطريقة حميمة وأن يتعلم كيف يكون أكثر قدرة على التعبير عن نفسه.

أحضر والدا ماكس ابنهما إلى مكتب أخصائي التطور على أمل أن يحدّد الأخصائي لماذا تبدو أفكار ماكس على الرغم من حيويتها مجزأة بهذا الشكل. بعد أن راقب ماكس لفترة من الزمن ودخل معه في عدة نقاشات شعر الأخصائي أنه يركّز على القطع الصغيرة من العالم لأنه يصعب عليه إدراك «الصورة الكبيرة». كان حديث ماكس مليئاً بالخيال لكنه فجأة كان ينتقل من موضوع إلى آخر. كان يحتاج إلى المساعدة في ربط الصور المختلفة الموجودة في ذهنه لتشكّل أفكاراً أكثر تماسكاً وهدوءاً. كانت قدرة ماكس على الكلام واضحة وقد أدرك والداه لين وجوناثان أن عليهما أن يركّزا على الجانب البصري من طبيعته وأن يساعدها على تصوير مشاعره وتنظيم أفكاره. في كل مرة يغرق فيها ماكس في التفاصيل الدقيقة يستطيع والداه أن يساعدها على رؤية الصورة الكبيرة وإعادة التركيز على الموضوع الأساسي. فمثلاً عندما يتحدث ماكس عن قصة ما يمكن أن يسألاه «ما الذي يدور حول هذه القصة؟» أو «ما رأيك بما فعلته الشخصية الفلانية في القصة؟» كلما تدرّب ماكس على استنباط المواضيع والمفاهيم الأساسية أصبح أكثر قدرة على بناء الجسور بين أفكاره.

بما أن ماكس كان يعاني من مشكلة في حل المشاكل البصرية فإن بعض النشاطات مثل جمع أجزاء الصور المجزأة أو البحث عن جوارب مفقودة في سلة الغسيل أو لعبة البحث عن الكنز أو الأشياء المخبّأة تشكّل تمريناً عقلياً جيّداً له.

عندما يلعب ماكس لعبة تخيلية باستطاعة والديه أن يشتركا معه أن يخبّنا الحيوانات التي تمثل (الأشرار) بحيث لا يراها دب ماكس الذي يلعب دور الشرطي الذي يبحث عن العصابة. باستطاعتها أيضاً أن يلعبا دور راوي القصة ويصدرا بعض الملاحظات مثل «إنك تقترب من الهدف... تقترب أكثر أو تبتعد... تبتعد أكثر وهكذا» أو «حاول أن تنظر إلى الأعلى» أو «ارجع قليلاً إلى الخلف» مما سيساعده على ربط كلمات

معينة بمفاهيم فراغية: إن البحث عن الأشياء اليومية قد يساعد على بدء النقاش ويؤدي إلى حوار متبادلٍ تُستخدم فيه الرموز «أوه ماكس، تعال وساعدني في العثور على جزداني، أظن أنني تركته في زاوية المطبخ أو بجانب باب المرآب».

بإمكان لين وجوناثان أن يساعدا ماكس على إدراك المفاهيم الفراغية خلال ألعاب التمثيل بسؤاله بعض الأسئلة مثل أين يجب أن يختبئ الحراس من الغزاة القادمين أو ما هو أفضل وآمن طريق للعودة من الحصن. إن لعبة فعالة مثل الكراسي الموسيقية ستكون مفيدة بشكل خاص بالنسبة لماكس لأنها ستجمع بين حركات الجسد والمهارات السمعية العليا التي يسهل عليه استخدامها والحاجة إلى الانتباه البصري القوي الذي يعاني من صعوبة في القيام به. بإمكان والدي ماكس أن يزوداه بالكثير من التعبيرات اللفظية مما يجب عليه أن يفعله أثناء اللعب وأن يستخدم إشارات الأيدي ولغة الجسد لإيضاح الحركات المطلوبة.

هناك تكنولوجيات بصرية أخرى يمكن استخدامها لتقوية مهارات ماكس البصرية الضعيفة. كما أن الرياضيين يشاهدون أشرطة فيديو لرياضيين آخرين يؤدّون حركات صعبة بشكلٍ سلس ليقوموا بتقليدها كذلك يمكن أن يُعلّم ماكس كيف يتصور سلسلة من الصور في ذهنه تعلّمه كيف يرتب أفكاره.

على سبيل المثال عند قراءة قصص ما قبل النوم التي يحبّها يمكن للين أن تضع الكتاب جانباً وتطلب من ماكس أن يتصوّر كيف تبدو شخصيات القصة وما هي أنواع الجنيات والأقزام التي تختبئ في الغابة.

كلّما تدرب ماكس على تصوّر الأشياء بعين عقله أصبح أكثر قدرة على ربط الصور المجزأة التي يلتقطها من العالم الحقيقي وتحويلها إلى مفاهيم مترابطة ومنظمة. إن تمكنه من رؤية الغابة وليس الأشجار سيخفّف من شعوره بالقلق ومن سلوكه الذي يشدُّ به انتباه الآخرين وسيطلقه ليتذوّق متعة

الدفء العاطفي والحميمية التي يشعر بها الإنسان عندما يربط بين أفكاره وأفكار الآخرين.

الصعوبات العائلية التي تؤثر على التفكير التجريدي العاطفي

في بعض الأحيان يؤثر قلقنا بشكل غير إرادي على قدرتنا على مساعدة أطفالنا ليشعروا بالراحة أثناء تجميع أفكارهم.

على سبيل المثال إذا كان الأب يعاني من مشكلة مع مشاعر الاعتماد على الآخرين والعناية بهم قد يلعب مع طفله بالسيارة بدلاً من الانضمام إليه وهو يتمتع بهزّ دميته والغناء لها.

على الرغم من وجود نقاط عاطفية حساسة عندنا نحاول دائماً أن نحذّر من تأثيرها علينا إلا أننا نُضعفُ من قدرة أطفالنا على تطوير أفكار تجريدية معينة عندما نتجنب الحوار معهم في هذه النقاط الحساسة.

عندما نتحاشى التصرف بشكل جامد وحرفي مع بعض المواضيع التي تُشعرنا بالقلق فإننا نساعد أطفالنا على التفكير بشكل أكثر عمقاً وشمولية.

في بعض الأحيان تؤثر بعض الظروف وليس الحساسيات العاطفية على قدرة الأبوين في مساعدة طفلهم على تنظيم أفكاره. إن الانتقال من المنزل أو ولادة طفل جديد أو المشاكل المالية أو موت أحد الجدّين هي أحداث تسبب التوتر وقد تجعل أحد الوالدين قاسياً أو جامداً أو حتى منعزلاً عاطفياً لفترة معينة. حتى الشدّات الخفيفة كالتعامل مع طفل كثير الضجة قد يدفع بعض الآباء والأمهات إلى المبالغة في التحكم بأطفالهم أو المبالغة في حمايتهم أو إلى التصرف بشكل جامد تجاههم.

بعض الكبار الذين اعتادوا على التلاؤم مع حاجات أطفالهم العاطفية قد تصبح أفكارهم أكثر تشبّثاً عندما يتعاملون مع أطفالهم ضمن مجموعة.

إن العلاقات الثلاثية التي تتطور في هذه المرحلة قد تصعبُ على الطفل التفكير العاطفي. قد تشعرين بالغيرة عندما يفضل طفلك صحبة

زوجك مما قد يدفعك إلى الابتعاد عن الاثنين لفترة من الزمن. من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالغيرة لكن يجب أن تتذكرى أن طفلك لا يهجرِكَ هو فقط يريد أن يتواصل مع زوجك لفترة من الوقت. حاولي أن تنفقي مزيداً من الوقت مع طفلك في نفس اليوم. في الحقيقة يحتاج كل من الوالدين أن يقضي بعض - الوقت مع طفله بشكل منفرد لكي يتعلم كيف يحقق التوازن بين الشد والجذب اللذين تحدثهما علاقته الثلاثية مع والديه. إن طفلك حينما يبتعد عنك ويقرب من زوجك فترة من الزمن غالباً ما يركّز على صفاتك السلبية. إنه عندما يجعل منك شخصاً أقل قيمة في حياته إنما يحاول أن يقلل من اعتماده عليك. حاولي أن تبحتي عن فرص لتشكيل حلفٍ مرحٍ مع طفلك سواء في أوقات اللعب أو عندما تكونين معه أنتِ وزوجك ويكون هناك خلافٌ طفيفٌ بين ثلاثتكم. انقلي إليه إحساساً بالتعاطف معه عندما تكونين إلى جانبه. على كل حال من المهم أن تفهمي طفلك أن أمّه وأباه هما الحليفان الأساسيان له. عندما يكون هناك أم أو أب فقط يجب إشراك طرف ثالث بشكل منتظم كالجد أو أي قريب آخر بحيث يخوض الطفل في كل المفاوضات التي تجري في العلاقة ثلاثية الأطراف.

إن الإحساس بالغيرة الذي نشعر به في خضم هذه العلاقة إضافة إلى نقاط ضعفنا العاطفية وشدات الحياة اليومية الصغيرة والكبيرة كل ذلك يؤثر أحياناً على قدرتنا على تقوية التفكير العاطفي عند أبنائنا. كما هو الحال في كل المشاكل، إن الانتباه إلى وجودها هو ببساطة الخطوة الكبيرة الأولى. إن أفضل طريقة لتجاوز هذه العقبات هي أن تكوني مرنة بما يكفي للتعامل مع ضوابطك وقلقك وصراعاتك الداخلية وأن توفري بالطبع الدفء والعناية كلما سنحت لك الفرصة. بعد ذلك اقرأي إشارات طفلك ثم شجعيه على حوارٍ يُشرك فيه عواطفه وسلوكه وأفكاره وكلماته. إذا أصبح الطفل قلقاً وأساء التصرف، ضعي حدوداً فعالة بلطفٍ وتعاطفٍ وليس بإصدار أوامر قاسية. تذكرى: يجب أن تعطي أكثر قبل أن تتوقعي الحصول على المزيد.

تعلم التفكير

ساعدي طفلتك على أن تتعلم كيف تفكر بفتح نقاشاتٍ طويلةٍ معها تسألينها فيها عن رأيها بدلاً من إعطائها قطعاً من المعلومات. على سبيل المثال: إذا عبّرت عن رغبتها قائلةً «أريد أن أخرج الآن» باستطاعتك أن تسألها عمّاذاً تريد أن تفعل عندما تكون خارج المنزل ستجيب قائلةً «أريد أن ألعب على الزلاّقة» وبذلك تكون قد ربطت بين رغباتها وأفكارك. اسألي أسئلةً مفتوحة تدفعها إلى التفكير مثل «لماذا تحبين هذا اللون كثيراً؟» وليس «ما هو لونك المفضّل؟» تمتعي بالحوارِ معها حول أيّ شيء من وقت النوم إلى نكهات الآيس كريم!

عندما تبدي طفلتك رغبتها في البقاء مستيقظة لفترةٍ أطول وتسألينها «لماذا يجب أن أسمح لك بالبقاء مستيقظة؟» قد تجيبك بشكلٍ منطقي وتقول «لأنك سمّحت لأختي (الأكبر سنّاً) بالبقاء مستيقظة وأنا كبيرة مثلها تقريباً!»

كذلك عندما تشاركينها في ألعاب التمثيل اقترحي عليها مواضيع جديدة من حينٍ إلى آخر. يمكنك أيضاً أن تسألها عن مشاعرها وأن تدعيها تلعب دور الأم في حين تلعبين دور الطفلة.



المرح والألعاب لعبة الموجّه

لاحظي كم مرة تستطيع طفلتك أن تغيّر موضوع اللعب عندما تلعبان معاً ألعاب التمثيل. إذا أصبحت لعبة حفلة الشاي بلا وجهة معينة أو فيها الكثير من التكرار بإمكانك أن تتحدّي طفلتك بشكل خفي بأن تقولي «لقد شبعْتُ من شُرْبِ الشاي ما الذي يمكن أن نفعله بعد ذلك؟»

لعبة (لماذا يجب عليّ؟)

عندما تطلب منك طفلتك أمراً معيناً أسألها بلطفٍ «لماذا يجب عليّ أن أفعل؟» ولاحظي كم سبباً يمكن أن تعطيك. بعد ذلك اعرضي عليها تسويةً مثل «لنقوم بالأمر معاً» عندما تطلب منك أن تُخرجي اللعبة التي تركبُ عليها من المرآب أو أن تلبس ثوباً جديداً.





7

وقت اللعب على الأرض تنمية كل المستويات الستة من الذكاء والصحة العاطفية في نفس الوقت



عندما ينمو طفلك من فترة الطفولة إلى سن دخول المدرسة تتجاوز أهمية اللعب على الأرض. سوف ينمي طفلك خياله وفهمه المنطقي للعالم وهو يبتكر ألعاب التمثيل ويتبادل الأدوار معك. سوف يستخدم الإيماءات والكلمات للتعبير عن حاجاته واكتشاف طيف واسع من العواطف من الابتهاج إلى الغضب. كما سينمي مهاراته الجسدية عندما تقوى عضلاته وتنمو.

سوف تدعمين تطور طفلك العقلي والعاطفي والجسدي من خلال لعبك التفاعلي معه. يمكنك أن تحرّضي كل هذا النموّ باتباع قيادته والانضمام إليه. عندما تتعاملين مع طفلك من خلال اللعب وتشاركين معه في الخبرات الستة الأساسية التي اكتسبها فيما مضى فإنك تساعدينه على أن

يهدئ نفسه وأن يمتلئ بالطاقة وأن ينخرط معك في المرح المشترك وأن يستجيب لمعلومات ويرسل معلومات باستخدام الإيماءات واللغة وأن يبني أفكاراً وأن يتعلم كيف يفكر من خلال تبادل الصور التخيلية والحوارات. يجب عليك أن تبذلي جهداً خاصاً لكي تعدلي من تفاعلاتك بحيث تناسب نمطه التطوري الخاص به. على سبيل المثال: إذا كان طفلك حساساً يجب أن تكثري من تهدئته وإذا كان جامداً يجب أن تكثري من التعابير والحركات التي تثيره. بما أنك تتعاملين معه بهذه الطريقة الشخصية سوف يشعر طفلك بالراحة والأمان.

يجب أن نعترف أن الاستجابة بشكل فعال لطلب الطفل «العبي معي» ليست سهلة دائماً. في العالم المثالي تحدث أوقات اللعب على الأرض بشكل تلقائي ولكن بالنسبة لكثير من العائلات اليوم يجب أن توضع أوقات اللعب على الأرض ضمن المخطط اليومي للأب والأم. لذلك من المهم تخصيص أوقات خاصة كل يوم للعب. اختاري الأوقات المريحة بالنسبة لك ومن المهم أن تتركي فترة تتراوح من عشرين إلى ثلاثين دقيقة لكل مرة تلعبين فيها مع طفلك. إن عدداً كبيراً من أوقات اللعب التي لا تتجاوز خمس دقائق لا تعادل فترة طويلة واحدة. سوف تتمتعين مع طفلك أكثر وتنجزين أكثر عندما تعطين العلاقة بينكما واللعب والحوار مزيداً من الوقت لكي يتطور. هذا الوقت الخاص مع طفلك سوف يمكنك من ترسيخ العلاقة الحميمة والشعور بالتواصل الذي نشأ بينكما وتنمية هذه العلاقة.

كلما سيطرت التكنولوجيا على ثقافتنا أصبحت أوقات العمل أكثر طولاً وتبخرت أوقات الفراغ. في كثير من العائلات التي يعمل فيها الوالدان أصبحت العناية بالطفل لا تأخذ حَقَّها في معظم الأحيان. خلال أوقات اللعب على الأرض سوف تنزلين إلى مستوى طفلك وتنضمين إليه في عالمه وضمن شروطه وسوف تشجعيه على أن يكون السيد في الدراما التي ابتكرها وستتبعين قيادته.

المبادئ العريضة للعب على الأرض

انضمي إليه وكوني على مستواه واتبعي قيادته

إلى أن يصل طفلك إلى سن دخول المدرسة يجب أن تتفاعلي معه بشكلٍ متكرّر عندما يكون على الأرض شاعراً بالراحة وفي المكان الذي توجد فيه ألعابه وأشياؤه. عندما تلعبين مع طفلكِ وجهاً لوجه فإنك تشعرينه بالمساواة معكِ وذلك سوف يشجعه على الاندماج معكِ وأخذ المبادرات والتصرف بشكلٍ أكثر تصميماً. باستطاعتكِ أيضاً أن تدخلي مملكته عندما تتبادلين معه تعابير الوجه المضحكة أثناء تبديل حفاضاته وعندما تتحدثين معه على طاولة العشاء وعندما تتسوقان معاً وعندما تلعبان في حوض السباحة وعندما تمشيان معاً. إن هذه «الأوقات» يمكن أن تحدث في أيّ زمانٍ وأيّ مكانٍ يمكن أن تتفاعلا فيه مع بعضكما بطريقةٍ تُعلمينه فيها أنك تنضمين إليه على أرضه الخاصة. إن المَرَجَ المنزلي الذي يمرح فيه طفلكِ يتكوّن من اهتماماته ومبادراته أفكاره.

نظرياً يجب أن تقومي بما يريد طفلكِ منك حتى ولو اقتضى الأمر أن تلعبى بالدمى أو أن تلعبى دور السورمان. إنَّ أيّ نوع من المشاركة المرحّة بينكما ذو قيمة طالما كنتما تتمتعان بذلك. إذا كنتِ أنت من يختار العبة حاولي أن تشجعي طفلكِ على قيادة اللعبة وأن يكون مبدعاً قدر الإمكان. إنَّ تَرْكَهُ لكِ يلعب أدواراً جديدة ويتبع طرقاً جديدة في اللعب سوف يبني عنده الشعور بالتصميم ويشجعه على تحمل المسؤولية.

قد تفضلين نمطاً في اللعب مختلفاً عمّا يفضله زوجك. فقد يكون أحدكما ماهراً في تمثيل القصص في حين يتمتع الآخر بالأعمال الفنية والنشاطات الجسدية. إنه أمرٌ جيد أن يكون لدى الطفل خبرات متنوعة ما دام كلُّ منكما يلعب دور الشريك المتعاطف. قد يشعر طفلكِ بالجوانب التي يتمتع بها كلُّ منكما ويتفاعل بطريقةٍ خاصة معه. أرجو أن تلاحظي أن وقت

اللعب على الأرض ليس وقتاً لتعليم القواعد. يمكنك أن تفعل ذلك في أوقاتٍ أخرى. وهو ليس وقتاً للسيطرة أو إصدار الأوامر أو الإكثار من الأسئلة. إنه الوقت الذي يُعطى فيه الطفل الفرصة ليصبح سيّد اللعب. حتى الطفل الذي يبلغ ثمانية شهور من عمره يجب أن يلعب دور القائد عندما تصدرين صوتاً في كل مرة يضغط فيها على أنفك. هناك قاعدة وحيدة يجب تطبيقها أثناء اللعب على الأرض وهي أن لا يؤذي الأشخاص ولا يحطّم الألعاب. عندما تحتاجين إلى وضع حدودٍ من هذا النوع يجب أن يتم ذلك بحزم ولطفٍ معاً مع الكثير من الإيماءات والألفاظ التفسيرية (سوف نَصِفُ ذلكُ بشكلٍ مطوّل في نهاية هذا الفصل).

تذكّري أن مهمّتك هي أن تدعي طفلك يحدّد النبرة العاطفية للعب ثم أن تقومي باتباع قيادته. كوني حيوية قدر الإمكان واستخدمي إيماءات اليد وتعابير الوجه وأنت تشجعين طفلك على أيّ نشاطٍ تلعبان فيه سوياً. يجب أن تنضمّي إلى الطفل مهما كانت اللعبة التي يلعبها: التصفيق أو إصدار الأصوات أو اللعب بسيارته. وأنت تتبعين قيادته التقطي وقلدي إيماءاته ونبرته العاطفية بتعابيرك الخاصة. شاركه الابتسام والضحك. إن الأمر المهم هنا هو أن تشجعيه على تبادل الإيماءات معك.

إذا كان الطفل يرسم أو يبني باستخدام المكعبات. حاولي بلطفٍ أن تنضمّي إليه. إذا أصرّ طفلك الذي يجيد استخدام الألفاظ على أن تراقبيه اتبعي تعليماته ولكن حاولي أن تتسألني بالإيماءات فيما إذا كان باستطاعتك الرسم أيضاً. إذا أخبرك بخمسة أسباب يوضح فيها أنه رسام أحسن منك وأن عليك أن تراقبيه فقط. فإنّ هذا التفاعل الخلاق هو شكلٌ من أشكال اللعب على الأرض والموضوع هو «أنا أفضل منك». تمتّعي بالحوار المرح بينكما.

فتح وإغلاق دوائر التواصل

خلال أوقات اللعب على الأرض يمكن أن تستفيدي من اتباع قيادة

ابنك والبناء على أساس اهتماماته ومبادراته. إنَّ ذلك سيشجعه لينبني بالمقابل على ما تقولينه أو تفعلينه. كما ذكرنا سابقاً في هذا الكتاب إن هذه العملية تُدعى «فتح وإغلاق دوائر التواصل» إذا حرَّكَ طفلكَ سيارته فحرَّكتَ سيارتكِ وقلتِ له: «إلى أين نحن ذاهبان؟» أو «هل يمكن لدميتي أن تركب في سيارتك؟» فإنك تفتحين معه دائرة تواصل. إذا أوماً لكِ أو تكلمتِ قائلاً «نحن ذاهبان إلى المنزل» أو ببساطة جعل سيارته تصدم سيارتك وهو ينظر إليك فإنه بذلك قد أغلق دائرة التواصل تلك. إن شراكة اللعب مع طفلك لا تعتمد فقط على قدرته على أخذ المبادرات فقط وإنما على الاستجابة للمعلومات التي تشاركينه إياها واستخدام هذه المعلومات. هذه القدرة على الشراكة والبناء على استجابات الطفل هي التي تجعل التواصل تفاعلياً بحق. حتى لو كانت استجابة الطفل بسيطة (بنعم) أو (صه) فإنه يغلق بذلك دائرة التواصل التي فتحها شريكه.

البناء على أساس اهتمامات طفلك الطبيعية بتأمين بيئة لعب مناسبة

إن مهمتك هي أن تشجعي طفلك على أن يتبادل معك الإيماءات والأفكار بشكلٍ مرح أثناء أوقات اللعب على الأرض وأن تبحتي خلال ذلك عن بريق في عينيه يدلُّ على اهتمامه. إذا التقطتِ اهتمام طفلك حاولي أن تشجعيه على أن يبني على أساس ما فعلته أو قلته. إحدى الطرق لكي تسهلي عليه فتح وإغلاق دوائر التواصل هي أن تملأي بيئته بالأشياء التي تناسب سنه كالدمى والسيارات والمكعبات، وأن تستخدمى هذه الأشياء لدفعه إلى ممارسة اهتماماته الطبيعية. حاولي أن تكوني امتداداً لاهتمامات طفلك فإذا أمسكتِ بدمية الضفدع أصدرى صوت نقيق، وإذا لعبتِ بالسيارة أطلقى أصوات محرك السيارة بهذه الطريقة سوف لن تتنافسى مع طفلك بل بدلاً من ذلك ستشجعين التفاعل الخلاق فيما بينكما.

بعض الأطفال يفضلون اللعب بالقليل من الدمى في حين يفضل

الآخرون ألعاباً كثيرة. إضافة إلى مساعدة طفلك في ابتكار دراما جديدة فإن الدمى تسهّل على كثير من الأطفال أن يكتشفوا عن طريق الخيال مواقف الحياة الحقيقية والمشاعر الحقيقية التي يمرّون بها في كل يوم وأن يجربوا المشاعر المخيفة أيضاً.

تجنبي الاعتماد على ألعاب الألواح والصور المجزأة خلال أوقات اللعب على الأرض لأن هذه الألعاب تفتقد إلى الابتكار والتلقائية.

توسيع دوائر التواصل

عندما تشاركين طفلك في أوقات اللعب على الأرض حاولي أن توسعي مدى ومدّة التفاعلات بينكما. أفضل طريقة لذلك هي أن تساعدي طفلك بشكل بنّاء على تحقيق أهدافه.

فمثلاً قد تلاحظين أن طفلك الذي يبلغ سنة ونصف من العمر يشير إلى دمية موضوعة على الرف لا يستطيع الوصول إليها. عندما تحضرين الدمية وتقولين له «هل تريدها؟» فيمسك بها وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة تكونين قد ساعدته على الوصول إلى هدفه وفي نفس الوقت وسّعت مجال التفاعل بينكما.

إذا كان طفلك الذي يبلغ سنتين من عمره يصدر أصواتاً عالية باستخدام مطرقة وجرس يمكنك أولاً أن تعلّقي على نشاطه بملاحظة مثل (يا لك من عازفٍ ماهرٍ على الطبل) ثم يمكنك بعد ذلك أن تمسكي بدمية بطة مسرحية وأن تلتقطي لعبة المطرقة لتدّقي بها الجرس وأن تقولي «بصوتٍ أعلى، بصوتٍ أعلى!» إذا أبدى طفلك اهتماماً بتصرفاتك وحاول أن يأخذ دمية البطة ويقوم بتقليدك بإمكانك أن توسّعي النشاط أكثر بإدخال دمية الكلب في اللعبة والبدء بحوارٍ بسيط بين الدميتين.

أحياناً قد تجدين أن باستطاعتك أن توسعي مجال اللعب أو النقاش مع

طفلك بممانعته بطريقة مريحة. مثلاً إذا كان يتجنبك خلال أوقات اللعب يمكن أن تحاولي وضع نفسك بينه وبين الشيء الذي يشد انتباهه. يمكن أن تلعب دور الحاجز المتحرك والمتكلم الذي يحتاج طفلك إلى المرور فوقه أو من تحته للوصول إلى سيارته المفضلة. إذا بدا طفلك مصراً على تحريك سيارته في طريقه الخاص وتجاهل كل مبادراتك الودّية يمكنك أن تغطي سيارته بيدك وأن تصنعي نفقاً. إذا لم تستطع سيارته تجاوز النفق قد يضطر إلى تسلق يدك لكي يتجاوزها.

توسيع مجال المواضيع والمشاعر التي يعبر عنها

طفلك أثناء تفاعله معك

أثناء كلامه ولعبه معك يجب أن تبحثي عن فرص تضيفين فيها عنصراً جديداً يتناسب مع اهتمامات طفلك.

بهذه الطريقة سوف تدعينه بشارك في مواضيع الحياة المتنوعة كالقرب والاعتماد على الآخرين والغضب ووضع الحدود والتصميم والمبادرة والفضول والمتعة والإثارة. سوف لن تتعاملين مع طفلك بطرق تساعد على تطوير طيف كامل من العواطف وحسب وإنما ستقدمين له مواضيع تتعلّق بالصحّ والخطأ وأنماط متنوعة من مهارات التفكير. سوف يتطور عنده فهم متنامٍ لكلمات جديدة وكذلك لمفاهيم فراغية ورياضية.

أحياناً يتجنّب طفلك أنواعاً معينة من التفاعل على الرغم من جهودك في تهيئة جوّ داعم له. في مثل هذه الأوقات من المناسب أن تحدّي طفلك بلطف في النواحي العاطفية التي يرغب في عدم التطرّق إليها. إذا كان طفلك ذا الثلاث سنوات يتعاون بشكل رائع لكنه يصبح سلبياً عندما يكون في موقف يضطر فيه إلى إبداء التصميم أثناء اللعب، يمكنك ببساطة أن تأخذي سيارته المفضلة من مجموعة السيارات التي يلعب بها ولكي تبدي مشاغبة ولست مؤذية ارسمي على وجهك ابتسامة عريضة وحركي السيارة بشكل

بطيء ومتعمّد بطريقةٍ لا تهديد فيها. قد يقوم طفلك ذو الثلاث سنوات بإثبات نفسه واستعادة سيارته الثمينة! إذا بدا أن طفلك يركّز في أوقات اللعب بشكل زائد على مواضيع الغضب والعدوانية لا تحاولي إيقاف سياق الدراما بأسئلة مثل «لماذا هذه الشخصية غاضبة؟» أو «لماذا لا تتصرف هذه الشخصية بلطف؟» بدلاً من ذلك أن تعلّقي «لا بد أنه يريد الإيقاع بهؤلاء الأشرار، سوف يدمّرهم بمئة طريقة، لا بدّ أن لديه سبباً وجيهاً لذلك» عندما تقرّين بعمق الغضب الذي يمثله طفلك وبحقيقة أن هذا الغضب لا بدّ وأن له سبباً وجيهاً فإنك تشعرينه بأنك في صفّه ولسيت ضده وهذا التعاطف سيعلمه التعاطف مع الآخرين.

إن التعبير عن المشاعر بالألفاظ والخيال يساعد الطفل على أن يتعلم كيف ينظم هذه المشاعر. إن المشاعر القوية مثل الغضب والتي لا يُعترف بها قد يتم التعبير عنها إما بشكل مباشر بأن يصبح الطفل عدوانياً أو بشكل غير مباشر كأن يتصرف الطفل بشكل معاكس أو أن يصبح مكبوتاً وخائفاً. إن اعترافك بمشاعر طفلك لا يعني الموافقة على التصرف بمقتضى هذه المشاعر في الواقع. إن إدراك الأسلوب الذي يعبرّ فيه الطفل من خلال ألعاب التمثيل سوف يساعده على استخدام الأفكار بدلاً من الأفعال وعلى تقوية فرصتك في مناقشة ووضع حدودٍ نسبية على تصرفاته العدوانية إذا ظهرت في المدرسة أو المنزل خارج أوقات ألعاب التمثيل التخيلية. إن أوقات اللعب على الأرض ليست بديلاً عن العقوبة وإنما هي داعمة لها. إذا كان طفلك يسيء التصرف فإن ألعاب التمثيل قد تساعده على التعبير عمّا في ذهنه ولماذا هو غاضب أو مُستفزّ. أحياناً يؤدي اعترافك بمشاعر طفلك السلبية إلى ظهور المشاعر الإيجابية في الدراما التي يلعبها. معظم الأطفال تكون المشاعر عندهم متوازنة. إذا نقلتِ إلى طفلك رسالة تعاطف تخبرينه فيها بأنه لا حرج من اكتشاف المشاعر العدوانية خلال اللعب فإن مشاعر الاعتماد على الآخرين والحب والاهتمام تبرز في اللعبة عادة. على كل حال إذا شعر

طفلك أنك لا تفهمين أفكاره فإن إحباطه قد يدفعه إلى استقطابه مشاعره والعودة إلى المواضيع العدوانية. إن طفلك عندما يشعر بتعاطفك مع كل مشاعره سيتعلم التعاطف مع الآخرين وهذه أفضل طريقة لتعليمه التعاطف. إنك تعلمين طفلك أكثر من خلال ما تفعلينه وليس ما تقولينه.

تنمية قدرة الطفل على استخدام عضلاته وحواسه وهو يعالج المعلومات القادمة إليه من محيطه

عندما تجعلين طفلك منخرطاً في الأصوات والكلمات والمناظر واللمسات والحركات فإنك تبذلين جهداً واعياً لتشجيعه على إشراك الكثير من حواسه وعضلاته في العمل في نفس الوقت. إن فريقه العقلي الرائع - كل قدراته الوظيفية الرائعة - سيتعلم كيف يعمل بشكل متوافق وهو يتفاعل معك بطريقة مفعمة بالعواطف والمعاني. لذلك إذا كنت تلعبين دور عامل المكابح لا تقومي فقط بإصدار صوت المكابح أو جرس القطار أو بالمناداة بأسماء المواقف على طول الطريق. حاولي أن تدخلي بعض العناصر البصرية أو الفراغية على هذه اللعبة هل تستطيعان رؤية بعض اللصوص الذين يختبئون في القطار؟ العاصفة الرعدية القادمة هل ستؤخر القطار عن الوصول في موعده؟ هل يستطيع قائد القطار أن يشعر بقدوم العاصفة؟ هل ابتل بالمطر؟ كم يكلف الركوب في القطار؟

بطريقة مشابهة يمكن للألعاب الفراغية خلال أوقات اللعب على الأرض - كبناء البروج والحصون بالمكعبات - أن تزيد من قدرة طفلك على معالجة المعلومات والحركة. مع الوقت سيبدأ طفلك ببناء المدن. يمكن أن تصبحي المهندسة المساعدة له أو عاملة البناء التي تساعد له أو أن تلعبين عدداً لا حصر له من الأدوار. بعد كل صباح تحتاج المدن إلى من ينقل لها الطعام ويوفر لها الأمن حتى لا تهاجمها الوحوش. إذا كان طفلك مولعاً بالأدوار قد يقفز على قدميه ويصبح الرجل الوطواط الذي سيبعد الوحوش عن المدينة.

إنَّ توسيع قدرات الطفل وقدراتك أيضاً يمكن أن تجمع بين كثيرٍ من المرح وكثيرٍ من التعلُّم في نفس الوقت. لكن لا تتسرَّعي وتفعلِ الكثير من الأمور في نفس الوقت. فقط اتبعي القواعد الأساسية للعب على الأرض وامرحي مع طفلك. في السنوات القادمة عندما تنظرين إلى تلك الأوقات التي قضيتها مع طفلك ستدركين أنَّك ساعدته على تنمية قدراته أكثر بكثير مما كنتِ تتوقعين في تلك الأوقات.

وقت اللعب على الأرض في كلِّ مرحلةٍ من مراحل التطوُّر

إنَّ الشروح التالية سترشدك إلى الكثير من التفاعلات المفيدة والممتعة التي يمكن أن تتشاركي فيها مع طفلك. أثناء تقدُّم طفلك في كلِّ مرحلةٍ يمكن أن تجمعي القدرة التي حصَّلتها في تلك المرحلة مع كل قدرات المراحل السابقة في أوقات اللعب على الأرض. على سبيل المثال باستطاعتك أن تقوِّي قدرة طفلك على التفكير المنطقي وحل المشاكل باستخدام الخيال والتعبير بالإيماءات والحب والثقة والتركيز كل ذلك في نفس الوقت. إنَّ الملخَّص التالي ليس مصمَّماً ليكون جدولاً مفصلاً يجب عليك الالتزام به. حاولي أن تستخدمِ المعلومات والأمثلة الموجودة في هذا الكتاب كما تستخدمين دليلاً سياحياً فقد تقرَّأين عن كل القلاع والمتاحف الموجودة فيه ولكن ليس عليك أن تزوريها جميعاً.

المرحلة الأولى: الهدوء والاهتمام المنظمَّ بالعالم

- انتبهي إلى النمط الحسِّي والحركي الخاص بطفلك. انتبهي إلى نمطه الخاص في السماع والنظر واللمس والشمِّ والحركة.
- فعلي كل حواسه بطرقٍ مَرحةٍ تتضمَّن إشراك سمعه وبصره ولمسه وشمِّه وحركته في نفس الوقت. أغريه باقتحام العالم المحيط به.

المرحلة الثانية: الوقوع في الحب

- لاحظي أيَّ التفاعلات - الأصوات المضحكة، القُبْل، الدغدغة،

- ألعاب مفضّلة - تجلب لطفلك السرور والمرح.
- استغلّي معظم (الدقائق السحرية) التي يكون فيها منتبها ومسترخياً ومستعداً للعب. تفاعلي معه لفترات تتراوح بين 15 إلى 20 دقيقة موزّعة على طول اليوم.
- حاولي أن تعدّلي من تفاعلك ليناسب نمط طفلك في الشعور واستخدام الحواس والحركة.
- إنّ ألعاب الاختباء وإخفاء الدُمى هي ألعاب تُسعد معظم الأطفال. في حين أنّ ألعاب التصفيق وتلك التي تتضمن إصدار أصوات تسعد الأطفال ذوو النمط السمعي. كذلك فإنّ تحريك السيارات والدراما التخيلية تُسعد معظم الأطفال.
- اتبعي اهتمامات طفلك الحقيقية ولو كانت ببساطة إصدار أصوات مضحكة وسوف تقوّن شعوره بالسرور والقرب منك.
- ضعي المكعب الذي يحبّه على رأسك وارسمي تعابير مضحكة على وجهك.

المرحلة الثالثة: التواصل المتبادل

- أظهري أكبر قدر من الحيوية وأنت تتبادلين تعابير الوجه والأصوات والإيماءات الأخرى والكلمات والدراما مع طفلك.
- لاحظي البريق في عيني طفلك والذي يدلّ على أنّه صاح ومدرك ويتمتع بالتفاعل معك.
- ساعدي طفلك على فتح وإغلاق دوائر التواصل.
- تعامللي مع كلّ تصرّفات طفلك - حتى لو بدت عشوائية - على أنّها هادفة.

على سبيل المثال: إذا لَوّح بيديه بسبب الإثارة يمكن أن تستخدمني هذا السلوك للرقص معه في رقصة تلوحين فيها بيديك، وإذا أخذ يلعب بسيارته بشكل غير هادف - كأن يحركها إلى الأمام وإلى

- الخلف - قولي له إن دميّك لديها رسالة خاصة تريد إيصالها فوراً إلى مكان ما - لاحظي إن كان سيأخذ الطعام!
- ساعدي طفلكِ على الذهاب في الاتجاه الذي يريده بجعل الهدف الذي يسعى إليه سهل التحقيق.
 - يمكنكِ أن تساعديه على الوصول إلى كرة لَماعة بتقريبها إليه إذا أشار بإصبعه إليها ويبيّن أنّه يريدّها.
 - بعد ذلك شجّعي طفلكِ على المبادرة بأن تتجسّبي القيام بالأمر نيابة عنه.

- عندما يحين وقت النوم على سبيل المثال لاحظي إن كان طفلكِ سيضع دَبّه في السرير ولا تدعيه يعتمد عليكِ في القيام بذلك.
- تحدّي طفلكِ بأن تطليبي منه القيام بأمرٍ معيّن من أجلكِ. على سبيل المثال إذا كنتِ تتصارعين معه دعيه يقفز فوقكِ ويتسلّق على كتفيك بدلاً من حملة وهزّه.

المرحلة الرابعة: حل المشاكل

- ابتكري مزيداً من الخطوات أثناء اللعب معه على الأرض. على سبيل المثال، يمكن أن تعلنِي «السيارة لا تتحرّك»، ما الذي يجب علينا فعله؟»
- ابتكري عقبات مثيرة في وجه طفلكِ.
- وفّري له سلسلة متعاقبة من دوائر التواصل.
- كثيرٌ من الأطفال باستطاعتهم أن يدخلوا في نقاشٍ يتمُّ الأخذ والرّد فيه ثلاثين أو أربعين أو حتى خمسين مرّة بمساعدة الكبار.
- كوني مُعبّرة وأظهري مشاعركِ من خلال صوتكِ وتعابير وجهكِ لمساعدة طفلكِ على إظهار نواياه.
- إذا كان طفلكِ يشير إلى دميةٍ ما ويتمتم بالأفاز غير مفهومة أظهري تعابير التساؤل على وجهكِ وأحضري له الدمية الخطأ. سوف يحاول

طفلك تحسین إيماءاته وألفاظه لتصبح أكثر تعبيراً حتى تفهمين قصده .

- قوِّي قدرة طفلك على التخطيط لحركاته واستخدام حواسه ومهاراته في التقليد وذلك بوضعه في ظروف مختلفة تساعد على ذلك (كألعاب الاختباء والبحث عن الكنز).

المرحلة الخامسة: عالم الأفكار

- شجعي طفلك على استخدام الأفكار للتعبير عن مقاصده ومشاعره وليس فقط لتنمية الأشياء أو الصور.
 - تحدي طفلك لكي يعبر عن حاجاته ورغباته واهتماماته .
 - شجعي طفلك على استخدام الأفكار في اللعب التخيلي وفي التفاعلات الواقعية المعتمدة على الألفاظ .
 - ساعدي طفلك على استخدام الأفكار بتوفير ظروف يضطر فيها للتعبير عن مشاعره ورغباته .
 - حاولي دائماً أن تربطي كلماتك أو أفكارك بمشاعرك وتصرفاتك .
 - حاولي استخدام الكلمات في كل الأوقات، شجعي طفلك على الحديث معك!
 - في البداية شجعي طفلك على استخدام خياله ومساعدته على القيام بأفعال معينة خلال ألعاب التمثيل ثم قومي بإغرائه بعد ذلك بأن يقوم هو بتغيير موضوع اللعبة .
 - دعي دُماءه أو دهبه تطعم أو تعانق أو تقبل بعضها أو دعيها تطبخ وتذهب إلى الحديقة وتلعب . اقفزي إلى دراما بدأها والعبي دوراً معيناً واجعليه دوراً ساخناً .
 - من وقت إلى آخر انتقلي من دور التمثيل في الدراما إلى دور راوي القصة أو معلق جانبي .
- إنّ ملاحظتك سوف تفعلّ الدراما

- لخصي الأفعال من وقتٍ إلى آخر وشجعي طفلكِ على الاستمرار في الدراما ما أمكن .

- شجعي طفلكِ على استخدام كل أنواع الأفكار .
لا تنسي استخدام الأفكار على شكل صور أو إشارات أو تصاميم فراغية معقدة إضافة إلى الكلمات .

المرحلة السادسة: بناء الجسور بين الأفكار،
التفكير العاطفي والتجريدي

- تحدّي طفلكِ لكي يُغلق كل دوائر التواصل باستخدام الأفكار سواء أثناء ألعاب التمثيل أو حوارات الحياة الواقعية .

- تحدّي طفلكِ لكي يربط أفكاراً ومواضيع مختلفة إلى الدراما .

بهذه الطريقة سوف تساعدني على بناء جسورٍ بين أفكاره المختلفة .

- أعيدني إلى موضوع الدراما بالتظاهر بالتشوّش إذا أصبح تفكيره مجزأً .

على سبيل المثال: إذا كانت طفلتكِ تتحدّث عن الجيران وفجأة انتقلت إلى الحديث عن السندويش وزبدة الفستق قولي لها «انتظري لحظة، لقد ظننتُ أننا كنّا نتحدّث عن الجيران والآن أنتِ تتحدّثين عن السندويش . لقد ضعت! ما هو الشيء الذي تريدين الحديث عنه؟» .

- تحدّي طفلكِ بسؤاله أسئلة مفتوحة تبدأ بـ من، ماذا، أين، متى، لماذا، كيف؟

إنّ هذه الأسئلة سوف تساعد طفلكِ على إعادة التركيز بطريقة منطقية على أفكاره .

- زوّدي طفلكِ بأجوبة متعدّدة الخيارات إذا تجاهل أو تجنّب الاستجابة لأسئلتكِ المفتوحة .

ألقي بعض الأجوبة السخيفة «هل الفيل أم السحلية زارت صفك اليوم؟» .

- ابتكري مواقف غير متوقعة لتدفعي طفلك إلى مزيد من الإبداع وإيجاد حلول جديدة.
- تحدّي طفلك لكي يوسّع الطيف العاطفي في الدراما التي يمثلها.
- شجّعي طفلك على التعبير عن مشاعره سواء في ألعاب التمثيل أو في النقاشات الحقيقية.
- وجّهي له أسئلة مفتوحة مثل «لماذا تريد الخروج من المنزل؟» أو «ما سبب هجوم غزاة الفضاء؟».
- حاولي أن تزيدي بالتدريج من قدرة طفلك على التعبير عن أفكار معقّدة وذلك بتحدّيه لكي يقترح دوافع مختلفة أو ليأخذ بعين الاعتبار عدة وجهات نظر حول مواضيع مختلفة.
- تابعي فيما بعد المواضيع التي تمّ التعبير عنها في ألعاب التمثيل. على سبيل المثال، عندما تعود طفلتك من المدرسة إلى المنزل يمكن أن تسألها «كيف يتصرّف ذلك الولد الجديد في المدرسة؟ هل تعلم كيف يشارك الآخرين في مكعباته؟».
- تحدّي طفلك لكي يدلي برأيه بدلاً من ذكر الحقائق.
- تمتّعي بالحوار والتفاوض مع طفلك بدلاً من مجرد وضع القوانين (إلاّ عندما تكون القوانين ضرورية).
- شجّعي طفلك على استخدام المزيد من الأفكار كجزء من حوار منطقي عاطفي ذي معنى، بدلاً من التركيز على القواعد اللغوية.
- عندما يحدث بينكما تبادل غني بالأفكار فإنّ طفلك سيتعلّم كيف يعبر عن نفسه بشكل منطقي. إنّ معرفته بالقواعد اللغوية ستتطور بشكل طبيعي عندما يصبح مفكراً تجريبياً.
- قوّي مقدرة طفلك على التخطيط الحركي والقيام بأفعال متتابعة. بإمكانك أيضاً أن تدخلي الرسوم والمخططات وألعاب البحث ووضع العقبات ومشاريع البناء في ألعاب التمثيل التي تقومان بها معاً.

- شجّعي طفلكِ على إدراك المفاهيم المتعلقة بالوقت. تحدّي طفلكِ خلال النقاشات الحقيقية وألعاب التمثيل لكي يستخدم مفاهيم متعلّقة بالحاضر والماضي والمستقبل. مثلاً يمكن أن توجّهي إليه السؤال التالي «ما الذي سيفعله رعاة البقر غداً؟».
- شجّعي طفلكِ على فهم واستخدام مفاهيم الكمية. فاوضي طفلكِ عندما يطلب مزيداً من قطع الحلوى أو البيتزا عندما تلعبين معه ألعاب التمثيل. اسأليه كم كوباً من الشاي يجب أن يُعطي لكل دمية أثناء حفلة الشاي.
- اجعلي طفلكِ يفهم المفاهيم الأساسية المتعلقة بالواقع كلما درّبتة على مهارات أكاديمية أو قبل أكاديمية.
- على سبيل المثال، بإمكانكِ أن تفاوضي طفلكِ حول استخدام الحلوى وقطع النقود لكي يتعلّم مفاهيم الجمع والطرح. أبقِي الأرقام صغيرة - دون الستة - لكي لا يستخدم طفلكِ ذاكرته بدون فهم. استخدمي التكنولوجيات البصرية (الموصوفة في الفصل السادس) لتساعد طفلكِ على الاستعداد للقراءة والفهم.
- استمرّي في تحدّي طفلكِ سواء في ألعاب التمثيل أو في نقاشات الحياة الواقعية لكي يستخدم التفكير التجريدي وذلك بالانتقال جيئة وذهاباً بين التفاصيل والصورة الكبيرة.
- اسألي طفلكِ من حينٍ إلى آخر كيف تنسجم الأمور التي يتحدّث عنها لتساعد به على «رؤية الغابة من أجل الأشجار» أو اضغطي عليه من أجل الحصول على التفاصيل إذا كان يجد صعوبةً في رؤية الأغصان والأشجار في صورة الغابة الكلية.
- وسّعي بالتدريج من طيفِ الخبرات التي يتعلّمها طفلكِ - داخلياً وخارجياً، اجتماعياً وجسدياً - لأنّ هذه الخبرات المعتمدة على العواطف هي البذور التي سينمو منها التفكير الإبداعي والمنطقي والتجريدي.

تعديل وقت اللعب على الأرض ليلائم النمط الشخصي لكل طفل

عندما تساعدِين طفلكِ على التمكن من كلِّ خبرات التعلُّم الستة الأساسية - الانتباه، المشاركة، التواصل المتبادل، حل المشاكل من قبل القدرة على استخدام الألفاظ، استخدام الأفكار، التفكير العاطفي والتجريدي - خلال أوقات اللعب على الأرض فأنتِ تراعين أيضاً نمطه التطوري الخاص به. من خلال قراءة المقاطع الموجودة في الفصول السابقة تحت عنوان «التغلُّب على الصعوبات: التشجيع الخفي» ستعرفين فيما إذا كان الأسلوب اللطيف أم العنيف، المليء بالضجة أو الهادئ، الحرُّ أم الحاوي على القيود هو الذي يناسب طفلكِ أكثر. قد تلاحظين في شخصية طفلكِ بعض الجوانب الموجودة في شخصيات الأطفال الخمسة الذين تحدَّثنا عنهم - كارا وبريان وإيما وول وماكس.

الطفل الحساس الذي يتعب بسرعة

بعض الأطفال مثل كارا حسَّاسون للمسّات الخفيفة وبعض الأصوات والأضواء اللامعة والحركات المفاجئة عندما تتفاعلين مع طفلٍ من هذا النوع خلال أوقات اللعب على الأرض ستلاحظين أنه حذرٌ جداً وأنه يحتاج إلى كثيرٍ من الوقت ليتلاءم مع أيِّ شيءٍ جديد. وقد يكون لديه حاجة خاصة ليتحكَّم بتصرُّفات الآخرين. إنَّ الأطفال الحساسين يحتاجون إلى أن يختبروا ماء الحياة بإصبعٍ واحدة فقط وإلى أن يشجَّعوا على ألعاب التمثيل بشكلٍ تدريجي. من المهم جداً احترام حاجة هؤلاء الأطفال إلى التحكُّم وأن تجعللي من أوقات اللعب معهم فرصةً يعبرون من خلالها بالتدرّج عن تصميمهم.

الأطفال الأقلُّ نشاطاً

يكون هؤلاء الأطفال مثل بريان متردِّدين وغير مصمِّمين على تحقيق

رغباتهم عن طريق الإيماءات والكلمات وألعاب التمثيل. بدلاً من أن تقومي بالأعمال نيابةً عن هذا النوع من الأطفال يجب إغراءهم وتشجيعهم ليشركوا في النشاطات. مع الوقت هذه الفرص الصغيرة - لإبداء الرأي والتصميم التي تُعطى للأطفال قليلي النشاط سوف تقودهم إلى الدخول بمرح في كلِّ الأدوار في ألعاب التمثيل وسوف يسعد الطفل بلعب دور الأشخاص المسيطرين كالأساتذة والملوك والأبطال وسيقوم بإصدار أوامر لأُمَّه وأبيه بطريقة فعّالة بدلاً من استخدام الأسلوب السلبي. غالباً ما يحتاج الطفل إلى التعبير عن تصميمه أو عدوانيته من خلال الإيماءات وألعاب التمثيل قبل أن يتمكّن من التعبير عنها بالكلمات.

الأطفال التواقون إلى المثيرات الحسيّة

إنَّ الأطفال فائقو النشاط مثل إيما يشكّلون تحدياً مختلفاً. فمهمتك هنا مزدوجة: سوف تحاولين السير مع تيار ابتكك والبناء على أساس اهتماماتها بدلاً من الانتقال من موضوع إلى آخر. إذا لم يتم التعامل مع الطفل بهذه الطريقة المرنة فإنَّ حاجته إلى مشاهد وأصوات ولمسات جديدة يمكن أن تؤدّي إلى سلوك عشوائي غير هادف بدلاً من لعبٍ فعّال ومنظّم. ولكن عندما يركّز طاقاته على موضوع واحد اختاره سيستطيع أن يجلس ويركّز خمس عشرة دقيقة أو أكثر.

حاولي أن تلعب معي معه لعب «التعديل» حيث ينتقل اللعب من النمط السريع إلى البطيء ومن الضجيج إلى الهدوء لمساعدة الطفل على تنظيم سلوكه. وفّري لطفلك مزيداً من التهدئة والدفء وألعاب التمثيل لكي تشجّعيه على استخدام الأفكار مع الأطفال. تذكّري أن تظلي لطيفة ولكن حازمة وأن توفّري لطفلك الإرشاد وتضعي له الحدود.

الأطفال الذين يستجيبون للمناظر لكنهم يجدون

صعوبةً في التعامل مع الأصوات

هؤلاء الأطفال مثل أول يجدون صعوبةً في فهم بعض الأصوات وفي الانتباه إلى كلمات آبائهم وأمهاتهم. بدلاً من الاكتفاء بتسمية الأشياء أو الإشارة إلى الصور في كتابٍ يجب أن يستغل آباء هؤلاء الأطفال أوقات اللعب على الأرض لكي يعطوهم مزيداً من الفرص لفهم الكلمات. إنَّ ألعاب التمثيل التي يكون فيها الطفل مندفعاً إلى الحديث نيابةً عن دُمَاهُ أو أَلْعَابِهِ هي طريقة طبيعية ومرحة تشجّع الطفل على التمرّن على الألفاظ. إنَّ النقاش مع الطفل عندما يريد شيئاً ما يساعده على الانتباه إلى الأصوات أيضاً.

الأطفال الذين يستجيبون للأصوات ولكنهم يجدون

صعوبةً في التعامل مع المناظر

إنَّ البحث عن الكنز وبناء الأشياء والتصوّر واستخدام الأشياء المثيرة بصرياً كلّها وسائل مفيدة لإغراء الأطفال مثل ماكس للانتباه إلى المناظر وفهمها.

الفوائد الكثيرة لوقت اللعب على الأرض

تحريض طيف كامل من المشاعر

عندما تزداد قدرة طفلك على استخدام الكلمات والأفكار سيصبح أكثر قدرة على التعبير عن مشاعره، فيقول «أنا حزين» أو «أنا غاضب». سوف يعبرّ الطفل عن مشاعره ليس من خلال الأحاديث التلقائية فقط وإنما من خلال ألعاب التمثيل في أوقات اللعب على الأرض. خلال ألعاب التمثيل يمكن أن تساعد طفلك على التعبير عن طيف واسع من العواطف والمواضيع بما في ذلك المشاعر السلبية كالغضب والعدوانية والخوف

والغيرة. إنَّ ألعاب التمثيل تمثّل طريقة آمنة يعبرُ فيها طفلكِ عن مشاعره وتساعد على إيجاد طرقٍ لتعديل هذه المشاعر إذا هدّدته أو أربكته من وقتٍ إلى آخر.

لتسهيل ذلك حاولي أن تتحمّلي طيفاً من المشاعر. إنَّ الإحساس بمشاعر الطفل التي يعبرُ عنها خلال اللعب ليس كافياً. فالدفء والتعاطف والدعم التي توفرينها لطفلكِ خلال اللعب مصحوبة بوضع الحدود بشكلٍ لطيفٍ وحازم خارج أوقات اللعب ستكون مثلاً واقعياً على أن المشاعر السلبية مثل الغضب يمكن أن تتواجد جنباً إلى جنب مع مشاعر الحب. من خلال تواجديك وتعاطفك مع الحدود التي تضعينها سيصبح طفلكِ أكثر تقبلاً لوجود عدة مشاعر في علاقة واحدة. إنَّك تلعبين بذلك دور الموحد أو المنسق لمشاعر طفلكِ المختلفة لأنه يستطيع الإحساس بها جميعاً في علاقة واحدة.

زيادة المرونة العاطفية

إذا التصق طفلكِ بموضوع عاطفي واحد كالغضب أو العدوانية بإمكانك أن تعدّلي من طريقة مشاركتك إياه في اللعب بحيث توجدين الفرص لكي يوسّع ابنك طيفَ تعبيره عن ذاته.

إذا كانت اللعبة التمثيلية التي يلعبها طفلكِ تحتوي على دور واحد أو دورين يمكنك أن تستخدم أوقات اللعب على الأرض لخلق فرصٍ لزيادة أنواع العواطف التي يرتاح إليها ويستطيع التعبير عنها. هذا لا يعني تغيير الموضوع الأساسي الذي تعتمد عليه اللعبة، وإنما البحث عن فرص لتوسيع الأدوار المتعلقة بالموضوع. يمكن للشخصية التي تلعبين دورها أن تعبر عن إرادة خاصة بها ثم تزداد إبداعاً مع الوقت.

التعامل مع المشاعر السلبية

إنَّ وقت اللعب على الأرض هو أداة قيّمة لمساعدة الطفل على التعامل

مع بعض المشاعر كالخوف. إذا كان طفلك يبكي كلما وصلت المربية إلى المنزل للبقاء معه في حال ذهابك إلى عمل إضافي في المساء فإن فترة اللعب على الأرض يمكن أن تعطيه المفتاح للتغلب على مخاوف الانفصال التي تنتابه. ربما يعلن طفلك أثناء لعبة التمثيل أنه ذاهب إلى الدكان وأن عليك أن تكوني «طفلة كبيرة ولا تبكي» لأنه لن يغيب طويلاً. بعد أن يخرج إلى الغرفة المجاورة لدقيقتين أو أكثر قد يعود إلى الغرفة ويقول «لقد عدت الآن، أيتها الطفلة الكبيرة» عندها يمكن أن تقولي لطفلك «من الصعب أن أكون طفلة كبيرة لأنني شعرت بالخوف وافتقدتك كثيراً» هنا لا بد أن طفلك سينتبه إلى أنك تلعبين دوره المعتاد بالطبع. فترة واحدة من ألعاب التمثيل لن تبدد مخاوفه لكنها بالتأكيد ستساعده على فهم ما الذي يعنيه أن يكون الإنسان متحكماً بالوضع إضافة إلى أنه سيرتاح عندما يشعر أنك تفهمين مخاوفه. بشكل متشابه إذا كنت قد سافرت في عدة رحلات عمل مؤخراً وشعرت بقلق ابنك حيال انفصاله عنك فإن لعبه التمثيلي معك سوف يعكس بعضاً من شعوره المستمر بانعدام الأمان. خلال اللعب على الأرض معه قد يكون ارتكاس طفلك المبدئي أن يظهر مشاعر عامة تجاهك مثل (الدفء، اللامبالاة، التهيج، الإلحاح، القلق). على كل حال قد يظهر بالتدرج بعض الأمور المتعلقة بالانفصال عن لعبه. قد يختار أن يؤدي ذلك في الحيوانات التي تترك بعضها أو على شكل غضب يديه حيوان تجاه حيوان آخر. إذا كان متأثراً جداً بابتعادك عنه قد يدخل مواضيع الدمار ويمثل دور البراكين والزلازل ليريك كيف يشعر حيال تركك له. أو قد يبني برجاً من المكعبات وييدي بروداً أثناء لعبه وكأنه يقول لك «ليس لدي أية مشاعر خاصة حيالك، أنا مهتم فقط ببناء برجتي». عندما تظهر هذه الأنواع من السلوك خلال أوقات اللعب على الأرض فإن مهمتك بسيطة جداً. عليك أن تستجيبين لنبرة طفلك العاطفية - أن تحترميها إذا كان بارداً أو رسمياً وتعاملي معه بدفء إذا أظهر مشاعر الحب - وتشجعيه على إيصال جميع مشاعره بتهيئة جو من التعاطف

معه. بإمكانك أن تستخدمى طريقة مشابهة وأنتِ تساعدى طفلِك على التعامل مع الكوابيس وغيرها من المواقف المخيفة. إنَّ الطفل الذي يخاف من الساحرة التي تعيش تحت سريره والتي ستهاجمه في الليل غالباً سوف يظهر بعض مخاوفه أثناء أوقات اللعب على الأرض معكِ. عندما تهاجمكِ ساحرته أو تخيفكِ خلال ألعاب التمثيل، سيتعلَّم أنَّكِ ستظلمين بقربه وستحلمين مشاعره التي تشبه مشاعر الساحرة. إنَّ هدفكِ هنا أن تكونى دافئةً ومهتمةً لا أن تلعبى دور المعالج النفسى الذي سيكتشف خبايا اللاشعور عند طفلِك من خلال ألعاب التمثيل. حتى عندما تقولين «أستطيع أن أقول إنَّكِ خائف من هذا الأمر» فإنَّ ذلك لن يساعده كما لو أنَّكِ تعاطفتِ معه. حاولى ببساطة أن توفرى له نبرة عاطفية وأن تجعلى الشخصية التي تلعبين دورها مشجعةً له على مزيد من الانطلاق وذلك بإدخال أفكار وأسئلة مثل «أنا خائفة» أو «وماذا بعد؟».

اللعب الجماعى على الأرض

لقد ناقشنا مبادئ اللعب على الأرض للأطفال أثناء لعبهم بشكلٍ منفردٍ مع مَنْ يعتنى بهم. نفس هذه المبادئ يمكن تطبيقها على مجموعة من الأطفال. إنَّ الإخوة أو الأصدقاء يمكن أن يشاركوا في أوقات اللعب على الأرض. هناك طريقتان لدفع المجموعة أثناء لعبها على الأرض.

إحدهما ببساطة هي أن تدعى كلَّ طفلٍ يأخذ دور القائد الذي يقود اللعب لمدة عشرين دقيقة سواء كانت اللعبة تمثّل المدرسة أو مطاردة بين الأخيار والأشرار. إنَّ مهمة الكبار هنا أن يساعدوا بقيّة الأطفال على اتباع الطفل القائد فهم قد يركضون ويختبئون في الخزانة أو قد يجلسون الأطفال في أحضانهم أثناء شرب الشاي في لعبة حفلة الشاي. قد يلعب طفلٌ عمره تسعة أشهر دور المرافق لطفلٍ عمره أربع سنوات يمثّل دور رائد الفضاء. عندما يأتي دور الطفل ذو التسعة أشهر فى القيادة يمكن لبقية الأطفال أن

يحاولوا فتح وإغلاق دوائر التواصل معه. عندما يلعب طفلٌ في الرابعة من عمره دور الأم قد يناول الطفل الذي في الشهر التاسع من عمره لعبةً ما ويرى إن كان يستطيع التقاطها.

هناك طريقة ثانية لتشجيع مجموعة من الأطفال على اللعب معاً وهي إيجاد موضوع مشترك بين أفراد المجموعة. تنفع هذه الطريقة مع أطفالٍ تتراوح أعمارهم بين الثالثة والخامسة أو الأطفال الأكبر سناً الذين يلعبون بتعاونٍ فيما بينهم. في هذا النوع من اللعب الجماعي تكون مهمة الكبار اكتشاف الاهتمامات المشتركة بين الأطفال والبدء بالدراما وتوسيعها.

إنّ مواضيع تتراوح بين لعبة المنزل والمدرسة واكتشاف الفضاء إلى إعادة تمثيل أفلام الكرتون قد تصلح أساساً للدراما وسوف يستخدم الأطفال قدرتهم الإبداعية لجعلها ألعاباً مشوّقة. بعد ذلك سيتمتع الكبار بمشاهدة مواضيع مرتجلة تماماً.

إنّ كلا الطريقتين في تشجيع المجموعة على اللعب تهدف إلى أمرٍ واحد: مساعدة كل طفل على المشاركة والتفاعل. بهذه الطريقة كلُّ المشاركين سيكونون حاضرين ومندمجين ويتصرفون بشكلٍ هادف ويستخدمون الكثير من الإيماءات وإذا كانوا في عمرٍ متقارب سيبتكرون الأفكار ويربطون بينها بشكلٍ منطقي، وما هو أهم من ذلك سيمرح كلُّ منهم مع ماما وبابا ومع الأطفال الآخرين.

تقوية تطوُّر اللغة

معظم الأطفال يتمتعون بالحديث والتذكير واستخدام مهاراتهم الحركية خلال أوقات اللعب على الأرض. ولأنّ هذه الأوقات تجمع بين لعبة الطفل الطبيعية واهتماماته ومهاراته التطورية فإنّ التعلُّم هنا يكون أكثر فاعلية بكثير من التعلُّم الذي يجري بشكلٍ تقليدي ومنهجي. إنّ الأطفال الذين يعانون من ضعفٍ في أيّ مجالٍ من مجالات التطوُّر يحتاجون إلى مزيدٍ من الممارسة، وأوقات اللعب على الأرض تجعل الممارسة متعة.

إحدى أكبر الصعوبات التي يعاني منها الطفل ما بين السنة والنصف إلى الخامسة من عمره هي فهم ما يُقال له. وكثيراً ما يصعب على الآباء والمختصين أن يعرفوا سبب سلبية طفل يبلغ سنتين ونصف من العمر لأنه غاضب أم لأنه مُحبط لأنه ببساطة لا يفهم ما يُقال له. إن إدخال ألعاب الإنصات والفعل في أوقات اللعب على الأرض غالباً ما تكون مفيدة.

مثلاً يمكنك أن تلعب مع طفلك لعبة «المس رأسك» أو «المس ركبتك» ثم تطلبي عدة أفعال متتالية «المس رأسك، المس ركبك، المس أنفك». إذا توقّف طفلك عن اللعب فوراً وتلّهى بشيءٍ آخر وأصبح سلبياً بشكلٍ عام عودي إلى اللعبة في وقتٍ آخر.

ابدأي بأمرٍ مكوّنٍ من فعلٍ واحدٍ وزيدي الأفعال بالتدرّج بشكلٍ عام زيدي درجة تعقيد كلماتك وجُمليّك بشكلٍ تدريجيّ كجزءٍ من لعبك وتفاعلك مع طفلك.

تعلم التركيز

إنّ أوقات اللعب على الأرض تعطي طفلك فرصاً رائعة لزيادة قدرته على الانتباه. إذا كان طفلك يتمتّع بالقدرة على الانتباه لفترةٍ طويلة سيكون من السهل عليه ممارسة ذلك أمّا إذا كان من النوع الذي يتشتت تفكيره بسرعة فقد آن الأوان للعمل معه على تجاوز هذه الصعوبة.

عندما تجلسين مع طفلٍ سريع التشتت سيلعب بطريقة فوضوية جداً. فتارةً سيلتقط لعبة لعدة ثوانٍ ثمّ سينهض ويتجوّل في الغرفة ثمّ سيسحب بعض الكتب من على الرف ثمّ سيخرج بعض الدمى من الصندوق وبعد ذلك سيدفع بسيّارته في زاوية من زوايا الغرفة.

إحدى التمرينات التي تساعد الطفل على الاستجابة للإيماءات والكلمات هي أن تنوّعي مقدار الطاقة الذي تضعينه في صوتك. إذا قلتِ

لطفلك «تعال إلى هنا يا عزيزي، دعنا نلعب بالسيارة» ولم يحظَ قولك بأيّ استجابة من طفلك بإمكانك أن تعلني بصوتٍ أكثر قوةً «هي، أنا أريدك» أو «تعال هنا، بال!». عندما تزيد من قوّة صوتك خلال دقائق قد تتمكنين من جذب انتباه طفلك إليك. قد يظلّ مندمجاً معك لثلاثين أو أربعين ثانية. ما أن تنجحي في دمج طفلك في التفاعل معك حاولي بشكلٍ مستمرٍّ أن تضيفي عدة ثوانٍ إلى فترة تفاعلكما معاً.

إنّ المفتاح إلى زيادة الفترة التي ينفقها طفلك في الانتباه الفعّال والانفتاح معك هو أن تركز على النشاطات التي يجدها ممتعة وأن تغلعي معه وتفتحي الكثير من دوائر التواصل. كلّما كان انتباهه ضعيفاً يجب أن يكون أسلوبك في التعبير والتحريض قوياً. بعض الأطفال يندمجون أكثر في الألعاب التي تتضمن الكثير من الحركات الجسدية كالركض والقفز أو عندما يلعبون بالكرة. والبعض الآخر يحبّون النشاطات الدقيقة كالرسم والقص والتلوين. بعض الأطفال يفضّلون مواضيع عاطفية معيّنة ويطلّون في حالة انتباه طالما أنهم يُصدرون الأوامر أو يتلقّون العناية من الآخرين.

إبدأي بالتفاعل مع طفلك في المواضيع التي يحبّها ثم أضيفي بالتدريج النشاطات التي تشكّل تحدياً أكبر بالنسبة له. عندما تعلمين طفلك من خلال المرح في أوقات اللعب على الأرض. كيف يندمج معك بدلاً من الانتقال من نشاطٍ إلى آخر فإنك تساعدينه على التركيز لفتراتٍ أطول من الوقت.

تقوية القدرات الحركية الدقيقة والكبيرة

إنّ أوقات اللعب على الأرض هي طريقة رائعة للقيام بأعمالٍ تتطلّب مهاراتٍ حركية دقيقة. إنّ التمارين المنظمة مثل الجلوس إلى الطاولة وكتابة الأحرف الأبجدية قد تكون أمراً شاقاً بالنسبة لبعض الأطفال. من ناحيةٍ أخرى إنّ إعداد قائمة بأسعار المأكولات في لعبة تمثيلية يتخيّل فيها الطفل نفسه عاملاً في مطعمٍ سيمرّ نفس المهارات الدقيقة عند الطفل، ولكن

بشكلٍ يتمتع الطفل . طالما كنتِ تستخدمين ذكاءكِ في إدخال هذه النشاطات إلى ألعاب التمثيل مع طفلكِ فإنه سيحظى بالكثير من المرح والفائدة معاً .

إنَّ النشاطات الحركية الكبيرة تشكّل جزءاً كبيراً من أوقات اللعب على الأرض . فالفقز والتزحلق والرقص تشكّل كلها مواضيع لدراما تمتلئ بالحيوية كذلك مشاهد المطاردة وركوب الأحصنة ورقصات الباليه هي مواضيع جيّدة لألعاب التمثيل . إذا كانت هذه النشاطات صعبة على الطفل الذي يعاني من مشاكل في الحركات الكبيرة بإمكانكِ أن تبدأي معه بنشاطات أكثر بساطة .

بناء مهارات حل المشاكل

إضافة إلى المرح الذي يملأ أوقات اللعب على الأرض يجب أن تخصصي وقتاً لإجراء حوارات حول حل المشاكل مع طفلكِ . هذه الحوارات يجب أن تركز على النشاطات اليومية الروتينية التي تجري في المنزل أو المدينة ويمكن أن تركز أيضاً على المواضيع (الكبيرة) التي قد يواجهها الطفل مثل الاستيقاظ في الليل والتمرّن على استخدام التواليت وضرب الأطفال الآخرين ورمي الطعام على الأرض ونوبات الغضب والخشونة مع الإخوة . إنَّ محادثات تستمرّ الواحدة منها نصف ساعة - ليس أثناء الأزمات - على مدى عدة أيام أفضل من محادثة واحدة طويلة .

إذا كان طفلكِ قويّ الإرادة قد يقضي الدقائق العشر الأولى وهو يتجاهلكِ ويحاول تغيير الموضوع أو يعلن «لا أريد الحديث عن هذا الأمر» من المهم أن تنتبهي إلى أنّه قد يستغرق الأمر أحياناً نصف ساعة من النقاش قبل أن ينتبه طفلكِ إلى الأمر الذي يهّمكِ .

عندما تعرضين الموضوع على طفلكِ حاولي أن تنصتي إليه وأن تتعاطفي مع وجهة نظره «أنا متأكّدة أن باستطاعتكِ أن تخبرني عن الأسباب التي تدفعك لقرص أختك» وقد يعطيك قائمة من الأسباب «إنها تأخذ ألعابي» أو «أنت دائماً تقفين إلى صفّها» وهكذا . عندما تفهمين وجهة نظر طفلكِ

تستطيعين أن تحلّي المشكلة.

كلّما فهمتِ وجهة نظر طفلكِ وأعطيتِهِ الفرصة ليعبر عن مخاوفه وشكاويه ورغباته ستكون هناك فرصة أفضل ليس لحلّ المشكلة فقط وإنما لمساعدة طفلكِ على النمو عاطفياً. لا تفترضي أنّك تعلمين ما يفكر ويشعر به طفلكِ، حتى لو كنتِ تعلمين ذلك يجب أن تقول ما يفكر أو يشعر به. احرصي دائماً على أن يكون هو المتحدث في أكثر من نصف الوقت الذي تقضيناه معاً. إنّ مجرد هزّ رأسه بإشارة نعم أو لا على أسئلتك لا ينمي مهاراته في حلّ المشاكل. إنّ الطفل الذي لا يحب الكلام هو أكثر الأطفال حاجةً إلى ممارسة هذه المهارة.

قد تلاحظين أنّ طفلكِ يعاني من صعوبة في رؤية (الصورة الكبيرة) حتى الأطفال الحساسين والقادرين على استخدام الألفاظ قد تربكهم في كثير من الأحيان مشاعرهم في لحظة معيّنة. إذا كان طفلكِ يعاني من صعوبة في رؤية الغابة من أجل الأشجار يمكن أن تلفتي انتباهه إلى الأنماط الأكبر التي لا يعيرها اهتماماً. بعض الأطفال قادرون تماماً على رؤية الصورة الكبيرة ولكن لديهم مشكلة في وصف التفاصيل وفي تمييز الاختلافات بين المشاعر إذا كان طفلكِ من هذا النوع يجب أن تتابعي بكثيرٍ من الاهتمام أيّ تفاصيل يذكرها في مناقشة «أخبرنا ما الذي حدث في هذا الصباح لديّ الكثير من الوقت». إنّ اهتمامك بنواح معيّنة من مشاعره سوف تساعد طفلكِ صاحب الصورة الكبيرة على تجنّب التعميم المبالغ فيه.



بعض المبادئ الأساسية لحلّ المشاكل

توقّعي مع طفلكِ أوقات السرور والصعوبات التي ستصادفه غداً.
 قدّري وجهة نظر طفلكِ .
 تعاطي مع مشاعره .
 ساعديه على تصوّر المشاعر أو الأحداث .
 جزّئي الموضوع الذي تتحدّثين عنه إلى أجزاءه الصغيرة .
 وفّري له المهمّات التي يستطيع إنجاز 70 إلى 80٪ منها بحيث
 يشعر بأنّه قادر على الإنجاز . انتقلي إلى المواضيع الأصعب
 تدريجياً .
 زيدي دائماً من أوقات اللعب على الأرض كلّما زدتي من الوقت
 المخصّص لحلّ المشاكل .

مساعدة الطفل العنيد على أن يصبح أكثر مرونة

إنّ الطفل المنسحب والسليبي والذي يثير الغضب والطفل الذي يفضّل اللعب بالأشياء على اللعب مع الأشخاص، والطفل الذي يثور عندما تفعلين شيئاً لا يناسبه كلّ هؤلاء الأطفال يحتاجون إلى الشعور بالمتعة والتفاهم المتبادل الذي يحدث عادةً أثناء أوقات اللعب على الأرض . إنّ التعاطف مع الطفل العنيد ليس أمراً سهلاً في كلّ الأوقات . قد يبدو طفلكِ ذو الثلاث سنوات منسحباً وانعزالياً في معظم الأوقات على الرغم من نموّ قدراته اللفظية والحركية . قد يبدو أنّه لا يتمتّع بالوقت الذي يقضيه معك كما تأملين ، وعندما يفشل في إبداء الكثير من الاهتمام بشكل تلقائي أثناء تفاعله معك قد تشعرين بشيءٍ من الإحباط ، وتحوّلين إلى نشاطٍ أكثر جموداً مثل القراءة ، ومع ذلك يظلّ طفلكِ على تردّده في المشاركة ويظلّ في آخر القصة حزيناً وغير متعاون .

إذا كنتِ مثل معظم الأمهات ستشعرين بالقلق عند هذه النقطة وقد تقررين طلب المشورة من طبيب الأطفال أو أخصائي التطور. غالباً ما سيقترح عليك الطبيب أو الأخصائي أنه إذا لم تُفلح طريقة في استمالة طفلكِ يجب أن تجربي طريقة أخرى.

قد تحاولين طريقةً أكثر تدرجاً بحيث يرتاح لها طفلكِ وتجلسين بهدوء إلى جانبه لعدة دقائق وتركينه ليبدأ هو بالمبادرة. إذا لم يفعل شيئاً يمكن أن تقدّمي مبادرات لطيفة كأن تضعي ذراعكِ حوله أو تدعيه لمشاركته اللعب بالمكعبات الموجودة على الأرض. هذه المقدمات التي تُشيع الدفء بينك وبين طفلكِ هي خطوة هامة على طريق التفاعل الحقيقي.

مع الوقت سيظهر فضوله خلال لعبكما معاً. قد ينقذك في البداية لأنك وضعتِ مكعباً أو لعبةً في المكان الخاطئ ولكن في النهاية سوف يدعوكِ إلى مشاركته في الكثير من أفكار اللعب الخاصة به. ومع تطوّر اللعب سيصبح الطفل - الذي كان عنيداً من قبل - متعاطفاً مع الدمية أو لعبة الحيوان الذي يلعب دور الراعي لها. عندما تتعاطفين معه قد يشرح لك قائلاً «إنّ طفليتي جائعة دائماً، إنّها تريد المزيد من الحليب في كلّ الأوقات يجب أن أطعمها طوال اليوم وعندها تصبح سعيدة».

إنّ هذا الطفل يخبرك بشكل غير مباشر أنّه يحتاج إلى الكثير من الدعم العاطفي، وأنّ الاعتناء به هو موضوع مهمّ بالنسبة له. إنّ كونه يعبر عن هذا الموضوع خلال اللعب هو دليل على أنّك قد بدأتِ بإشباع هذه الحاجة.

إنّ تفاعلك معه في أوقات اللعب على الأرض سيساعده بالتدرج على أن يصبح أكثر دفئاً ومشاركة للآخرين.

إنّ الكثير من مشاكل الطفولة يمكن أن تُحلّ بشكل جزئي خلال أوقات اللعب على الأرض. إنّ أوقات اللعب على الأرض تزيد من الشعور بالأمن والثقة والدفء وحبّ المبادرة والشعور بتفهم الآخرين لما يريده الطفل. إنّها

تخلق فرصاً لجعل المشاعر الخاصة الغامضة - سواء كانت مشاعر الاحتياج إلى الآخرين أو الخوف أو القلق أو الغضب - جزءاً من عالم الأفكار والعلاقات .

قد تتطوّر أوقات اللعب على الأرض إلى أن يستغني فيها الطفل - عندما يكبر - عن الألعاب والدمى . سوف يصبح عقله الأداة الوحيدة التي يحتاجها لكي يطلق العنان لخياله . عندما يحدث ذلك سوف تتبعين إبداعات طفلك كما كان يتبعك عندما كنتِ تبتكرين الدراما لألعاب التمثيل التي لعبتماها معاً . إنَّ النقاش اليومي حول الأشياء الروتينية - المدرسة ، الأصدقاء ، برامج التلفزيون ، حذاء جديد - يمكن أن تزوّدك وتزوّد طفلك بالمفتاح للتعبير عن أفكاره ومخاوفه وآماله .

استخدام أوقات اللعب على الأرض لوضع الحدود

كما قلنا سابقاً إنَّ أوقات اللعب على الأرض ليست بديلاً عن العقوبة ، وإنما هي داعمة لها . عندما يسيء الطفل التصرف يمكن لأوقات اللعب على الأرض أن تبين ما الذي يدور في ذهنه ولماذا هو غاضب ومثار إلى هذا الحد . على كلِّ حال هذه الأوقات الخاصة يجب أن تُرفق بحدود صارمة ومستمرّة مدعومة بتصميمك . إنَّ القاعدة المهمة هنا ، لا تزيدي من الحدود التي تضعينها لطفلك بدون زيادة أوقات اللعب على الأرض . عندما تحذفين طريقاً يعبر فيها الطفل عن مشاعره - سلوك العناد أو الغضب - افسحي له دائماً طريقاً آخر للتعبير عمّا يقلقه . إنَّ النجاح في وضع الحدود وهو تحدُّ يواجه الآباء دوماً يكمن في صهر الدفء والتعاطف مع الحزم والتصميم . إذا استطعتِ الجمع بين الموقف البناء - وليس القصاصي - واحترام حاجات طفلك الخفية سيصبح طفلك أكثر تفهماً للحدود التي تضعينها له .

تحريك حدود الصرامة

غالباً ما يشكو الآباء من أنّ أطفالهم «لا ينصتون لهم» أو «لا يلتفتون ألعابهم» أو «دائماً يلقون الطعام على الأرض»، ومع ذلك فمعظم الأطفال لا يخربشون بالقلم على جدار غرفة الجلوس أكثر من مرّة واحدة لأنّ آباءهم وأمّهاتهم يكونون أكثر حزمًا معهم، إذ أن التهاون هنا يقضي إعادة دهان الجدران. لماذا إذن يستمرُّ كثيرٌ من الأطفال في نشر ألعابهم في أنحاء المنزل؟

إنّ الجواب بسيط جداً فالأطفال يختارون المعارك التي يخوضونها. إنهم يميّزون النواحي التي يكون آباؤهم صارمين فيها وعادةً ما يسيئون التصرف إلاّ عندما يعتقدون أنّ باستطاعتهم النفاذ من العقوبة (بعض الأطفال يستمرّون في الكتابة على الجدران ولكن لا شكّ أنهم أقلية). لذلك الخطوة الأولى لوضع الحدود هي أن نقرّري ما هي الحدود المهمّة حقيقةً بالنسبة إليك وأن تلتزمي بصرامتك في النواحي المتعلّقة بتلك الحدود.

إنّ الصرامة لا يُعبّر عنها من خلال الكلمات فقط وإنما أيضاً من خلال الإيماءات.

تعليم الحدود

إنّ الحدود تُعلّم ولا تُفرض. في الحقيقة إنّ تجاوزات طفلك كوصوله إلى مصباح يفضله هو فرصة لتعليمه الكثير من الأمور. ما أن يصبح الطفل قادراً على فهم الإيماءات والقليل من الكلمات. ففي مواجهة له وهزّي رأسك من جانبٍ إلى آخر وأنتِ تقولين «لا، لا»، يمكنكِ بعد ذلك أن تزيحي طفلك عن المصباح المقصود وتقولين «لا، مصباح» وأنتِ تبعدينه عن المصباح. قد يبكي الطفل وهو يشعر بالإحباط لكن استمرارك في هزّ رأسك وأنتِ تقولين «لا» سيعلّم طفلك أنّك لن تستسلمي له.

مع الوقت سوف يتعلّم طفلك ما الذي تعنيه الإيماءات والكلمات عندما تُشركين الكلمات والأفعال والعواطف مع بعضها كما ذكرنا سابقاً. بالمقابل إذا قمتِ بصمتٍ وبشكلٍ روتيني بإزاحة طفلك عن مصدر الخطر وهو الأمر الأسهل (إلا في حالات الطوارئ) فإنه سيتعلّم أن إزاحته عن مصدر الخطر تعني (أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً).

إذا كنتِ مثل معظم الأمهات لا شك أنك تعرفين ذلك الشعور بالإحباط عندما تحاولين وضع حدودٍ أمام طفلك وهو يمسك شيئاً ما في محل بيع الخضار وهو يتجاهل قولك «توقّف!». كثير من الآباء والأمهات يقومون جسدياً بالتدخل ويعيدون الكرة في كل مرة يذهبون فيها إلى التسوّق مع أطفالهم. إذا كانت هذه المشكلة متكررة يجب أن تعلمي أن سببها ليس الإغراء الموجود في المحل. إنّ طفلك يسيء التصرف عندما لا يُعلّم كيف يتبته إلى رغبات والديه.

هناك العشرات من الفرص تُتاح لنا كل يوم لتعليم أطفالنا كيف يحترمون أوامرنا فلماذا نختار السوق لنطبّق عليهم أقسى أشكال التعليم؟ اغتنامي الفرص التي تكونين فيها أنتِ وطفلك في وضع مألوف بالنسبة لكما وليس في مكانٍ ستشعرين فيه بالحرَج من عدم طاعة طفلك لك. عندما تطلبين من طفلك أن يلتقط ألعابه أو أن يأتي إلى طاولة العشاء أو أن يأكل بالملعقة وليس بيديه أو أن يتهيأ للنوم في السرير أو أن يشارك أصدقاءه اللعب بألعابه، أو أن يرتدي معطفه سيكون لديك الفرصة للقيام ببعض التعليم البناء أسألي نفسك الأسئلة التالية:

- هل استرعي انتباه طفلي؟
- هل تمّ ما أريد منه، على سبيل المثال، إنني أريده أن يلتقط ألعابه؟ هل كلماتي وإيماءاتي واضحة وبسيطة بما فيه الكفاية؟
- لماذا كان طفلي ينتبه إليّ ويفهمني ولكنه لا يطيعني فلماذا؟ هل أوفّر له دافعاً كافياً بإعطائه حافزاً إيجابياً بما في ذلك الاحترام؟

هل أنا مستعدة لدفعه إلى الالتزام باستخدام عقوباتٍ معقولة إذا لزم الأمر؟

- هل أنا مستعدة لأكون أكثر تصميمًا وحزمًا؟ وهل باستطاعتي أن أجمع بين الحزم واللفظ إذا اضطررت إلى تقييد طفلي جسدياً لمنعه من إيذاء نفسه أو إيذاء الآخرين.
- هل أستغل الفرص المتكررة للتعاطف مع طفلي والحوار معه من خلال أوقات اللعب وحلّ المشاكل اليومية؟

إذا كانت أجوبتكِ على هذه الأسئلة بـ (نعم) فإنّ طفلكِ سيتعلّم الحدود التي تريدين وضعها له.

الحفاظ على التعاطف والمشاركة والحوار أثناء وضع الحدود

إنّ الإنسان يميل بشكلٍ طبيعي إلى التخلّي عن التعاطف والتقارب عندما يدخل في حالةٍ من الغضب المتبادل مع الآخرين أو الصراع على السلطة أو وضع الحدود. قد تسألين نفسك «هل من الممكن أن أتعاطف مع رغبة طفلي في أخذ دمية صديقه أو في ضرب أخته» الجواب هو أنه حتى عندما تضعين الحدود بحزم يجب أن تتعاطفي مع الصعوبة التي يُعاني منها طفلكِ أثناء تعلّم دروسه الجديدة. إنّه فقط من خلال وضع الحدود المترافق مع التعاطف سوف يرغب طفلكِ في النهاية أن يقوم بإسعادك. إنّ هدفك من وضع الحدود هو أن تعلّمي طفلكِ التعاطف والاحترام وهو سيتعلّم من أفعالك أكثر مما سيتعلّمه من أقوالك.

أثناء محاولة التعاطف مع أبنائهم يجد بعض الآباء والأمهات صعوبةً في مقاومة الشعور بالرغبة في الهرب من طفلهم اللجوج والغاضب. من الطبيعي أن يشعر الإنسان بالرغبة من التخلّص من إصرار طفله وإزعاجه ولكن إذا استسلمت لهذه الرغبة فإنّ أسلوب الهروب سيُشعر طفلكِ بأنّه مرفوض وسيُشعره بمزيدٍ من الهشاشة والغضب والتهديد. إنّ أفضل طريقة

هنا هي أن تتحملي المسؤولية وأن تشعرى طفلك بالأمن والتحكّم بقضاء مزيد من أوقات اللعب على الأرض معه ومزيد من الوقت في حلّ المشاكل معاً. بعد أسابيع قليلة من التأكيد على هذه الأوقات ستجدين أنّ وضع الحدود لابنك سيصبح مناسباً ومساعداً له. إنّ التعاطف وليس الهروب سوف يساعدك على التخلص من الشعور بالضيق تجاه غضب ابنك.

كيف تختارين معاركك

ربما يكون الجزء الأصعب من وضع الحدود هو تقرير ما هي الأمور التي يجب وضع حدود لها. إنّ قيمك ومواقفك ستدفعك إلى اختيار أمورٍ معيّنة، ولكن بعد ذلك يجب أن تكون حدودك واضحة وأن تكوني حازمة في إلزام طفلك بها. بكلمة أخرى من الأفضل أن تكسبي معارك قليلة مهمة على أن تخسري المعارك الصغيرة غير المهمة. ركّزي على مواضيع أساسية قليلة في نفس الوقت. لا تشنّي عدة معارك على عدة جبهات ولا تضيقّي مجال الأمور التي يُسمح لطفلك القيام بها. على سبيل المثال، لا تعاقبي طفلك بسبب تجاوزات محدّدة ومعرفّة بشكلٍ ضيقٍ مثل ضرب صديق له في يوم من الأيام وقرص صديق في يوم آخر والبصق على صديق في يوم ثالث، بدلاً من ذلك ركّزي على مواضيع أعمّ مثل «احترام أجساد الآخرين وبالتالي عدم إيذائهم» وهكذا لن يستطيع طفلك الدفاع عن نفسه قائلاً «لقد أطعتك أنا لم أضربه ولم أقرصه ولم أبصق عليه، فقط دفعته بقوة». إنّ هدفك هو مساعدة طفلك على التعامل مع مفاهيم سلوكية عامة وعلى رؤية الغاية وليس الأشجار المكوّنة من التفاصيل الخاصة والسافس.

العقوبات المعقولة

عندما تحدّدين نوع العقوبات التي تريدين وضعها لطفلك حاولي ألا تكون في أمورٍ مهمّة من الناحية التطوّرية. على سبيل المثال حاولي أن لا تكون العقوبة منعه من اللعب مع أصدقائه لأنّ ذلك مهمّ لتطوّره وبدلاً من

ذلك امنعيه من مشاهدة التلفزيون أو اللعب بالكمبيوتر. اجعلي العقوبة أمراً يصعب على طفلك تحمُّله فقد يقول الطفلُ في الرابعة من عمره عن منعه من اللعب لمدة ربع ساعة «إنَّ ذلك لا يجدي، فهو أمرٌ سهلٌ عليَّ تحمُّله!».

في الحقيقة، إنَّ إبعاد طفلكِ عنك كعقوبة لها يعني أنَّك لا تستطيعين تحمُّل غضبها. إنَّ استمرار التواصل البصري بينكما وسؤالها أن تفكّر بهدوء أثناء وجودكٍ بما فعَلتُه سوف يفهمها مدى تصميمك بشكلٍ أفضل ما هو أهم من ذلك هو أنَّ بعض الأطفال العنيدين يكون لديهم قصور في النضج في بعض النواحي بما في ذلك قدرتهم على فهم ما تقولينه لهم. إنهم ينزلون بسهولة عن محيطهم ويغرقون في عالم الخيال الخاص بهم. إنَّ آخر ما يحتاجون إليه هو العزل الاجتماعي الذي سيسمح لهم بمزيد من الغرق في أحلامهم وسيضعف قدرتهم على التفريق ما بين الواقع والخيال.

إنَّ الأطفال المنعزلين وغير المتفاعلين لا يزعجهم العزل كثيراً بل قد يكون تجربةً سارة بالنسبة لهم. ولهذا يصلح العزل كعقوبة لهم. إنَّ إدراكنا لتطوُّر الأطفال يدفعنا إلى الاعتقاد بأنَّ قدرة الطفل على الموازنة بين الثقة والاحترام والعلاقة الحميمة من جهة، وبين غضبه من جهة أخرى هي التي تدفع الطفل إلى وضع الحدود بنفسه. إنَّ العقوبات يجب ألا تكون أبداً باردة أو ميكانيكية ويجب أن لا تفتقد إلى قيم التعاطف. إنَّ وضع الحدود البتء يتمُّ في سياقٍ علاقةٍ يشعر فيها الطفلُ بالدفع والاحترام.

الآباء والأمهات الذين يبالغون في حماية أطفالهم

يخشى هؤلاء الآباء والأمهات من الإزعاج الذي قد يسببه وضع الحدود لأبنائهم (لا أستطيع أن أتحمَّل حرمان طفلي من مشاهدة التلفزيون لمدة ثلاثة أيام. ستشعر بالتعاسة وسأكون قد قسوتُ عليها). إذا كنتِ من هذا النوع من الأمهات ناقشي هذه المشاعر مع زوجكٍ وحاولي معرفة جذورها في خلفيتك. بدلاً من تميمع العقوبات حاولي أن تفعلي شيئاً ما أكثر

صعوبةً وهو التعامل مع ألمك الداخلي وشعورك بالذنب عن طريق توفير المزيد من أوقات اللعب على الأرض وحلّ المشاكل مع طفلك. لا يمكن أن توفّر لطفلك الكثير من هذه الأوقات ولكن تأكدي من أنّ العقوبات التي تضعينها ذات معنى بالنسبة للطفل. بما أنّ هؤلاء الأطفال يختلفون فيما بينهم يجب أن تجرّبي لتعرفي إن كان التعبير عن خيبة الأمل أم النظرة القاسية أم الحرمان من مشاهدة التلفزيون لعدة أيام أم منع الطفل من لعبة معيّنة أم تكبير وقت النوم هي العقوبة الأكثر فاعلية بالنسبة لطفلك.

نوبات الغضب

عندما ينفجر الطفل غاضباً تختلف مشاعر الآباء والأمهات تجاه ذلك: فمنهم من يشعر بالحرَج أمام الآخرين ومنهم من يشعر بالانزعاج لأنّ غضب طفلهم «يشعرهم وكأنّ الطفل يكرههم وهم لا يستطيعون تحمّل ذلك». وهناك من يشعر أنّ صراخ طفله ذا الطبقة العالية يحرق أعصابه. من ناحية أخرى فإنّ الطفل الذي يبلغ أربع سنوات ونصف من عمره قد يدرك أنّ هذه النوبات تشبه أسلحة سرّية يستطيع استخدامها متى يشاء. فالوالدان لا يعرفان ماذا يفعلان والطفل ينتقم منهما.

إنّ نوبات الغضب تحمل معانٍ مختلفة وتخدم أغراضاً متنوّعة. هناك فرق كبير بين الطفل الذي يبكي لأيّ سببٍ لأنه تعب أو مريض والطفل الذي يصيح لأنه محبط بسبب عدم تمكنه من ربط حدائه والطفل الذي يغضب لأنك لم تسمحي له بأكل الشوكولا. إنّ معرفة نوع نوبة الغضب التي تتعاملين معها ستساعدك على معالجتها. إنّ الطفل المتعب يحتاج إلى مساعدتك لكي يهدأ بحمله أو هزّه أو قراءة قصة له أو التحدّث إليه أو شدّ انتباهه إلى الأزهار الملوّنة خارج النافذة. إنّ الهدف هنا هو تعليم الطفل أنه بالرغم من انزعاجه يستطيع أن يهدئ نفسه باستخدام أساليب معيّنة. إنّ المناظر والأصوات والحركات التي يحبّها ستساعده على ذلك وكذلك

النشاطات الخاصة كالإنصات إلى قصة أو مشاهدة الفيديو أثناء احتضانه بين ذراعَيْكَ. حاولي أن لا يسيطر عليك الشعور بأنَّ (طفلي يتحكّم بي) عندما يكون الطفل متعباً ومضطرباً. إنه ببساطة يحتاج إلى مساعدتك لكي يشعر بالهدوء والانتظام مرّة أخرى.

عندما تُصاب طفلتك بالإحباط لأنها لم تستطع القيام بأمرٍ ما كربط حذاءها، تذكّري أنّ ذلك يشبه شعورك عندما تدقين إصبعك عن طريق الخطأ وأنت تحاولين تثبيت مسمارٍ في الحائط. هناك مناسبات يحتاج فيها الإنسان إلى أن يعبر عن مشاعره. عندما ترمي طفلتك حذاءها تذكّري أنّ هذا نوعٌ من التواصل معك عن طريق الإيماءات. إنّ الحدود الصارمة ضرورية عندما يصبح الطفل مؤذياً ويحاول تحطيم شيء أو إيذاء الآخرين. على سبيل المثال إذا رمت طفلتك أثناء ثورة الغضب الحذاء في وجهك من المؤكّد أنّه يجب عليك أن تضعي حدوداً لها. كذلك قد ترمي بلعبتها لأنها لم تستطع أن تضمّ أجزائها إلى بعضها وهذا مقبول أما عندما ترمي بها بعنف لكي تكسرهما فهنا يجب التدخل ووضع الحدود.

بما أنّ معظمنا يتعاطف مع أصدقائه الكبار عندما يشتكون من أمرٍ ما كعدم القدرة على التعامل مع برنامج كمبيوتر جديد فلماذا لا نستخدم ذلك التعاطف مع أطفالنا؟ حاولي أن تتعاطفي مع إحباط طفلك وغبه عندما يفشل في ربط حذائه أو التعامل مع لعبة معقدة. بعد أن يهدأ اعرضي عليه مساعدتك، إذا رفض ذلك إبقي إلى جانبه وقومي بتشجيعه وهو يحاول مرّة ثانية.

إذا طلب طفلك مساعدتك العبي دور الاستشاري وليس دور من يقوم بالعمل نيابة عنه. أسأليه كيف تريدين أن تساعدته ثم اتّبعي توجيهاته. إذا احتاج إلى مزيدٍ من المساعدة يمكن أن توفّري له بعض الاقتراحات البناءة مثل تقسيم العمل إلى أجزاء صغيرة. على سبيل المثال يمكن أن تعلّميه كيف

يقاطع بين طرفي شريط الحذاء في اليوم الأول. إذا كان طفلك يجد صعوبة في التخطيط للحركات المعقدة مثل تلك الضرورية لربط الحذاء أو لبس الثياب سيعتمد إلى حد كبير على إعجابك بجهوده وعلى استعدادك لتوفير النصح له خطوة خطوة. إن تعاطفك وصبرك سيحملة في النهاية إلى إنجاز العمل بكامله. عندما يغضب طفلك لأنك لم تعطه شيئاً يريد أو لم تمكنه من فعل شيءٍ يريده يجب أن تضعي بعض الحدود الصارمة.

كثيرٌ من الآباء والأمهات يجدون ذلك من أصعب الأمور التي تواجههم خصوصاً إذا كان الطفل عنيداً وكان والداه حسَّاسين للصوت العالي أو لمشاعر الغضب. إن أكثر الطرق فاعلية لمساعدة طفلك على تجنُّب تلك الأوقات هي أن تتأكدي أولاً من وجود ما يكفي من الدفء والقرب والرعاية والاحترام في علاقتك مع طفلك ثم أن توفري له الفرص لكي يعبر عن مشاعر الغضب والإحباط عنده. وأخيراً من المهم الاحتفاظ بسجلٍّ للعقوبات المبكرة بسبب تجاوزات خطيرة كإيذاء أخ أو قذف الألعاب بعنف.

والآن أنتِ مستعدةٌ للتعامل مع نوبة الغضب نفسها حاولي أن تفهمي طفلك «أنا أفهم غضبك بسبب عدم حصولك على ما تريد» بعد ذلك انظري حتى تهدأ ثورة الطفل ويصبح قادراً على أن يعبر بالإيماءات والكلمات وليس بالبكاء فقط عن السبب الذي جعله يشعر بالظلم. من الأمور التي يمكن أن توتر الطفل هي أن تصيحي ردّاً على صياح طفلك أو أن تحاولي الدفاع عن وجهة نظرك بعد أن أوضحتها أو أن تحاولي رشوة الطفل بمستويات معينة أو أن تجبري الطفل على أن يُزيل تعابير الغضب من على وجهه أو أن تحبسيه في غرفة لأنك غير قادرة على تحمُّل صراخه. دعيه يفهم أنه إذا اختار أن يعلمك بمدى غضبه باستخدام الكلمات والإيماءات فإنك مستعدة للإنصات إليه.

قد تلاحظين أنك عندما تجمعين بين وضع الحدود وزيادة أوقات

اللعب على الأرض فإنَّ طفلكِ يصبح بشكلٍ عام أكثر دفتاً وتعاوناً لكنَّ نوبات غضبه تزداد شدَّتها لفترةٍ معيَّنة. بعض الأطفال لا يتخلَّون بسهولة عن وسائلهم في الاحتجاج. إذا أدَّت نوبات الغضب بطفلكِ إلى أن يؤذِي نفسه (بالعصا أو بضرب نفسه) وغيره أو إلى كسر الأشياء عليكِ أن تحدِّي من ذلك فوراً. إنَّ إحاطته بقوةٍ بذراعيكِ يقوم بالمطلوبِ عادة وفي مثل هذه الحالات يجب أن تُعدِّي نفسكِ لتمارينِ رياضي حقيقي!

تعليم الطفل استراتيجيات تأقلم جديدة

إنَّ وضع الحدود هو فرصة لمساعدة طفلكِ على التمكن مرّة ثانية من كلِّ مهارات التأقلم التطوُّرية المبكرة التي تعلَّمتها وعلى إيجاد طرقٍ جديدة لتحقيق ذاتها وعلى الشعور باحترام الذات بدلاً من الإذلال. عندما تبلغ طفلكِ سنتين من عمرها ستبادلين معها الكلمات وأنتِ تعلِّمينها كيف تستخدم الأفكار في خضمِّ المعركة. إنَّ الأفكار العاطفية أفضل تطوُّراً بكثير من البكاء أو الصراخ أو رمي الأشياء وغير ذلك من ميِّزات المرحلة المبكرة التي كان يتمُّ التعبيرُ فيها بالإيماءات عندما تقضين عشرين دقيقة من النقاش مع طفلكِ ذات الأربع سنوات ونصف وهي تبين لكِ كيف أنَّ مشاهدة المزيد من برامج التلفزيون أفضل من الذهاب المبكر إلى النوم فإنَّ هذه المفاوضات تعلِّمها التفكير العاطفي المنطقي. إنَّ الاستمرار في محاورتها لا تعني أنَّك ستخضعين لها وإذا فشلت في إقناعك ما زال باستطاعتك أن تصرِّي على ذهابها إلى النوم.

من السهل نسبياً أن تعاقبي طفلكِ عندما تسرق لعبةً طفلٍ آخر. لكن من الأصعب أن تحاولي معرفة الاحتياجات التي تريد طفلكِ تلبيةً من خلال أخذ أشياء تخصُّ الآخرين. ربما سأشجّعها بسبب جوِّ منزلي صاحب تُعطى فيه الكثير من الألعاب والقليل من أوقات اللعب على الأرض. إنَّ جشعها في هذه الحالة هو محاولة منها للشعور بالأهمية والاحترام من قِبَل الآخرين.

عندها يصبح السؤال كيف أستطيع أن أساعد طفلي على الشعور بالفخر والأمان بطرقٍ أخرى؟ إذا أردتُ أن أشعرها بالأهمية بأشياء غير الألعاب والدمي كيف أستطيع مساعدتها على الإدراك بأنَّ اهتماماتها ومهاراتها ونكاتِها السخيفة ومشاعر الإحباط والفقدِ عندها هي أمورٌ مهمّةٌ؟.

وأنتِ تضعين الحدود على تصرفاتِ طفلكِ غير اللائقة التي تقوم بها لإشباع حاجاتها بإمكانك أن تساعديها على اكتشاف هذه الحاجات والدوافع بتوفير الكثير من وقت اللعب على الأرض وحلّ المشاكل. عندما تجدين عقباتٍ كبيرة أثناء وضع الحدود لطفلكِ فذلك يعني وجود حاجات غير مشبعة عندها كتلك المتعلقة بالعلاقة مع والديها أو أشقائها أو بمشاكل سببها تطورها الجسدي الخاص.

الاحترام وليس الإذلال

إنَّ الصراعات على السلطة بينك وبين طفلكِ قد تتفاقم أحياناً إلى درجةٍ يصبح معها همُّك الوحيد أن لا تفقدي ماءً وجهك. إنَّ إذلال طفلكِ يؤدي إلى خفض تقديره لذاته ومساعدتكِ له على إنقاذ ماءٍ وجهه والشعور باحترام الذات وهو يتبع إرشاداتك سيدفعه إلى الجمع بين الشعور الإيجابي بالذات والنجاح في التغلب على مشاعر التردُّد والعتاد.

لنفترض أنَّ طفلكِ ذات الأربع سنوات رفضت الذهاب إلى النوم وبعد جدلٍ طويلٍ ربحتِ المعركة وشاهدتِ طفلكِ تتجه إلى السرير مخفوضة الرأس. عندما تشعرين باستسلام طفلكِ ساعديها على حفظ ماء وجهها. يمكنكِ أن تخبريها بلطفٍ كيف ستشعر بالارتياح في الصباح بعد نومٍ طويلٍ في الليل ثم تسألينها باهتمام حقيقي عن المدرسة وعن نشاطات اليوم التالي. إذا حصلتِ على جوابٍ مثل «إنه دوري غداً من توزيع الطعام على الطلاب» يمكنكِ أن تستجبي بملاحظة مشجعة «أعرف أنكِ ستقومين بعملٍ جيّدٍ» والآن أصبحت المنافسة القديمة رقيقة الدرب وتشعر كلُّ منكما بالاحترام.

لا تتفاجئي إذا ظلَّت طفلةُك غاضبةً وصاحت «اخرجني من غرفتي لا أريد قبلة، تصبحين على خير»، فهذه طريقتهما للحفاظ على شيءٍ من كرامتها في هذا الموقف. احترمي حاجتها وقولي لها «أعلم أنكِ ستمكِّنيني من تقبيلكِ غداً». في النهاية سوف تنام وسوف تتعلَّم أن وضع الحدود ضروري ولو لم يكن ممتعاً.



8

الخلاصة أعطي المزيد وتوقّعي المزيد



لقد استعرضنا في هذا الكتاب المراحل التطوّرية الست والتفاعلات التربوية المتعلقة بها التي تمكّن الرضّع والأطفال وآبائهم من بناء وتقوية الذكاء والصحة العاطفية. إننا نأمل أن يُمكن التعرف على هذه المعالم الأساسية الآباء والأمهات والمختصين من تمييز وابتكار والتمثّع بخبرات تفاعلية تبني العقل السليم. إنّ فهم أيّ التفاعلات هو أكثر أهميةً يساعد أيضاً على معرفة التفاعلات المفقودة أو الأقل تطوّراً في طفلٍ معيّن وكيف نملاً بعض هذه الفراغات التطوّرية. بهذه الطريقة يصبح السلوك الفطري عند بعض الآباء والأمهات قابلاً لكي يتعلمه الجميع.

بما أننا نتفق جميعاً على أنّ الطفولة هي عملية معقّدة فمن المهمّ أن نؤكّد على بعض أساليب الرعاية ومواقف الوالدين الأساسية ذات الأهمية الخاصة في نموّ الطفل العقلي والعاطفي. هذه المبادئ المرشدة تلخّص

الكثير من التوصيات التي ظهرت في الفصول السابقة.

إذا كان هناك قاعدة ذهبية واحدة تلخص التفاعل ما بين الطفل والوالدين ستكون: أعطي المزيد وتوقعي المزيد. إنَّ هذه الحكمة تبين العلاقة بين كمية الحب والتعاطف التي نوْفَرها لأطفالنا وقدرتهم على تجاوز التحديات والوفاء بالمتطلبات التي نريدها منهم. على الرغم من بساطة هذه الحكمة إلاَّ أنه ليس من السهل علينا اتباعها. هناك ميلٌ طبيعي عندنا للانسحاب وإعطاء أطفالنا أقلَّ ما يمكن من أنفسنا عندما يسيِّون لنا الإحباط أو خيبة الأمل.

إننا في مواجهة طفلٍ عنيِدٍ قد نُصاب أحياناً بالهياج. وربما لكي نتجنَّب مزيداً من الانفعال ننسحبُ ونغرقُ في روتين حياتنا اليومية وربما نردِّد في أنفسنا «بعد كلِّ ما فعلته من أجله، هو لا يريدُ حتى أن...». في وضع كهذا لن يشعر الطفل بضغط توقعاتك فقط وإنما سيشعر في نفس الوقت أنَّه تلقى رعاية أقل. إنَّ فكِّي الكماشة هذين سيشعرانه بالغضب والإحباط. إنَّ لسان حاله يقول «ماذا؟ ألتقطُ ألعابي؟ في حين أنَّك لا تحملينني ولا تعاقينني».

بشكلٍ عام، إنَّ الطفل يستجيب لتوقعاتك بشكلٍ أفضل - سواء كانت التقاط الألعاب أو التوقف عن إيذاء الآخرين أو تعلُّم المشاركة - إذا شعر أنه يتلقَى كمية كافية من حساء الدجاج العاطفي المهدئ مقرونًا بوضع الحدود والقواعد بشكلٍ حازم ولطيف معاً.

كما ذكرنا سابقاً إنَّ التربية التي نضعها هنا لا تعني المبالغة في العناية بالطفل ولا تمييعه. إنَّ أفضل شيء يمكن توفيره للطفل هو الكثير والكثير من التفاعلات في أوقات اللعب على الأرض التي تشجِّعه على أخذ المبادرات والتفاعل، ومتابة الأفكار التخيلية واكتشاف متعة تجريب المناظر والأصوات الجديدة والاشتباك معك أثناء الحوارات الودية. إنَّ هذه التفاعلات تساعد طفلك على تقوية كلِّ المراحل التطورية الست أو ما قد اجتازه منها في نفس

الوقت الذي تزوّدينه فيه بحدودٍ وإرشاداتٍ بشكلٍ حازمٍ ولطيفٍ. كل مرحلةٍ تتضمّن العطاء والتوقع. إذا كنتِ «تعطين المزيد» ولكن لا تتحدّين طفلكِ برفع توقعاتكِ تجاهه من المهم أن توازني المعادلة بزيادة توقعاتكِ. على سبيل المثال إذا كنتِ تستجيبين بدفءٍ لرغبات طفلكِ وأمنيّاته يمكنكِ أن تشجعيه على فهم رغبات وأمنيّات الآخرين بسؤاله أسئلة مثل «حسناً، كيف يشعر صديقك عندما تأخذ لعبته الجديدة وتلعب بها». إن الحفاظ على موقفٍ أساسي يتصف بإعطاء المزيد وتوقع المزيد سيقيوي قدرة طفلكِ على تجاوز الصعوبات المتوقعة بدون أن يتراجع إلى سلوكٍ عدواني أو ملحٍ أو متقلّب. على سبيل المثال، إذا كان الأب والأم يعملان إلى وقتٍ متأخّرٍ في الأسبوع الماضي وكان كلٌّ من في المنزل متوتراً قد يعبر الطفل عن إحباطه بالكثير من السلبية. إنَّ زيادة الانتباه الدافئ وأوقات اللعب على الأرض خلال هذه الفترات العصبية قد يخلق جوّاً في العائلة يساعد كلَّ فردٍ فيها على إسعاد الفرد الآخر.

ربما يكون من الواضح أنه في عالم اليوم من المستحيل تقريباً أن يفعل الإنسان المزيد ويتوقع المزيد إذا كانت المتطلبات المادية لا تدع له مجالاً للراحة. عندما يعود الوالدان من العمل الساعة السابعة والنصف مساءً كلَّ يوم فذلك سيدع ساعة أو ساعتين قبل النوم لكي يمارس الوالدان «العطاء والتوقّع». قد يحاول الوالدان في أحسن الظروف أن يعوّضا عن ذلك بإعطاء المزيد من الوقت في عطلة نهاية الأسبوع والإجازات ولكن الحقيقة تبقى أنّ الأطفال يحتاجون إلى الكثير من العطاء والتوقع من آبائهم وأمّهاتهم خلال كلِّ يومٍ من أيامهم.

كما ناقشنا سابقاً إن القاعدة الأساسية في رعاية الأطفال هي أن يكون أحد الوالدين أو أيّ شخصٍ بالغٍ محبٍ متوافرٍ بالقرب من الطفل خلال نصف الوقت الذي يقضيه الطفل خارج المدرسة. بالنسبة للعائلات التي يعمل فيها الوالدان إحدى الخطط التي يمكن اتباعها ما ندعوه «حل الثلاثة

أربع» حيث يعمل كلا الوالدين ثلاثة أرباع الوقت بدلاً من العمل بدوام كامل أو يعمل أحدهما بدوام جزئي في حين يعمل الآخر بدوام كامل. بالنسبة للعائلات الأخرى يمكن لعمّة أو جدّة محبّة أن توفر للطفل الانتباه وبعض هذه التفاعلات المهمة.

بالطبع لا يُطبّق حلُّنا (حل الثلاثة أرباع) على العائلة التي يوجد فيها والد واحد يجب أن يؤمّن لقمة العيش لأطفاله أو حين يجب أن يعمل كلا الوالدين بدوام كامل ليؤمّنا الحاجات الأساسية لأبنائهما. في مثل هذه الظروف يجب أن يبذل الوالدان جهودهما للتفاعل مع أطفالهما وأن لا يستسلما للراحة أمام التلفزيون خلال الساعات الثمينة التي يقضيانها مع أطفالهما.

عندما نعطي أطفالنا أكبر قدر ممكن من التفاعل الدافئ فإنهم سيشعرون برعايتنا ونوايانا الطيبة. لذلك فإنّ المربّين الذين لديهم المصادر المالية والوقت الكافي للتفاعل مع أطفالهم ومع ذلك يختارون بدائل أخرى يجب أن يفكروا كم من الوقت يجب عليهم أن ينفقوا ليؤمّنوا لأطفالهم الرعاية والإرشاد الذي يحتاجون إليه.

لكي «نعطي المزيد ونتوقع المزيد» يجب أن ننظر بشكلٍ شمولي إلى الطريقة التي يتفاعل بها الوالدان أو المربون مع الطفل. كلنا نعرف الحالات الكثيرة من إساءة التصرف والإهمال التي يعاني منها الكثير من الأطفال في مجتمعاتنا. إننا نحتاج إلى دعم اقتصادي واجتماعي أفضل وإلى برامج للعائلات والآباء والأمهات لمنع هذه الأوضاع السيئة. لقد ناقشنا هذه المشكلة المعقّدة وأنواع الدعم والبرامج التي يمكن أن تفيد في كتبنا «نمو العقل أثناء فترة الرضاعة والطفولة المبكرة» و«الرضع في العائلات ذات عوامل الخطورة المتعدّدة».

هناك على كلّ حال أنماطٌ تحدث في التفاعلات النموذجية بين الآباء والأمهات وأطفالهم يمكن أن تتحسّن بقليلٍ من العناية. هذه الأنماط تنتقل من خلال مزاج الوالدين ونبرتهم العاطفية.

يستطيع الطفل من خلال تعابير الوجه ونبرة الصوت ووضعية الجسم أن يشعر بالذي نشعر به تجاه هذه الأمور المختلفة. إذا أطقنا أسناننا بقوة ونحن نقول: «إنك طفلٌ جيّد» لأننا نريد أن نبدي موقفاً إيجابياً فإن معظم الأطفال سيشعرون بالعواطف الحقيقية التي تكمن خلف كلماتنا. كما ذكرنا في الفصل الثالث يتعلّم الطفل كيف يقرأ إيماءاتنا الوجهية والجسدية والصوتية قبل فترة طويلة من قدرته على استخدام الكلمات. عندما يكون هناك تناقض بين كلماتنا وإيماءاتنا فإنّ الأطفال يصدّقون الإيماءات دائماً، تماماً كما نقرأ الوضعية المرئية والصوت المرئى لغريبٍ نصادفه في طريق مظلم يقترب منا وهو يقول «أنا شخص طيّب - تعال إلى هنا».

هل يعني ذلك أننا عندما نكون غاضبين يجب أن نتجه إلى الطفل ونقوم بإخافته؟ بالطبع لا. لكن هذا يعني أنّ أفضل الأوقات للثناء على أطفالنا ليست تلك الأوقات التي نكون فيها غاضبين أو محبطين. بدلاً من ذلك إنّ أفضل وقتٍ للثناء على الطفل هو عندما نكون مسترخين ومعجبين حقاً بفعلٍ ما قام به الطفل. ما هو أهم من ذلك هو أنّه يجب أن نبقى في تواصلٍ مع الطفل وحوارٍ معه أطول فترة ممكنة بكلماتٍ أو بدون كلمات. إنّ أطفالنا سيعذروننا إذا غضبنا أو تجاهلناهم بشكلٍ مؤقتٍ إذا شعروا بأن مجمل النبرة التي يتصف بها تفاعلنا معهم هي نبرة الدعم الدافئ والعناية والحب.

إنّ الكثير من أنماط التفاعل العاطفي بين المربّين والأطفال يمكن أن تؤثر على إعطاء المزيد وتوقّع المزيد. أكثر هذه الأنماط إثارة للمشاكل هو نمط «هنا وليس هنا» حيث يكون المربي أو الوالد غير موجود عاطفياً. يحدث ذلك عندما ينسحب المربي من التفاعل أو عندما يكون موجوداً بشكلٍ متقطّع. على سبيل المثال: مباشرة بعد صراع أو بدون سبب ظاهر قد ينسحب المربي عاطفياً أو يصبح منشغلاً بأمرٍ ما وربما يفكر بمشكلة حدثت في العمل هذا اليوم. عندها يضطرب الولد ويشعر بفراغٍ في داخله بعد أن

كان يشعر بالبدء والرعاية. إننا نحن الكبار نألف هذا الشعور بالفقد لأنه يحدث في بعض الأوقات في كلِّ علاقاتنا الحميمة مع الآخرين. إنَّ الزوج أو الأصدقاء قد ينشغلون بالعمل أو الحزن أو الاكتئاب أو القلق وببساطة قد لا يكونوا مهيين، بالمعنى العاطفي، عندما نحتاج إليهم. حتى لو كان الشخص موجوداً جسدياً ويتفوه بالكلمات الصحيحة. إلا أننا ندرك أنه ليس مندمجاً معنا.

إن أطفالنا يحتاجون إلى الرعاية والدعم أكثر مما نحتاج إليه وهم بشكل عام أكثر حساسية لتقلبات نبرتنا العاطفية. إن الأطفال الأكبر سناً أو البالغين يستطيعون أن يحلّلوا مشاعرهم عندما يحدث هذا الانسحاب العاطفي أما الأطفال الصغار فقد يتشوّشون من هذا التحوّل في مزاج من نعني بهم وقد يلومون أنفسهم.

قد يشعرون أنهم مسؤولين عن الوضع ولذلك هم «سيئون» وفي بعض الأحيان يقترن شعورهم بالذنب بغضبهم من الأشخاص الذين يعتنون بهم. لذلك من المهم أن نبذل جهداً واعياً لنظّل مع أطفالنا ونستمرّ في التواصل معهم على أفضل وجه ممكن. كل إنسان يحتاج إلى أن يتعلم كيف يتلأّم مع درجة معينة من عدم التأكد لكن الأطفال يحتاجون إلى الطمأنينة التي تجلبها لهم النبرة العاطفية الداعمة التي تميز علاقتهم مع آبائهم وأماتهم. بالطبع نحن نحتاج إلى أوقاتٍ للراحة. حاولي أن تخصصي أوقاتاً قصيرة لتجديد نشاطك أو أخلي إحدى فترات المساء لنفسك واطلبي من زوجك أو جليسة أطفال أن تعتني بأطفالك.

إن الكبار الذين عانوا بشكل كبير من مشاعر عدم التأكد في علاقاتهم مع الآخرين خلال طفولتهم سيشعرون بشكلٍ سلبي تجاه أنفسهم وقد يعانون بشكلٍ متكرر من الإحساس المكبوت بالغضب وخصوصاً إذا استمرّت هذه الأنماط من المشاعر. قد يحاولون تغطية هذه المشاعر الغير مُريحة

باستراتيجيات أو آليات دفاع مختلفة. قد يتجنبون العلاقات الحميمة وقد يشعرون بالإهانة بسهولة وقد يصرون أنهم دائماً على صواب. إن العلاقة القائمة على الرعاية والتفهم في التعامل مع هؤلاء الكبار تساعد جداً على التخفيف من هذه المشاعر.

هناك نمط عاطفي آخر (تتمّ تقويته بعض الأحيان بواسطة الكلمات) يعيق عملية (إعطاء المزيد وتوقع المزيد) وهو يحصل عندما لا ينسحب الوالدان أو المربون وإنما يخيفون الطفل بغضبهم وحدتهم الشديدة. هذا النمط المخيف يتميز بطبيعة انفجارية حيث يبدو أن الوالدين ينفجران بسبب الإزعاج. وعلى الرغم من أن الوالد أو المربي يكون مسيطراً على نفسه في معظم الأوقات إلا أن الطفل يشعر بشكل مستمر بنذر الشر القادم.

بما أنه لا أحد منا يريد أن يخيف أطفاله أو يظهر بأنه فارغ عاطفياً علينا أن ننتبه إلى سلوكنا وأن نحدد فيما إذا كنا نمارس هذه الأنماط. غالباً ما يكون أكثر الأشخاص قدرة على مساعدتنا في الانتباه إلى هذه الأنماط أزواجنا أو أصدقاءنا الذين قد يكونون أكثر حساسية منا للنبزات العاطفية التي نبديها. صحيح أن تغيير هذه الأنماط قد لا يكون أمراً سهلاً لكن مجرد الانتباه إليها يمكن أن يحدث اختلافاً كبيراً. هذا الانتباه يقوّي من قدرتنا على توقع النمط العاطفي قبل أن يصبح قوياً أو على التعافي منه بشكل أسرع. ويمكن أيضاً أن يزيل بعض آليات الدفاع الطبيعية التي نستخدمها ويجعلنا أكثر راحة أثناء سؤال أطفالنا عن تأثير هذه الأنماط عليهم. على سبيل المثال: إذا وقعت في مزاج عدائي أو انسحابي وسألت طفلك فيما بعد عن شعوره تجاه ذلك غالباً سيهز رأسه ويقول «لم يعجبني ذلك على الإطلاق» إن هذا السؤال يساعد الطفل بشكل ممتاز لأنّ كلاً منكما يستطيع بعد ذلك أن يؤسس علاقة أكثر دفئاً وتعاطفاً مع الآخر.

تفاوت النصائح المتعلقة بتربية الأطفال التي يتداولها الناس فيما بينهم.

بعض الكتب والمؤلفات تحضُّ الآباء على مزيدٍ من الحزم مع أطفالهم والبعض الآخر يحثُّ على إعطائهم مزيداً من الحرية. بدلاً من هذا التعميم نحن نحتاج إلى تطبيق مواقف تربوية ونبرة عاطفية تناسب الحاجات الخاصة بكل طفل. يجب أن يحذر الآباء من تطبيق الطريقة التي تعتمد على «قياس واحد يناسب الجميع» والتي تبسط موضوعاً معقداً مثل تربية الأطفال. بعض الأطفال يحتاجون إلى المزيد من التهدئة والتعاون ولكنَّ معظمهم يحتاج إلى الموازنة بين مجموعةٍ من العناصر.

هناك عدد من الفخاخ التي يمكن أن نقع فيها جميعاً أثناء تعاملنا مع أولادنا.

- أن تكوني مبالغة في حماية طفلك أو مبالغة في تحدّيه: إن ذلك يسبب مشكلة وخصوصاً للأطفال الحساسين الذين يحتاجون إلى مزيدٍ من التهدئة والدعم ليتعلموا التصميم. يمكنك أن تبالغ في حماية طفلك بشكلٍ خفي بأفعالٍ بسيطة كأن تضعي سلة الخبز إلى جواره بدلاً من تشجيعه على أخذ المبادرة وطلب الخبز أو الوصول إليه. إننا نبالغ في تحدّي أطفالنا عندما نحاول دفعهم إلى القيام بنشاطٍ جديد كالسباحة بشكلٍ سريع بدلاً من اتباع التدرج في تدريبهم على هذا النشاط.
- أن تكوني متصلبة أو أن تتورّطي دائماً في صراعٍ على السلطة بدلاً من أن تكوني مرنة ومتعاونة مع طفليّ عنيد.
- أن تكوني مبالغة في العقوبات أو بالعكس متساهلة جداً تجاه الطفل الفعال أو المصمم أو المندفع بدلاً من إعطائه مزيداً من الفرص للنشاط البناء وللتنظيم والتخيل والاعتناء بالآخرين.
- أن تكوني فوضوية بدلاً من بناء حوارات تزداد طولاً مع الطفل قليل الانتباه.
- أن تبغي سياسة عدم التدخل مع الطفل المنغلق على نفسه بدلاً من توفير المزيد من الملاحظة والمشاركة معه.

إذا وقعنا بالرغم من كل جهودنا في هذه السلوكيات السلبية يجب أن لا نقسو كثيراً على أنفسنا لأن الأطفال يفهمون ويستجيبون لنمطنا العام على طول السنين طالما أن الصعوبات التي يواجهونها ليست خارج نطاق قدرتهم على تجاوزها وطالما أننا نساعدهم على التحدث عن هذه الصعوبات في جوٍّ من الدفء والدعم.

كثيرٌ من الكتب والمقالات تركّز على ما يجب أن نقوله لأطفالنا. صحيح أن ما نقوله مهم ولكن نفسيّة الطفل تتشكّل نتيجة للنبرة العاطفية التي يتصف بها سلوكنا نحوهم. مثلاً: صفة التعاطف التي نحب أن نراها في أطفالنا لا يكتسبها الطفل بإخباره أنه يجب أن يكون لطيفاً أو بتعليمه أن يصغي إلى ما يقوله الآخرون. إن مثل هذا الإرشاد قد يؤدي إلى أن يتصرف الطفل وكأنه يؤدي واجباً معيناً وصحيح أنه قد يشعر باللطف إلا أن ذلك لن يمكنه من التعاطف وتفهم مشاعر الآخرين. إن التعاطف الحقيقي ينشأ من خبرتين متوافقتين: أن يفهم الطفل وأن يتجاوز اهتمامه مجال ذاته.

إن الطفل الذي يتم التعاطف معه بطريقة لطيفة سيفهم على المستوى العاطفي العميق ما الذي يعنيه التعاطف. عندما يكبر الطفل ويصبح قادراً على تسمية هذه المشاعر الدافئة فإنّ خبراته الإيجابية في فهم مشاعر الآخرين ستدفعه إلى التشارك مع الآخرين بنفس الطريقة.

في نفس الوقت إذا تمّ وضع الحدود المناسبة له بشكل حازم ولطيف وتمتّ مساعدته على تلبية حاجاته بشكل آني.

إن تعاطفك المترافق بوضع الحدود سيمكنه من الإحساس بالتعاطف والمحبة.

باختصار، عندما تعطين المزيد لكي تتوقعي المزيد فإن نبرتك العاطفية بشكل عام ووضعية جسدك هي أكثر أهمية من العبارات الخاصة التي قد تقولينها أو لا تقولينها. كثيرون منا قد يغيّب عنهم هذا المبدأ الأساسي وقد

ينجرون إلى الاهتمام بمواضيع أقل أهمية مثل أثنوا على أطفالهم في مناسبة معينة أو كانوا مُحِبِّين لهم في مناسبة أخرى. إذا كانت نبرتك العامة دافئة وداعمة وتلاءمت مع قدرات طفلك التطورية وصفاته الخاصة به وأنت تضعين توقعاتك تجاهه والحدود أمامه فإنك تهيئين له الفرص للنمو العاطفي والعقلي الذي يحتاجه ولا داعي لكي تحاولي أن تلعب معي معه دور الأم الممتازة في كل مناسبة. كما أن الشجرة السليمة تتحمل الجفاف والأمطار الغزيرة من حين إلى آخر كذلك يمكن لطفلك أن يتجاوز الصعوبات طالما هو محاطٌ منك بتفاعل عقلي وعاطفي داعم. كما رأينا سابقاً إن أساس صحتنا العقلية والعاطفية يكمن بطريقة واضحة في مجموعة التفاعلات والخبرات التي نمُرُّ بها جميعاً خلال حياتنا. نظرياً نحن نحاول أن نوفر هذه الخبرات لأطفالنا خلال فترة الرضاعة والطفولة المبكرة ولكن دائماً هناك وقت لتوفير هذه الخبرات الأساسية. دائماً هناك مجالٌ لبناء فرص للتفاعل يتمكّن فيها أطفالنا (أو المراهقون أو الشباب) من التركيز والمشاركة وتجريب طيفٍ من المشاعر وبناء الأفكار وتبادلها وتعلّم التعبير عن المشاعر وحل المشاكل في جوٍّ من الدفء والتقبل والإرشاد المتعاطف.